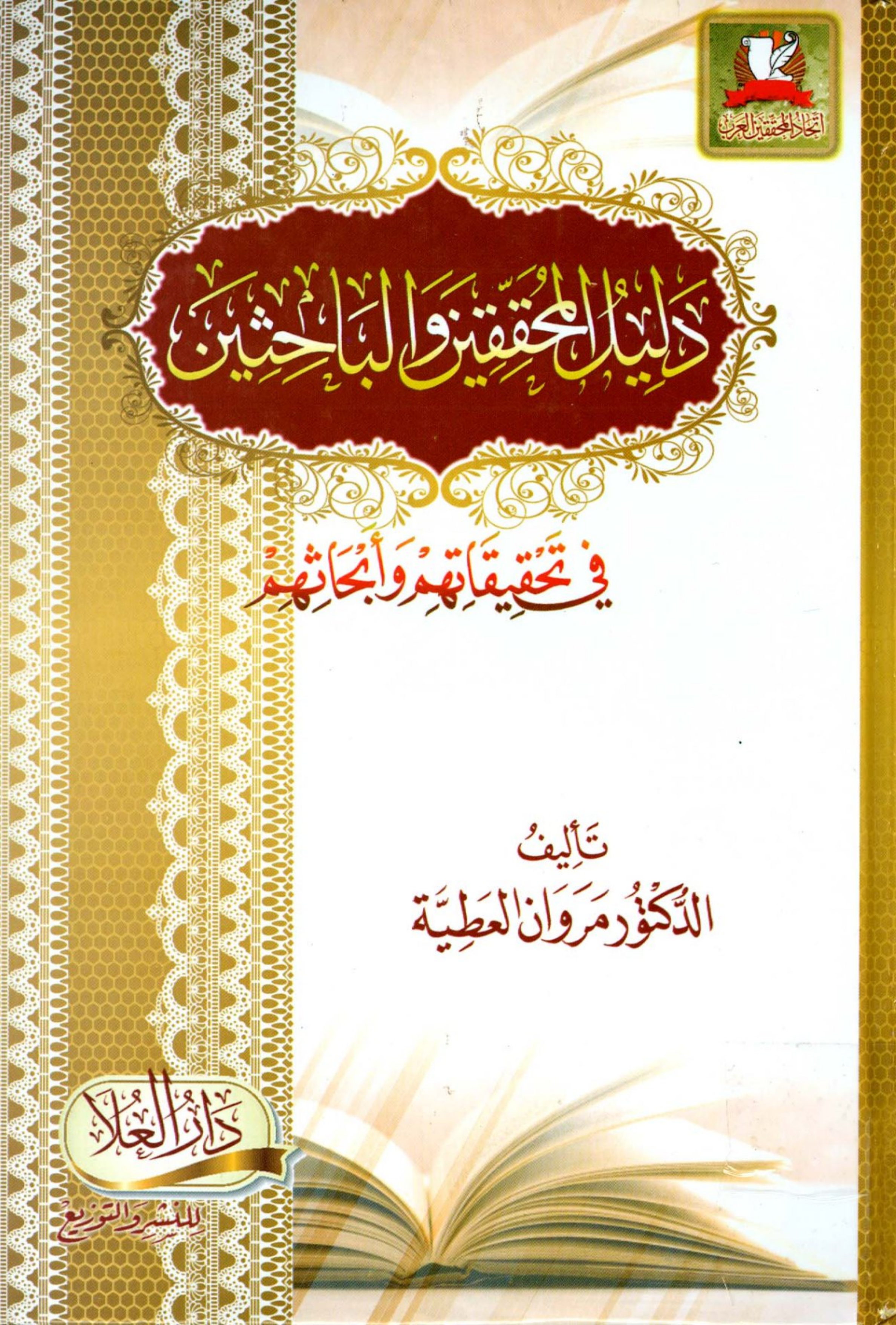

اتحاد المحققين العرب
دليل المحققين والباحثين
في تحقيقاتهم وأبحاثهم
تأليف
الدكتور مروان العطية
دار العلا
للنشر والتوزيع

دليل المحققين والباحثين

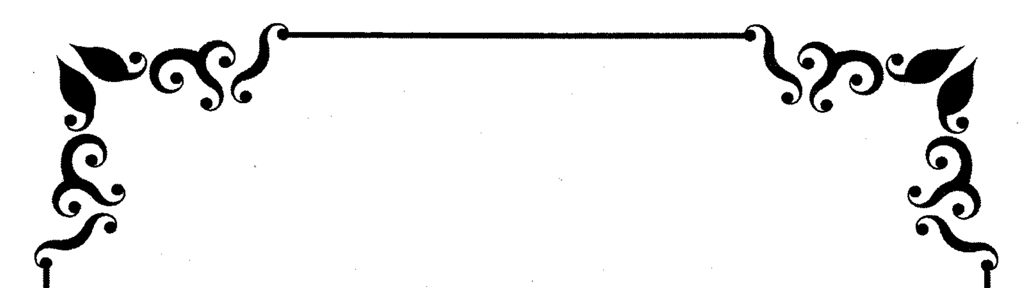
في تحقيقاتهم وأبحاثهم

تأليف

الدكتور مروان العطية

دار العلا

للنشر والتوزيع





قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع	2013 / 22968
الترقيم الدولي	978 - 977 - 375 - 136-1



للنشر والتوزيع
محمول : 01114744297 تليفاكس : 33255820
E-mail: daralola@hotmail.com

توزيع دار ابن القيم السعودية - الرياض هاتف : 4315882 فاكس : 4318891
E-mail:ebnalqayyam@hotmail.com

توزيع دار ابن عفان ج.م.ع - القاهرة - 11 درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت : 25066420 فاكس : 35692850 - 01001583626
E-mail:ebnaffan@hotmail.com

المُقَدِّمَة

لايزال الحديث عن تحقيق تراث العرب المخطوط له مكانته في الأوساط الأكاديمية والعلمية، عربية وغربية على حد سواء، فتحقيق المخطوطات هو المدخل الذي نلج من خلاله إلى معرفة حقيقية لمنجز العرب الحضاري، ومشروعهم الفكري.

لقد عُني نفر من كبار المحققين بإخراج هذا التراث وإبرازه برغم ما لهذه المهمة من صعوبات، وما يتطلبه ملاحقة نسخ المخطوط من جهد، وما ينبغي على المحقق أن يبذله من الوقت والمال قبل أن يخرج المخطوط بصورة عمل علمي يمكن قراءته والإفادة منه.

والمخطوطات أوعية تحفظ التراث، وتاريخ الأمم.

وللحفاظ على هذا التاريخ وفهمه فهما صحيحا كان لا بد من تحقيق الكتب المخطوطة تحقيقا علميًا سليماً؛ كي نصل به إلى مراد المؤلف.

وقد عُرف تحقيق المخطوطات منذ زمن طويل، وانتشر عند علماء الحديث وغيرهم؛ مقابلة النسخ والروايات مع توخي الأمانة العلمية، والتدقيق في نسبة الحديث بصيغ مختلفة منها السماع، والقراءة، والمقابلة، والإجازة.

كما أنه يوجد عند الغرب تحقيق للمخطوطات القديمة: اليونانية واللاتينية وآداب القرون الوسطى وغيرها منذ زمن طويل ولهم مناهج في ذلك...

وتعيش أمتنا العربية، في هذه الأيام، حقبة حاسمة من تاريخ نضالها ساعية لاستعادة تنظيمها Reorganisation في عالم تعج به الأمواج والأنواء والأعاصير والتقلبات، ويزداد فيه الصراع وتحتدم فيه المنافسات الاقتصادية

والتكنولوجية والتطاحن العالمي والإقليمي والمحلي.

وتواجه أمتنا العربية كثيرًا من التحديات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والفكرية.

وتقتضي هذه التحديات أن تعمل أمتنا العربية - وخاصة علماؤها وباحثوها - على ملاحقة ركب حضارة العصر، تلك الحضارة التي يسير فيها التغيير بخطوات سريعة متلاحقة، فالتطور لا يقف لحظة عند حد معين.

الأمر الذي يجعل من الضروري أن يقوم علماء هذه الامة باستخدام العلم ومناهجه وآلياته وأدواته في التصدي لما يواجه المجتمع العربي من المشكلات، تصديا علميا، يقوم على البحث والدرس والتخطيط، وسعيا وراء تحقيق التنمية الشاملة، والتقدم والتطور والرخاء والازدهار وذلك بوضع الحقائق العلمية موضع التطبيق في كافة مجالات الحياة العصرية.

فإن أمة تلهث بأنفاسها للحاق بركب الحضارة، لا يمكن أن يكون جهود علمائها ضربا من الترف العلمي، أو أن يجلس علماؤها في أبراجهم العاجية بعيدا عن معترك الحياة في المجتمع.

وفي نهاية المطاف...

أتوجه بالشكر الجزيل لمن شملني لطفه، وغمرني إحسانه، وتوالت عليّ نعمه؛ فلله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد من قبل ومن بعد، وهو المسؤول أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه، وموجبًا لرحماته، وسعة في القبر، ونورا لظلماته، وديعة عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يجري أجره لي، ولوالدي، وأهلي، ومن دعا لي.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه الكريم،

ويجعله وقاية لهذا العبد الضعيف من سخطه وعذابه، ويتقبله في رفيع جنابه، ويسامحني فيها إن زلّ به القلم، ويجعلها من أسباب الغفران، وموارد الرضوان، ولا يحرمني من واسع رحمته التي وسعت كل شيء من نبات، وجماد، وحيوان، وإني وإن كنت لست أهلاً للمغفرة والعفو والصفح لذنوب أتيتها سرًّا وعلانية؛ لكنه سبحانه وتعالى أهل لكل ذلك، وهو القائل في كتابه المبين المكنون:

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

والله لا يخلف الميعاد ومن أصدق من الله قيلا.

إلهـــــي...

إنّ ظُلمة ظُلمنا لأنفسنا قدْ عمّت، وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمّت، فالعجزُ شاملٌ، والحصْرُ حاصلٌ، والتسليمُ أسلم، وأنت بالحال أعلم.

إلهـــــي...

ماعصيناك جهلا بعقابك، ولا تعرُّضا لعذابك، ولكنْ سوّلت لنا نفوسُنا، وأعانتنا شِقوتُنا، وغرنا سترك علينا، وأطمعنا في عفوك برُّك بنا.

فالآن مِنْ عذابك مَنْ يستنقذنا!؟

وبحبل مَنْ نعتصمُ؛ إن قطعْتَ حبلك عنا!!!؟

إلهـــــي...

اغفر ماعلمت، ولا تهتك ماسترت.

إنْ كنّا عصيناك بجهلٍ، فقد دعوناك بعقلٍ، حيث علمنا أنّ لنا ربًّا يغفر الذنوب، ولا يبالي.

وأختم هذه المقدمة بما ختم به البهوتي مقدمة كتابه (كشاف القناع) في قوله:

«ومن عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلَّت به القدم، فليدرأ بالحسنة السيئة، ويُحضر بقلبه أن الإنسان محلُّ النسيان، وأن الصَّفح عن عثرات الضِّعاف من شِيم الأشراف، وأن الحسنات يذهبن السيئات، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب»[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق	**وكتبه**
١٥ ذو الحجّة ١٤٣٤هـ	**أبو الإقبال**
٠٢ / ٠١ / ٢٠١٣ م	**الدكتور مروان العطية**

(١) (كشاف القناع ١ / ١٠).

الكلمة الأولى

منذ رَدَح من الزمان وأنا أفكر في خوض هذا الميدان، منذ نشرتُ عددًا من المخطوطات الأدبية، وتدربت على أيدي شيوخ عظام في مضمار التحقيق في الشام ومصر، وبعد أن نشرت عددًا من الدراسات الأدبية في التراث.

منذ ذلك الزمان وأنا أحبُّ موضوع التحقيق، ويعتمل أوارُ هذا الحب في شغاف قلبي، لكنني ما كنتُ أجرؤ على أن أبوح بهذا الحب على الورق،فكنتُ أكتمُ حبي ولا أبوح به، لأنني أعلم أنني إن قررتُ أن أبوح بهذا الحب وجبَ أن أكون على قدر مسؤولية هذا البوح.

فإعلانُ الحب يتطلب جرأة واستعدادًا، ويتطلب كذلك وقتًا رحبًا لهذا الحب. وإعلان حبي كذلك يتطلب إعلامًا عنه والعمل به،وظللتُ أكتم ما يعتمل في صدري، حتى طفح بي الكيل، وضايقتني نفسي، فدفعتني إلى الانكباب على العمل. ومنذ فتحت نوافذ مكتبتي، ونشرت أوراقي على طاولتي، تنفستْ همتي الصعداء، وزغردَ دم الحياة في قلبي.

وباشرتُ بالكتابة قبل أن أباشر بتناول مصادري ومراجعي؛ فقد أردت أن أفضحَ ما في نفسي من أفكار ورغبة أولاً، تلك التي كانت تقتلني وتقضُّ مضجعي.

حتى إذا نفثتُ على الورق ما كان يُضيق نفسي، وهدَّأتها وطمأنتها إلى أنني قررتُ إعلان حبي وإعلام العلماء وصحبي، مددت عندها يدي إلى كل ما كتب عن التحقيق، وأهدافه، وسُبله، وواجباتِ المحقق وثقافاته.

لملمتُ هذه الكتب والكتيِّبات، والرسائل والمقالات، والفصول والغايات

ورحتُ أتصفحها وأطالعها، وأدوِّن ما يعنّ على خاطري. رأيتُ كتب التحقيق كثيرة جدًّا، قام على نشرها مستشرقون وعرب، محققون عظام، وآخرون ناشئون يريدون أن يشقوا الطريق الذي شقه قبلهم أساتذتُهم.

ومعلوم أن التحقيق بدأ في الغرب ونما في الشرق، بُذر على أيدي مستشرقين عظام، خدموا تراثنا وأخلصوا له، لكنَّ أفنانه أورقت وأغصانه أزهرت وورفَتْ حتى غدا رحب الظلال في أرضه العربية الخصبة،ومَنْ لتراث العرب غير العرب؟

رأيت أن عمر التحقيق قرنان ازدحم فيه الإنتاج، لكن عمر قواعد تحقيق النصوص لا تكاد تبلغ القرن،وعلمت أن النقد يقوم على أرضية سبقته،ومعلوم أن النقد يأتي بعد ظهور النص، وأن العروض دُرس بعد أن برز فيه أعلام الشعر قروناً، وهل تُخبر الثمار إلا بعد أن تنضج؟

وقارنتُ ما ألف في نقد النصوص فرأيته قليلًا جدًّا، بل أقلَّ مما حقق من تراث. ولاحظتُ أن معظم ما ألف في فن نقد التحقيق لا يبلغ عشرين، وأن معظم ما ألف كتيِّباتٌ، ومقالات، وعصارة محاضرات،ولا نكاد نجد كتابًا كاملًا بمعنى الكتاب يضم بين دفتيه مئتين من الصفحات أو أكثر.

على أنّ ما تجمَّعَ لدي - وإن كان قليل المادة - رَسم عظيم، قام به خيرُ فحولِ التحقيق، وأن كل ما نشر كان خلاصة تجارب هؤلاء العباقرة؛ من خبراتهم ومن أخطائهم وأخطاء تلامذتهم، ولا يستحق ما كتب فيه أن يكوِّن علمًا،ونحن نعلم أيضًا أن النقد ذوق وخبرة، لا علم وأسس،لكنَّ ما تجمع لديَّ على قلته يستحق أن يفتح باب «علم نقد النصوص».

وذكر المبرد بقوله الشهير: «الشيء بالشيء يذكر»، ذكرني بما علي من واجب

آخر.. إذ لا يقوم التحقيق إلا على أساس البحث، والبحث جزء لا يتجزأ من التحقيق.. والأديب يبدأ باحثًا ومؤلفًا، ثم يعرِّج إلى التحقيق.. فيردف هذا بهذا. ومن بدأ بعمل يجب أن يتمَّه، ولا يكون الميزان إلا بكفتين.

وأصحاب القلم بارعون بكل ميدان.. الأديب، والناقد، والباحث، والمحقق، ولا فضل لواحد على الآخر إلا بالجد والصبر والإخلاص.

وكاتب القصة يكتب رواية، والروائي يصنع سيناريو، والأديب ينتقد. فواجبي الذي فرضته على نفسي أن أمثُلَ بين الباحث والمحقق ما دام الاثنان يتسلحان بالقلم، ويخوضان معارك الكتابة.

فأقدمتُ إقدام الأتيِّ على التحقيق أولًا حبًّا به. لقد أفدتُ كثيرًا ممن سبقني وممن علمني في شرخ شبابي، وأفدتُ أكثر من تجربتي المرة والحلوة في البحث والتحقيق، وخضتُ المضمارين وتهيأت لأصنع هذا الكتاب خدمة للناشئة الشباب المحققين والباحثين.. في علم نقد النصوص وتحقيق المخطوطات، وفي منهج البحث العربي الحديث بكل أبعاده.

وأرجو من الله القدير أن أكون خطوتُ في عملي نحو التوفيق، وأرضيتُ العالم وأرضيته، والسائر على خطاه وأقنعته.

وما هدفي سوى خدمة العلم وأهله ومُريديه،فإن وجدوا فيه خيرًا فنعمّا، وإن لمسوا في بعض ورقاته شططًا وثُغَرًا غفروا لي.. وهذه شيم العلماء.

وقد قسمت كتابي إلى بابين: باب في التحقيق، وباب في البحث.

فأوسعت صدر الباب الأول لخمسة فصول:

ضم **الفصل الأول** رسالة عن تلاقح الحضارات، وتوزع المخطوطات في

خزائن مكتبات العالم، وضخامة عددها وضياع قسم منها.

وشمل الفصل الثاني الحديث عن علامات الترقيم ورموز القدماء والمحدثين، ومشكلة رسم الخط القرآني، ورسم الخط.

وانتقل البحث في الفصل الثالث للحديث عن التحقيق بين المستشرقين والعرب، واهتمام القدماء بكتبهم، ودور المستشرقين في التحقيق، وإسهام واضعي قواعد التحقيق وأوائل المحققين، ودور الجامعات في التحقيق.

وتحول البحث في الفصل الرابع إلى النسخ الخطية، والنسخة الأم، وتحقيق الدواوين ونعتقده سبقًا في حقل التحقيق، ومسألة النساخة والناسخين،وعيوب الناسخين وأخطائهم، والآفات التي تعتري المخطوطات، وأخطاء العلماء والتصحيف والتحريف، وأسباب كساد سوق المخطوطات.

وتكلمنا في الفصل الخامس على المحقق وصفاته ومهمته، ونسخ المخطوطة وتبييضها، ونقد النصوص وتاريخه، وشروط التوثيق والحواشي، وأدوات المحقق وثقافته، وإعادة طبع المخطوطات والمخطوطات المصورة،وفصّلنا في مسألة الفهارس العامة وكيفية إعدادها، وكيفية إبراز المخطوطة.

وانتقل الكتاب في الباب الثاني إلى خمسة فصول:

تناول الفصل الأول مناهج البحث، والبحث العلمي عند العرب، ومصطلح البحث وأسسه وصفته، والبحث المحكم والمجلات المحكمة، وكيفية اختيار البحث وأسلوبه.

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن الباحث ومهمته وصفاته وثقافته ومكتبته الخاصة وأسلوبه.

وفي **الفصل الثالث** تناولنا قواعد إعداد البحث وكتابته، وكيف كان القدماء يجمعون معلوماتهم،وانتقلنا إلى تقميش المعلومات، واستخدام البطاقات وكتابة البحث على المسودة ثم على المبيضة.

وفي **الفصل الرابع** خصصناه لأبحاث الدراسات العليا في الجامعات، ومراحل الدراسات الثلاث،وتوقفنا مفصلًا عن مرحلة الدكتوراه بدءًا من اختيار البحث، ودور المشرف، ومعالجة البحث، وانتهاء بهيكلة الرسالة والمناقشة وطباعتها.

وخصصنا **الفصل الخامس** بمسألة استخدام جهاز الحاسوب والطباعة عليه، ومدى الاستفادة من الإنترنت وما المسموح به وغير المسموح،وختمنا الكتاب بخاتمة وضممنا فيها النتائج التي توصلنا إليها.

شاكرين الله على ما منَّ علينا به من عزم وصبر، آملين أن يلقى ترحابًا في نفوس السادة المحققين والباحثين، ونرجو أن يغضوا أبصارهم عن عثراتنا والكريم من يقبل عذر المحبين.

***

تمهيد
نشأة الحركة التأليفية

جذور الحضارة العربية:

إنَّ ما يدفع إلى الافتخار والاعتزاز أن العرب كانوا أول الأمم التي نشرت حضارتها ومعرفتها في العالم،صحيح أن الإغريق سبقوهم في الحركة التأليفية، وأن الإغريق علموا الرومان بعض علومهم، إلّا أنّ العرب استطاعوا أن يغزوا العالم فكريًّا، ويخمدوا أوارَ علوم الإغريق، ويمتصّوها لصالح الإنسانية جمعاء. فالعرب هم الذين منحوا اللاتين معرفتهم ومعرفة الإغريق، وهم الذين نشروا الحضارة الفكرية شرقًا وغربًا.

ويقولون: كان العرب في الجاهلية بعيدين كل البعد عن الفكر والحضارة، وإن الإسلام أول ما عرف العرب من معرفة،لكن الواقع يثبت أن حضارة العرب في جزيرتهم عريقة قبل مئات السنين من ظهور الدعوة الإسلامية،فمن الذي اخترع الأحرف الأبجدية ونشرها في العالم؟ من الذي اخترع الدولاب وسخره للعلم والزراعة والنقل والحرب؟ من الذي أشاد القصور العجيبة الشاهقة؟ وسدود الماء التي أذهلت العالم بدقتها وخدمتها؟ من الذي وضع القوانين والشرائع؟ أليس حمورابي؟ من الذي جعل الحركة التجارية البحرية والنهرية والبرية تسير وفق قوانين منتظمة؟ حتى تجارة الصحراء، وانتقال البضائع والسلع، وعقد أسواق كبرى دَولية دلت على حضارة العرب قبل الإسلام.

تلك أسئلة وعشرات غيرها تترامى إلى الأذهان، وكلها يصبّ في قالب عمق حضارة العرب،حتى الشعر الذي ينشده الشعراء أليس حضارة؟ أليست اللغة وسيلة لنشر الحضارة؟.

فالحضارة التي تحمل العرب المسلمون عبء نشرها في العالم تحت راية القرآن كانت كامنة في قلب الجزيرة، لكنها لم تستطع نشرها لظروف خاصة بالجزيرة حتى إذا توجهت جيوش الفتح حملت تراثها القديم مع ما في قلوب رجالها من إيمان وكان اتجاهها شرقًا وشمالًا وغربًا.

القرآن والحضارة:

لا شك أن القرآن الكريم أول كتاب عرفه العرب، واعتزوا -ومازالوا- به عقيدة، ومضمونًا، وعلومًا. فالعقيدة جمعتهم تحت راية الإله الواحد، وهذبتهم وآخت بينهم، وأبعدت عنهم جرثومة الوثنية، وفساد العصبية، ودعتهم إلى التوحيد والتوحّد، وعلمتهم الوفاء والفداء، والإيثار.

والقرآن وحَّدَ لغتهم، وقرب لهجاتهم، وحبَّبَ إليهم لغتهم، فكان أساس التأليف اللغوي والبلاغي، أمام هذه العظمة التي يحملها القرآن كلمة كلمة، وآية آية. ولولا القرآن لتشرذمت العربية، وغدت لغاتٍ متباعدة أو متقاربة، كما حصل للغات السامية الأخرى التي انشقت عن أمها العربية.

ولأن القرآن رسالة سماوية بلغة عربية قرشية، ولأن فهم القرآن يقتضي فهم أسرار البلاغة العربية، فقد غدت العربية مقدسة، وجزءًا أساسيًّا لفهم الإسلام. والدليل على ذلك انتشار ألف باء القرآن بين كثير من الأمم يكتبون بها ويستخدمونها وسيلة للمعرفة،حتى إن كثيرًا من علماء الأمم الإسلامية البعيدة والقريبة أهملوا لغتهم الأم وأقبلوا على لغة الدين والعلم.

والقرآن وسيلة لنشر الأدب وجمع الشعر، ولمِّ شتات مفرداته؛ لأنهم عدوه أول كتاب أدبي يعرفونه ويفتخرون به، إلى جانب كونه كتابَهم السماوي الذي لا يأتيه الباطل، ولا يجرؤ أحد على تقليده، بل على تقليد آية من آياته الكريمة، على

كثرة محاولات فحول الأدب على مر العصور كالمتنبي والمعري.

فصار القرآن الكريم كعبة الأدباء، وأمثولة الكتاب، وقدوة من يسير في ركب الأدب.

وذهب قول بعضهم مثلًا: «من أراد أن يكون أديبًا فليحفظ القرآن، وليمتثله في فنه»، ولذلك كثر حَفظته غيبًا منذ الصغر، وصار من يحفظ القرآن يتباهى - وحقُّه أن يتباهى - بأنه حافظ للقرآن،واشتهرت كلمة «حافظ» بين العلماء بأنها أعظم صفة يفتخرون بها، وغدت تطلق على العالم الحافظ العربي والأعجمي على السواء. وإذا أراد بعضهم أن يستخدم اللفظة بالأعجمية قال: «بُندار» أي الحافظ. ولفظ «بنداري» سائد أيضًا بين الأوساط العلمية.

ومن شاء علمًا من العلوم البحتة كان القرآن الكريم نبراسًا له،وما ضم القرآن من علوم كان معروفًا في الجزيرة،ففي مجال الفلك مثلًا لم يسبق لأمة كالعرب أن تكلمت على الفلك، وعلومُ العرب في الجاهلية في مجال الفلك كانت عظيمة نادرة، وقد حثهم القرآن على هذه العلوم، ليتوسعوا بها، وأساسهم ما علَّمهم إياه القرآن.

ونظرة خاطفة إلى المصطلحات الفلكية التي كانت معروفة في الجاهلية، وهي نفسها التي ورد ذكرها في كتب الفلك العربية، وهي نفسها أيضًا التي تملأ كتب الغرب الفلكية، بثوبها العربي الناصع. وما جاء في القرآن الكريم في الفلك وغيره من علوم، إلى جانب ما كان يعرفه العرب في الجاهلية هو الذي ملأ الصحف العربية، والذي انتقل إلى الغرب، وغدا نواة لحضارتهم اليوم.

نشأة الكتابة:

الكتابة هي الأداة الأولى في التدوين والتأليف، وهي أسُّ الحضارة الأولى.

وهل تكون حضارة بلا كتابة؟

وأرض الجزيرة العربية مهد اختراع الأبجدية، وحين عرف العرب الكتابة واكتشفوا الأبجدية كان العالم الآخر في ظلام دامس، وجهالة عمياء؛ لأنهم لم يكونوا يتصورون إمكانية وجود وسيلة للكتابة. ومجرد تفكير العرب باختراع الحرف دليل على حضارتهم العميقة والعريقة فكراً وعملاً.

ففي الألف الثالث قبل الميلاد فكرت شعوب ما بين النهرين بالكتابة، وتوصلت إلى الكتابة المسمارية، وكتب بها حمورابي ت١٧٥٠ ق.م شريعته الاقتصادية والسياسية حفرها على نُصب موجود في فرانسة يدل على تطور الكتابة، ودخولها في مجالات الحياة العامة.

وفي الحقبة المذكورة الألف الثالث قبل الميلاد ظهر شعب حضاري في أرض الشام وهم الكنعانيون، كانوا أصحاب حضارة في البناء والسدود، وكانوا تجارًا بحريين وبريين، والتجارة تتطلب الكتابة والحساب،ولذلك بلغوا في عبقريتهم أن اخترعوا أبجدية مختزلة سريعة القراءة والكتابة والحساب، وهي قريبة جدًّا من كتابتنا اليوم، ومن كتابة أهل أوروبة. هذه الأبجدية مؤلفة من أربعة وعشرين حرفاً يكتبون بها ما شاؤوا، وإذا أرادوا حسابًا يحسبون بها ما شاؤوا، بترتيبها رقمياً بالآحاد والعشرات والمئات،وهي التي تسمى اليوم «حساب الجُمَّل» ،وهي معروفة، والحديث عنها تكرار لما هو معروف مبذول.

والخط الكوفي نشأ في العراق، ووفد إلى الأنباط البتراء ، وعن طريق التجار العرب في الجاهلية حملوه معهم مع سلعهم إلى قلب الجزيرة العربية،وبه كُتِبَ القرآن الكريم عن طريق كُتَّاب الوحي، وبه كتب العرب ما شاؤوا قبل الإسلام وفي الإسلام[1] أكثر من ثلاثة قرون.

---

(١) من الخطأ أن نقول: بعد الإسلام؛ لأن الإسلام ليس حدثًا مؤقتًا كالميلاد.

التدوين في الإسلام:

ذكرنا أن القرآن الكريم كان النواة الأولى والعظمى في التأليف عند العرب، وأن كل المؤلفات الأولى نبعت من حاجة العرب إلى فهم مضامين الكتاب،لكنهم شُغلوا بالفتوح الجهادية حتى قبيل نهاية القرن الأول الهجري،ثم اتجهوا إلى التدوين.. تدوين ما عرفه العرب في الجاهلية من لغة، وشعر، وأخبار. فكان ذلك المرحلة الأولى من حركة التأليف الأدبي والعلمي.

وفي هذه المرحلة أيضًا اتجهت الأنظار إلى صقل الألف باء وترتيبها وتنقيطها وضبطها لتساعدهم على التأليف، وكي يسهل على القوم الإقبالُ على القراءة والكتابة والتدوين.

ولم يحلَّ الحكم العباسي في بغداد بدءًا من عهد أبي جعفر المنصور، حتى استيقظت الأذهان على أهمية العلم والمعرفة، فبدؤوا بترجمة الكتب العلمية التي تنفعهم في حضارتهم الجديدة. فكان - في المرحلة الثانية - لا بدَّ من معرفة ما عند الأمم الأخرى من علوم.. فنقلوا الحساب والهندسة والفلك عن الهنود، ونقلوا قواعد تنظيم الدولة عن الفرس الأعاجم، ونقلوا الفلسفة والمنطق وسائر العلوم العقلية عن الإغريق.. ونشطت حركة الترجمة، وظهر مترجمون سريان وعرب ينقلون ما يحتاج العصر إليه. وشجع الخلفاء - ولا سيما أبو جعفر والرشيد والمأمون - المترجمين، وسخوا عليهم بالمال لتسهيل أمور الترجمة.

ولما كثرت الكتب الوافدة، والمترجمة، والمؤلفة، مسَّت الحاجة إلى إنشاء مكتبة جامعة للعلماء ولرواد المعرفة، فكان «بيت الحكمة» أول مؤسسة ثقافية عربية كبيرة،حتى صار حديث العلم والترجمة والتأليف حديث الخاصة من الناس والعامة.

وفيما كانت الترجمة والتأليف العلمي على أهبتهما كانت حركة التدوين في مثلث جامع هو البصرة والكوفة وبغداد،فكانوا يترصّدون البداة الوافدين لينقلوا عنهم ما عندهم من مفردات، وأشعار، وأخبار جاهلية وإسلامية،وأقبل العلماء على تدوين ما يصل إليهم ضمن رسائل صغيرة في موضوع خاص كأسماء الخيل، وأسماء الإبل، وأشعار القبائل...

ولم يهلَّ القرن الثالث حتى تحوَّل التدوين إلى التأليف، والرسائل إلى معجمات، والكتيبات إلى مؤلفات، حتى عُدَّ القرن الثالث العصر الذهبي في التأليف والإبداع وكان التأليف والتعريب على قدم وساق وتلاحُم،إضافة إلى التأليف التخصصي؛ فهذا الجاحظ ت ٢٥٥هـ رأس الهرم الثقافي الأدبي، العلمي، التخصصي؛ فهو أديب لا يُضارع في كتابه «البيان والتبيُّن»[1]، وهو العالم المطلع على الكتب العلمية المترجمة عن الإغريق في كتابه الضخم «الحيوان» وهو في كتابه «البخلاء» الأديب المتخصص في موضوع واحد،ولا يقلُّ عنه شأنًا ابن قتيبة، وجابر بن حيان وغيرهما.

وإلى جانب الأدباء التخصصيين ظهر علماء اللغة كالفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، الذي لا ندَّ له في صناعة أول معجم لغوي، وأول من وضع قواعد العروض، وواضع النقط والتشكيل، وأبي زيد، والأصمعي، وقُطرب وغيرهم.

وسبق الأدباء واللغويين علماءُ النحو في خدمة القرآن واللسان،فإذا كان أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) واضع علم النحو، فإن سيبويه (ت ١٨٠ هـ) صار إمام النحاة، فألف كتابه «الكتاب» الذي لم يؤلف مثله قطٌّ، وهو تلميذ الخليل،وغدا - كأستاذه - قدوة العلماء في العصور التالية.

---

(١) نرى أن الاسم الصحيح هو ما ذكرناه؛ فالبيان الذي يعني الشرح، يلزمه تبيُّنٌ من الآخر؛ لأن البيان والتبيين مترادفان، والجاحظ لا يخطئ في تسمية كتابه، فهو مؤلفه ومنشؤه.

وصاقبَ هذه الحركات التأليفية كتبُ تراجم رجال القراءات والحديث، والذي غدا هذا العلم أساس تأليف كتب التاريخ. ونبغ في هذه الحقبة المبكرة عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) من أهل البصرة، وهو صاحب «السيرة النبوية» الذي رواه عن ابن إسحاق، وعدد آخر من كتب الأدب والتاريخ،وسرعان ما ظهرت موسوعات التاريخ العظمى مرتبطة بكتب التفسير، وأشهر من قام بهذا العبء العلمي العظيم محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) والذي ألف كتابه «تاريخ الطبري» في أحد عشر جزءًا، و«تفسير الطبري» للقرآن الكريم في ثلاثين جزءًا.

وفي هذا العصر الذهبي الفاخر برزَ علمان كبيران في ميدان الحديث وتدوينه، وهما متعاصران؛ الأول هو الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) صاحب «الجامع الصحيح» المعروف بصحيح البخاري، ومؤلفات أخرى، والإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) صاحب «صحيح مسلم»،وقد أمضى هذان العالمان شطرًا كبيرًا من عمريهما في جمع الحديث وتدوينه فكانا أستاذي فن جمع الحديث النبوي.

إلى غير ذلك من عشرات الموضوعات ومئات الكتب العظيمة النادرة،ولم نتكلم على عصر الموسوعات، ولا عصر المعجمات الضخمة الجامعة، ولا شتى العلوم الخاصة والمعارف العامة. وما ذكرناه أو أشرنا إليه نقطة من بحار مؤلفات العرب، وهي الكنوز التي شغلت العالمينَ في العالمِين، وكانت نواة خزائن العرب الحافلة في خزائن المكتبات. وكانت خيرًا على البشرية، ولا سيما الحضارة الغربية.

ولم نأتِ على مؤلفات المغرب، ولا الأندلس، ولا شنقيط، ولا صقلية، ولا أقصى ما في الشرق المسلم البعيد، ولا في الشمال في جنوب روسية، مما لا يمكن الحديث عنه، لكن القطرة التي ذكرناها وحَلَّينا بها ريق أهل العلم كفيلة

بأن تدلنا على أهمية التدوين والتأليف عند العرب.

وإذا كنا ذكرنا توجه المؤلفين العرب نحو التأليف التخصصي، والكتابة بموضوع واحد، علميًّا كان أو أدبيًّا أو تاريخيًّا.. فإن مؤلفينا كانوا من الحصافة بمكان أن شرعوا يتفننون في تقسيم الكتاب إلى فصول يعالجون فيها بإسهاب بعض الموضوعات، فظهرت بفضلهم كتب غنية بالثقافة مثل: عيون الأخبار لابن قتيبة، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ)، وقبلهما جابر ابن حيان في مؤلفاته التوسعية التثقيفية، وإخوان الصفا في رسائلهم العلمية والفكرية.

كما راعى المؤلفون العرب أوضاع القراء النفسية في كتاباتهم، حين شرعوا في المؤلفات الموسَّعة، فأدخلوا ما يدعى عندهم «الإطناب» المتعمد، والنوادر، والمِلَح، والأخبار الطريفة ليخففوا عليهم عُسر مطالعة مؤلفاتهم المتعددة الأجزاء. ناهيك عن الموسوعات الضخمة كصبح الأعشى ونهاية الأرب.

فلا عجب أن يقدِّر المحققون اليوم تراث أجدادهم العظيم المكتوب بالأمس الغابر لينهضوا لخدمته، وإعلاء شأنه والتعريف به، ونشره بما يستحقه ويستأهله وهم أولى من غيرهم بنشر تراثهم، وأفضل لهم وأكثر فخرًا أن يعتني الأحفاد بما ورثوه عن الأجداد، وإنهم لقادرون،ومعظم ما نشر حتى الآن يدل على كفاءتهم وغيرتهم وحسن صنيعهم. فليثابروا والله في عونهم.

* * *



الباب الأول

التحقيق
مفهومه وأصوله ومناهجه
ومدارسه وطرائقه



الفَصْلُ الأَوَّلُ
تلاقح الحضارات

يقول غوستاف لوبون(١): «مضت مدة طويلة قبل شعور أوروبة بهمجيتها، ولم يبدُ ميلها إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الميلادي .. فلما ظهر فيها أناس ورأوا أن يرفعوا أكفان الجهل عنهم، وَلَّوا وجوههم شطر العرب».

بزغ كوكب الحضارة العربية منذ مطلع العصر العباسي، وبلغ أوجَ أواره في القرنين الثالث والرابع الهجريين،ونعمَ العرب بحضارتهم قرونًا مديدة، في وقت كان الغرب يعيش في غياهب الجهل وحالك الظلام. وما كانوا يظنون أن الأمم في مشرقهم تحيا في نعيم المعرفة وسعادة الحضارة.

ولم يكن العرب يضنون بما وهبهم الله من علوم، وبما قدحت عقولهم من معرفة.. وها هو ذا المشرق يقتبس من حضارة العرب ويغترف من علومهم، وسرعان ما تتلمذوا على العرب في حب العلم، وشاركوهم الارتقاء به،وانتشر ألق الحضارة العربية إلى شمالي إفريقية غربًا، ودخل الأندلسَ مع جيوش الفتح، فلمعت شعلة المعرفة في المشرق وشعلة المعرفة في المغرب،وبدأ قبس نور المعرفة يتسرب نحو الغرب، فينير شعاعه طريقهم إلى النور العلمي من أقصاه إلى أقصاه.

وساعد الغربَ الحظ أن توافدت المعرفة العربية عليهم من ثلاث جهات؛ من الشرق، ومن الوسط، ومن أقصى المغرب.

---

(١) من كتابه «حضارة العرب» بفصل عنوانه: «تأثير العرب في الغرب». ترجمة محمد عادل زعيتر.

وتوزعت قنوات المعرفة على أطراف أوروبة مدة لا تقل عن قرنين أو ثلاثة قرون ومن هذه القنوات:

الحروب العربية البيزنطية: كان البيزنطيون- وقبلهم الرومان- في حروب دائرة مع العرب وكانت تحتدم حينًا وتخبو حينًا في عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي. غير أن الحروب في العصر العباسي كانت متواترة، وكان هجوم العرب على البيزنطيين أكثر من هجوم البيزنطيين على العرب. لكن التلاحم بين الجيشين أفاد الغرب أكثر؛ فقد كانوا يُذهلون من حضارة العرب المتفوقة.

فكانوا يرون المدن، والحِرَف، والزراعة متفوقة جدًّا،وكم حملوا معهم من بغداد ومن الشام تحفًا وكتبًا! وهم أكثر ما أخذوا من مدينة حلب أيام حكم سيف الدولة الحمداني.. والتي كانت صورة لحضارة العرب، ونموذجًا لبغداد.

فنهبوا وسلبوا.. وما حملوه كان دليلًا على تقدم حضارة العرب.

إذ كان رسل الروم إلى بغداد وحلب يحملون معهم ما يرون،وكما كان الخلفاء يطلبون كتب الإغريق، كان هؤلاء يحملون كتب العرب،وبدأت معرفة الغرب للشرق تتوسع، وأقبل بعضهم على الاستعانة بالعرب لترجمة كتبهم، وبعضهم كان يأتي إلى بغداد لتعلم العربية وعلوم العرب.

طريق الحرير: هذا الطريق مَعلمة كبرى تنقل حضارة الشرق إلى الغرب، لتندمج الحضارتان وتنطلقا نحو الغرب.. سواء بالسلع وسواء بالعلوم والمعارف.

وقد أدرك سوق الغرب أهمية طريق الحرير، فكانوا يتصيدون وصول القوافل إليهم عبر حلب والإسكندرونة. ولا نستبعد مطلقًا، ونكاد نؤكد، أن تنقل بعض الكتب العربية والاختراعات المتميزة معها.

حروب الفرنجة: امتدت حروب الفرنجة في الأرض العربية -والمسماة

خطأ بالحروب الصليبية- حوالي قرنين من الزمان،وسبب هذه الحروب هو حرب الحضارات لتخلف الغرب آنئذ،وهي أشبه بحرب المغول المتوحشين للمشرق الإسلامي بهدف تدمير الحضارة وإخفات شموع الأنواع العلمية.

وكما أن المغول حيث ارتدوا وأدركوا حضارة العرب أسلموا وأخذوا يخدمون علماء الإسلام في إيران والهند، فإن الفرنجة حيث عادوا مُخفقين من حروبهم بعد حطين وما بعدها، حملوا تراثًا نادرًا من الشرق العربي بدءًا من مصابيح الأضرحة وانتهاء بالكتب والعلوم.

وكان الحجاج قبلهم وفي إبَّان وجودهم وبعده يتشوَّقون لزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين العربية، ويحملون معهم هدايا ثمينة وأحاديث المعرفة عند العرب.

الأندلس المفقود: للعرب في الأندلس أن يفخروا برسالة محفوظة حتى اليوم، كتبها ملك ويلز في بريطانية العظمى إلى الخليفة الأموي الأندلسي الشامي هشام بن الحكم في قرطبة، يقول ما ترجمته:

«... سمعنا عن الرقيِّ العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهدُ العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودُها الجهلُ من أربعة أركان..» [(١)].

فإذا اعترف غوستاف لوبون الفرنسي (ت ١٨٠٤م) بالجهل المطبق على أوروبة فإن ملك ويلز (ق ١١ م) سبقه بزمن طويل رسميًّا وملكيًّا،وقد كان البابا «سِيلفيستر الثاني» أحد تلامذة قرطبة الأندلسية في مطلع القرن العاشر الميلادي.

---

(١) تاريخ الحضارة الإنسانية: ١٥٥.

لقد كان الأندلس نبراس العرب في المغرب يشعُّ على أوروبة كلها لقربه من أقصى الغرب. وكان الطلاب الأوروبيون يتوافدون زرافاتٍ زرافات على عواصم الأندلس: قرطبة؛ إشبيلية؛ طليطلة،... يتعلمون العربية، ويدرسون في معاهدها، ثم يعودون حاملين علومهم وكتبهم التي درسوا فيها أو أحبوها،وأقرّوا كثيرًا من الكتب العربية في معاهدهم ومدارسهم. وظلوا على التواصل مع الأندلس حتى إلى ما بعد رحيل العرب عنه.

لن نتحدث عن العلوم العربية في الأندلس؛ فما من عربي لا يدرك فضل أهل الأندلس على تفتح أذهان العصور الوسطى في أوروبة بسبب احتكاكهم الكبير.

وقد ظلت الكتب العربية في الأندلس حتى اليوم - على رغم حرق كثير منها بأمر محاكم التفتيش - ويرجع الفضل في بقاء جزء مُهمٍّ منها إلى الأندلسيين الذين آثروا الدخول في دين المسيحية من ترك ديارهم، كما يرجع الفضل العظيم إلى العرب «الموريسك» الذين خبؤوا كنوزهم بين الجدران على أمل عودتهم يومًا.

وها هي ذي مكتبة «الأسكوريال» تفخر بما تحوي من هذا التراث العربي الأصيل.

قلب أوروبة: وجاءت صحف المعرفة والنور إلى قلب أوروبة عن طريق صقلية وجنوبيِّ إيتالية، وقد كان في صقلية وحدها قرابة سبعين مدرسة عربية تعلم الغربيين.

وكانت علوم العرب تنطلق من قلب أوروبة إلى فرانسة وبريطانية غربًا وإلى الشعوب الجرمانية شمالاً.

وحتى ملوكهم مثل روجار كانوا يحبون العربية، ويشجعون على تعلمها

ونقل علوم العرب إليهم،وكانوا يكرمون العلماء العرب ويحضونهم على زيارتهم. وتاريخُ الأغالبة يثبت انتشار العرب في جنوبي أوروبة منذ القرن التاسع الميلادي.

ومعروف أن محمدًا الإدريسي (ت ٥٦٠هـ - ١١٦٥م) أحد كبار العلماء الجغرافيين والذي صنع للملك روجار كرة أرضية من الفضة، هو الذي أشار إلى احتمال وجودة قار أمريكة في وسط المحيط الأطلسي لتوازن الماء مع اليابسة.

هذه الإحاطة الشاملة والموجزة عن تسرب العلوم إلى الغرب دلت على أن حضارة الغرب أشرقت عليها من شمسَي العرب: شرقًا وغربًا.

وكانت وسيلة أساسية لانتقال مؤلفات العرب إلى الغرب، فأفادوا منها ودرَّسوها. ثم باشر أحفادهم بتحقيقها باسم الاستشراق. وهذه الكلمة وحدها تعني إشراق حضارة العرب على أوروبة كلها. وهذه الكتب الخطية محور بحثنا كانت محور بحوث من سبقنا في هذا الميدان.

ولم يكتفِ العرب بنقل حضارتهم إليهم، بل كانوا جسرًا ثقافيًّا مهمًا لنقل ثقافة الإغريق إليهم أيضًا،فالغربيون ـ كما هو معلوم ـ لم يأخذوا حضارة اليونان عن اللاتينيين ولا الرومان، بل جاءتهم مترجمة ترجمة نادرة عن العرب،حتى إن اليونان - إلى عهد قريب- كانوا يتفقدون تراثهم الضائع في خزائن الكتب العربية في ديارنا وديارهم.

والعالم اليوم يتكلم على تلاقح الحضارات، ووجوب تجاوب الثقافات بعضها ببعض، ولن يجدوا خيرًا من هذا التلاحم القديم الجديد في هذا التراث الذي أغنانا وأغناهم، وأضعناها نحن مع الأسف بتهاوننا، ولم يضيعوه لحرصهم عليه.

يقول سارتون: «إن بعض المؤرخين يحاول أن يبخسَ قدر ما قدَّمه العرب للعالم، ويصرِّحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة، ولم يضيفوا إليها شيئاً،وهذا الرأي خاطئ، وإنه لعمل عظيم أن ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانية، ويحافظوا عليها. ولولا ذلك لتأخر سيرُ المدنية قرونًا عديدة».

ويتابع سارتون كلامَهُ: «إن العرب كانوا أعظم معلمين في العالم، وإنهم زادوا على العلوم التي أخذوها، ولم يكتفوا بذلك، بل أوصلوها إلى درجة جديرة بالاعتبار من حيث النموُّ والارتقاء».

ويتحدثون اليوم عن تلاقح الحضارات وتلاقي الثقافات، وما دروا أن المخطوطات العربية حققت هذه المعادلة بجدارة منذ عدة قرون،وكلام علمائهم يبرهن على هذا التلاقح الذي سبق فيه العرب سائر الأمم، فقد قال لكلرك مؤرخ الطب العربي: «كان يوجد بطليطلة تسعون كتابًا مترجمًا عن العربية إلى اللاتينية في الطب، منها أربعة لأبقراط، وخمسة وعشرون لجالينوس والباقي (٦٩) كتابًا لحكماء العرب والمسلمين».

وإذا كنا اليوم نُحيي تراثنا لنا ولأبنائنا لنذكرهم بما فعل أجدادهم، فلعلهم يجعلونهم قدوة لمستقبلنا ومستقبلهم، فإن علماءنا ألَّفوا للإنسانية جمعاء لحاضرنا ومستقبلنا،فلذلك علينا ـ ونحن نحيي هذا التراث العظيم ـ أن نحافظ عليه وعلى طريقة إحيائه بتحقيقه وإخراجه؛ لأنه مرآة حضارتنا وتاريخنا، وانعكاس بتأثيرنا في حضارات العالم،ولولا هذا التراث العلمي والإبداعي لتأخر ركب الحضارة والتقدم في العالم.

ويقول المستشرق رينولد نيكلسون (ت ١٩٤٥م): «وما المكتشفات اليوم تُحسب شيئًا مذكورًا إزاءَ ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلًا وضَّاء في القرون الوسطى المظلمة في أوروبة».

وما دام خير المستشرقين اعترفوا بهذا التراث الثمين الذي رفعهم من الحضيض وخلصهم من ظلمة الجهل، فإن علينا أن نردَّ بعض جميلهم في التنويه[1] بهمتهم بإحيائه ثانية،وعملهم هذا ـ اليوم ـ خير لنا ألف مرة في إثباتهم لتلاقح الحضارات الشرقية والغربية.

* * *

(١) التنويه: الإشادة (بالدال)، لكن بعضهم يستخدمونها بمعنى الإشارة (بالراء) خطأ.

انتشار المخطوطات العربية

امتاز العرب منذ مطلع التدوين والتأليف بنشر عدد من الكتب التي يكتبونها في شتى العلوم والفنون، مما اضطر عددًا من المؤلفين إلى تأليف ما يسمى بكتب الكتب، والذي غدا يعرف اليوم بالببليوغرافيا - Bib Liography- والذي يعني المصادر بأنواعها، وعلم معرفة المخطوطات والذي عَرَّفه العرب القدماء بأنه علم إحصاء الكتب بحسب علومها وفنونها.

وقد ألف العرب كتبًا عديدة في الكتب، ذكروا فيها قوائم المؤلفات التي عرفت حتى زمانهم،وذلك منذ أحسَّ العلماء بضخامة ما أُلِّف، وصعوبة إحصائه وعسر معرفة اتجاهه،**وقد أردنا في هذا الفصل استعراض بعض هذه الكتب؛ لنستدلَّ بها على ضخامة المؤلفات العربية، وانتشارها في الأمصار.**

ولا بد أن نشير إلى جهد هؤلاء العلماء الذين أحصوا الكتب بدأبهم الخاص، مما تعجز عنه المؤسسات الثقافية الحديثة في كل تقنياتها.

وفيما يلي جانب من جهود هؤلاء المؤلفين باستعراض بعض مصنفاتهم:

١- **الفهرست**: للنديم[(١)] (ت بعد ٤٠٠هـ)[(٢)]، وهو أول كتاب مفصَّل من نوعه في جمع أسماء الكتب وتقسيمها إلى فنون محدَّدة، ويعدُّ الفهرست أول مصدر يرصد النتاج الفكري والعلمي عند العرب والعجم،وقد استطاع المؤلف أن يصنف هذا الكتاب؛ لأنه كان يعيش مع أبيه الثريِّ الورَّاق، ويتعلم منه الوِراقة، ويقابل عددًا من كبار المؤلفين الذين عُرفوا في زمانه كالسيرافي،

---

(١) يسميه بعض السادة الباحثين بابن النديم خطأ؛ لأن اسمه محمدُ بنُ إسحاقَ النديمُ وقد سُبق النديم بأكثر من محاولة إلا أن محاولاتهم لا تستحق أن تذكر.

(٢) انظر كتابي: لمحات من تراثنا.

وأبي الفرج والمرزباني كما ساعده على النجاح أنه عاش في عصر الازدهار في التصنيف.

وقد قسم كتابه إلى عشرة أقسام، سَمَّى كل قسم «مقالة»، وقسم كل مقالة إلى مجموعة من الفنون، ورصد في كل فن مجموعة كبيرة من المؤلفات،ففي المقالة الثالثة مثلًا والتي خصَّها للأخبار، والآداب، والسير، والأنساب، والندماء، والمغنيين وضم في كل فرع ما ألف من الكتب حتى زمانه، ويعرِّف كذلك بأصحاب الكتب بإيجاز.

٢- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**[١]: ألفه طاش كُبرى زاره (ت ٩٦٢هـ) في خمس مئة فن وعلم، ووسَّعه ابنه كمال الدين، وألحقَ عليه مجلدة كبيرة،وقد ضمَّ إلى جانب العلوم تراجم وأسماء كتب لهم كثيرة جدًّا.

٣- **أسماء الكتب**[٢]: ألفه عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده، وهو من علماء القرن الحادي عشر الهجري،عُثر على الكتاب بلا عنوان، فوضع المحقق له عنوانًا يقرب من المضمون،وقد ضم الكتاب تعريفًا بقرابة ثلاثة آلاف كتاب، عرف بها وبأصحابها، وهو من كتب الكتب المهمة؛ لأن مؤلفه كان شيخ حاجي خليفة والذي أفاد من كتابه، لكن حاجي خليفة توسع في كتابه أكثر.

٤- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مضى قرابة ستة قرون على تأليف «الفهرست» لم يظهر فيها كتاب في «كتب الكتب» يستحق الذكر، إلى أن ظهر أعظم كتاب في موضوعه بين العرب والعجم هو «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، وقد أمضى مؤلفه قرابة عشرين سنة في جمع مفردات كتابه وترتيبها، وكان قد بدأ بجمع مادة الكتاب بحلب، لكنه أنجز تأليفه في

---

(١) طبع في الهند، كما طبع بمصر سنة ١٩٦٨م.

(٢) طبع أسماء الكتب بمصر ثم أعيد طبعه بدمشق ١٩٨٣م.

إستانبول مسقط رأسه.

ضم الكتاب تعريفًا بأربعة عشر ألفًا وخمس مئة كتاب، وتعريفاً بثلاث مئة علم وفن مما كان معروفًا في زمانه، ورأى كثيرًا من هذه الكتب بنفسه،وقد استطاع المؤلف أن يرصد التراث العربي بعلومه وفنونه كافة على مدى عشرة قرون باللغات الإسلامية الثلاث: العربية، والفارسية، والتركية منذ بدء التدوين في العصر العباسي حتى زمانه،ورتب مواده بجزءين ضخمين على التسلسل الهجائي.

ولا يمكن للمحقق أن يستغني عن هذا الكتاب؛ لأنه أولاً يدله على زمان وجود المخطوطة التي يرجع تحقيقها حتى زمان حاجي خليفة،ويأخذ منه تعريفًا بالمخطوطة وبمؤلفها، وقد يذكر له أسطرًا من أولها، ومن سبقه من المؤلفين في الموضوع، أو من شرحها أو علق عليها أو اختصرها، مع ذكره لأسماء كتبهم وسنوات تأليفها.

فالكتاب كنز ثمين يدل على مدى انتشار الكتب في العالم العربي والإسلامي، وعدد النسخ المنتشرة، إضافة إلى كشف المخطوطات، وهو أساس حاجي خليفة في تأليف عنوان الكتاب، وهذا من حسناته[١].

٥- إيضاح المكنون[٢]: أحدث ظهور «كشف الظنون» ضجة كبرى في أوساط العلماء، وأدركوا أهميته العظيمة في انتشار المخطوطات في العالم. واطلع عليه العلماء وأكبروا فيه هذه المادة الضخمة، وقد أحب إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) وهو العالم بالكتب أن يؤلف ذيلًا على كشف الظنون، فألف

---

(١) طبع كشف الظنون من غير تحقيق أولًا في (لايبزيغ) عام ١٨٣٥م، ثم طبع في مصر. وأفضل طبعة له في استانبول ١٩٤١م، وهي الطبعة المتداولة.

(٢) طبع إيضاح المكنون باستانبول سنة ١٣٦٤ و ١٣٦٦هـ.
طبع معجم سركيس بمصر عام ١٩٢٨م.

كتابه هذا بجزءين ضخمين ذكر فيهما أسماء ما سها عنه حاجي خليفة.

وقد غدا الذيل ملحقًا بالأصل لا يستغني عنهما المحققون الباحثون عن المخطوطات الموجودة حتى زمان المؤلفين،وله أيضًا «هِدية العارفين؛ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»،وهو أيضًا من كنوز معرفة الكتب.

٦- **معجم المطبوعات العربية والمعربة:** وضعه يوسف بن إليان بن موسى بن سركيس الدمشقي المولد، المصري الإقامة (١٢٧٢-١٣٥١هـ)، كان يوسف تاجر كتب ونقود، فجمع في كتابه أسماء الكتب التي طبعت في زمانه المخطوط منها والمؤلف، في عشرة أجزاء بمجلدين ضخمين،وهو مرجع مهم جدًّا للمخطوطات العربية التي طبعت حتى زمانه، وعرَّف بمؤلفيها وبمحققيها.

وقد اشتهر باسم «معجم سركيس» والذي يعد من أثمن الكتب في ميدان المحققات المطبوعة، وفتح بابًا واسعًا في جمع الكتب بعده وضمها في كتب تكمل عمله هذا،وقد نال بعض طلاب الدراسات العليا شهاداتٍ تذييلًا لهذا المعجم.

٧- **خزائن الكتب العربية في الخافقين:** من تأليف فيليب دي طرازي (١٨٥٦-١٩٥٦م) مؤسس المكتبة الوطنية ببيروت،فهو ذو خبرة في عالم الكتاب،وقد أحصى في كتابه هذا عدد المكتبات العربية في العالم التي تتجمع فيها الكتب المخطوطة، فكان قرابة ألف وخمس مئة كتاب ضمت المخطوطات والمطبوعات، والتي بلغ عدد مجلداتها ٢٦٢ مليون كتاب حتى زمان تأليف الكتاب الذي طبع عام ١٩٤٧م في بيروت.

ولا شك أن عشرات الآلاف زادت على المكتشف من المخطوطات، وعلى ما طبع من تحقيقات وتأليفات.

٨- **تاريخ الأدب العربي**: ألفه المستشرق الألماني بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م) وقد ألفه بالألمانية وطبعه تباعًا بدءًا من عام ١٨٩٨م،وترجمه عدد من العلماء العرب،والذي يهمنا من مضمون هذا الكتاب أنه أحد مصادر البحث والتنقيب عن مئات المخطوطات التي ألفت في الأعصر الإسلامية،فقد نبش بروكلمان أسماء المخطوطات دفينة وحدَّد مواضعها في الخزائن الإسلامية، وأرقامها. وله فضل عظيم، وهو سند أساسي لمعرفة المخطوطات وأوصافها ومواضعها،وهو صحيح تمامًا، وسيرد ذكره في موضع آخر.

ومع أن مخطوطات كثيرة اكتشفت بعد طبع الكتاب، فإن أهميته كبيرة كونه أحدَ مفاتيح المخطوطات التي لا يستغني عنه المحققون،ودلَّ على كثير من كنوز العرب والمسلمين وحدَّدَ مواقعها.

٩- **تاريخ التراث العربي**: ألفه فؤاد سيزكين باللغة الألمانية، وهو تركي يجيد العربية، وعمل زمنًا في «معهد التراث العلمي» بجامعة حلب.

وقد هدف مؤلفه إلى تدارك ما فات بروكلمان،ولذلك «قسم كتابه على غرار تقسيم بروكلمان لكتابه،وقد حرص على ألا يكرر المعلومات، إلا إذا كان الأمر متصلاً بجديد فيها»(١).

فكتاب سيزكين ذيل لكتاب بروكلمان، طبع على أجزاء بالألمانية كما بدئ العمل على ترجمته إلى العربية منذ عام ١٩٧٠م، وقد ضم تعريفًا بعلوم: القرآن، والحديث، والشعر، والأدب، والطب، والكيمياء، وعلم الحيوان، والنبات، والرياضيات، والفلك. وذكر مع كل علم قائمة بفهارس المكتبات وقوائم المخطوطات عن هذه العلوم، والمحفوظة في أربعين دولة،وقد زارها كلها وعَرَّفَ بكنوزها، وكان ثقة.

(١) منابع التراث: ٢٢٣.

١٠ - **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**: ألفه آقا بُزُرْك الطهراني، في خمسة وعشرين مجلداً، ضمت تعريفًا ببضعة آلاف من الكتب المخطوطة والمطبوعة، وتأتي أهمية الكتاب من تخصيصه لمذهب المؤلفين، وحرصه على إبراز هذه الكتب المخطوطة النادرة، وقد كان يُعَرِّف بالكتاب وبمؤلفه، والمصدر الذي استقاه، والمؤلفات الأخرى له.

ولو شئنا أن نعدد المؤلفات التي عرفت بالكتب المخطوطة لما حواها هذا الكتاب، ولأبدينا عجزنا، وهو الذي أعجز العلماء قبلنا، ولكن نذكِّر بكتب تاريخ الأدب ولا سيما كتاب جرجي زيدان، وكتاب عمر فروخ بأجزائه الستة. وكذلك الكتب التي عرَّفت بالأعلام والمؤلفين مثل: معجم الأدباء لياقوت، ووَفيات الأعيان لابن خلِّكان وذيوله، ويتيمة الدهر للثعالبي وذيوله، والكواكب السائرة للغزي، وخلاصة الأثر للمحبي وما قبلهما وما يليهما، وما ضمت هذه الكتب من تعريف بالرجال[1] وبمؤلفاتهم.

مما يدل على مدى اتساع رقعة الكتب المخطوطة في العالم المعروف منها والمفقود، **وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن موضوعين مهمين جدًّا، هما:**

- ضياع المخطوطات.

- وضخامة عدد المخطوطات.

ضَياع المخطوطات:

كانت النكبات التي حلت بالعرب والمسلمين كحروب الفرنجة بالشام، ودخول قرابة مليون فرنجي إلى البلاد العربية، وهجوم قبائل يأجوج ومأجوج المغول التي داست حضارة أسست على مدى مئات السنين، والإسبان الذين

(١) قولهم: كتب الرجال، يعني الرجال والنساء جميعاً.

طردوا العرب وأحرقوا كتبهم في الأندلس بعد تأريخ لتراث المسلمين الأدبي والعلمي قرابة سبعة قرون.. كل هذه الويلات كفيلة بأن تُيبس الأخضر وتُضيع كنز الأمة.

إضافة إلى الكوارث الطبيعية كالزلازل والأعاصير، والتي كانت سببًا مؤلمًا وعظيمًا في محو جزء عزيز من تراث العرب والمسلمين، ولا سيما النتاج العلمي والفكري الذي كان محفوظًا في خزائن المخطوطات.

على أن ما يُثلج القلب قليلًا، ويدعو إلى التفاؤل أن المخطوطات كانت موزعة في عواصم العالم الإسلامي من بخارى وسمرقند، إلى الأندلس والمغرب، مرورًا بالإمارات الإسلامية شرقًا، والدول العربية غربًا، مما أسهم كثيرًا في الحفاظ على كثير مما ظُنَّ أنه فقد. فالمكتبات في الهند، وبعض أطراف العراق والشام، واليمن والمغرب، وروسية الإسلامية، وما نقله الفرنجة من الشام ومصر وحفظ في خزائن الغرب، ظلت عامرة،ولذلك ما زلنا نجد -بحمد الله- مئات الآلاف من الكتب المخطوطة، إضافة إلى أن الله تعالى حفظ بعض الأمصار من إعصار الجهل المغولي، كاليمن ومصر والحجاز،ونظرة متفائلة إلى ما بقي تزيل التخوُّف مما ضاع بطريق التشاؤم.

وفي رأيي - مع شديد ألمي - أن ما أضاعته أيدينا بالجهل والتفريط، والإهمال والعماية يفوق ما فعله الأعداء بتراثنا؛ فكثير من ضياع المخطوطات حصل بعد حملات الفرنجة وإغارات المغول. فبعضهم يحرق المخطوطات، خوفاً على الحرف المقدس، وبعضهم يبيع ما عنده لتجار نخاسة المخطوطات. فما زال تجار المخطوطات يترصدون المكتبات الخاصة، ويتسللون بين العائلات الفقيرة أو الجاهلة، فيشترون منهم المخطوطات بثمن بخس من أرضنا الطاهرة؛ ليبيعوا ما يحصدونه إلى جهات مجهولة، فرحًا بقروش يظنونها ثراءً.

إلى جانب الطائفية والمذهبية التي تفشت مؤخرًا تعصبًا وحقدًا، فيحرقون ما يعثرون عليه انتقامًا، إلى جانب غيورين على المخطوطات، فيخبئونها في صناديق معدومة الهواء والرعاية، فتهاجمها الأرَضة، وتعيث فسادًا في سوادها، وتقضم النقاط والحروف،وكان المفروض بهم أن يقدموها إلى المكتبات الوطنية في بلادهم، وهو المكان الآمن لها، والذي يلقى الرعاية المأمولة.

فلو أننا أذعنا الوعي بين الناس، وأغريناهم بشراء ما عندهم لأوطاننا، ولو أننا اهتممنا بما لدينا، وتتبَّعنا المخبوء في بعض الأرجاء الإسلامية النائية مثل ناجيكستان، وقَزاخستان، واليمن، ومئات المكتبات والخزائن الخاصة لاستعدنا بعض ما فُقد، ولعادت إشراقة شمس التراث إلى طبعها الزاهي.

ويبقى على المؤسسات الثقافية التراثية الثريَّة أن تسعى إلى تكليف المحققين وعشاق المخطوطات بالعمل على تحقيق التراث، كلٌّ بحسب اختصاصه، ومدِّ يد العون لهم ماديًّا ومعنويًّا، وبهذا نكون قد دفعنا عجلة التحقيق من جديد، واتجهنا نحو عملية إحياء المخطوطات التي لما ترَ النور،ومن المؤلم جدًّا أن نجد الناشرين يعزفون عن نشر الكتب التراثية المحققة، بحجة أن سوقها غير رائجة،وأذكر أنني منذ سنوات دفعتُ إلى ناشر صديق في الرياض مخطوطة تعبتُ في تحقيقها وتحشيتها، فجاءني رفضه، في حين أنه أبدى استعداده لطبع أي كتاب غير تراثي.

ضخامة عدد المخطوطات:

لا أحب أن أسمع من يقول: لم يعد عندنا تراث، ولا أن ضاع تراثنا ولا شبيه هذه الأقوال، ذلك أن الخير موجود، وما بقي عندنا هو الخير المحمود.

فالذي قلل من ضياع كثير من المخطوطات حرفة النِّساخة التي عرفت

عند العرب منذ القرن الثالث الهجري،ولعل العرب هم أول من أوجدوا هذه الحرفة المهمة. فما كان أديب أو عالم يؤلف كتابًا، وتصل منه نسخة إلى الورَّاق، حتى يتسابق النسَّاخون إلى نسخه عشرات النسخ، ولا سيما إذا كان الكتاب من الكتب المهمة والمرغوب فيها.

فقد ذكر الجاحظ - وهو من النسَّاخين - ضخامة خزانة كتب يحيى البرمكي وأنها كانت تضم ثلاث نسخ من الكتاب الواحد،وقد اشتهرت خزائن مكتبة الحمدانيين في حلب والفاطميين بمصر بكثرة عدد النسخ للكتاب الواحد.

فقد كان في خزانة الفاطميين ثلاثة آلاف نسخة من معجم «العين» للفراهيدي، ومئة نسخة من «الجمهرة» لابن دريد، ومئات النسخ المختلفة الخطوط من «تاريخ الطبري» على ضخامته.

وحين دخل هولاكو قلعة «أَ لَـمُوت» عاصمة الحشاشين فوجئ بخزائن مفعمة بالمخطوطات. وحين أراد حرقها رجاه وزيره نصير الدين الطوسي أن يأخذ الكتب لحاجته إليها، فسمح هولاكو بذلك. وهي كلها مؤلفة أو منسوخة عن أصولها.

فحاجة العلماء إلى ما يؤلف أوجدت حرفة الوِراقة، التي أساسها حرفة النساخة. وقد كان الوراقون موزعين في الأمصار، ولَدى كل ورَّاق من يشتري له النسخ التي تباع في العواصم كبغداد ودمشق والقاهرة والأندلس والمغرب وبخارى وسمرقند،كما أن لكل وراق دارًا خاصةً بالنساخة حيث يجلس فيها النساخون، لينسخوا ما يأمرهم به الوراق وقد كان بعض العلماء والأدباء يعيشون من نسخ الكتب المشهورة.

وكان لكل علم كتبه وعشاقه ومقتنو مؤلفاته. وكان الناس وطلاب العلم

يقبلون -مثلًا- على اقتناء كتب الحديث، ولا سيما صحيحا البخاري ومسلم، وعلى اقتناء كتب التفسير على ضخامتها وكان أهل الأدب يميلون إلى شراء ما يقع تحت أيديهم من كتب الأدب ودواوين الشعراء.

أما السوق الرائجة لمئات نسخ بعض الكتب، فهي سوق طلاب العلم، وتلاميذ الشيوخ المدرسين. فظهر ما يسمى بالكتب التعليمية، فكثرت المنظومات التعليمية في: الفقه، والأصول، والعروض، والبلاغة، والنحو، والصرف. ولعل «ألفية» ابن مالك خير مثال على كثرة عدد نسخها المتداولة في كل بلد وكل مدرسة.

وكذلك الأمر في الشهرة وكثرة عدد النسخ كتابا «الكافية» و«الوافية» في النحو لابن الحاجب (٥٧٠-٦٤٦هـ) والشروح العديدة عليهما، و«الشافية» في علم الصرف له أيضًا وحواشيها. وقد أشاد العلامة السيوطي بشهرة شرح الرضيِّ الأسترابادي (ت ٦٨٧هـ) لشرح الكافية، وذكر أنه لم يجد من بين شروحها خيرًا من شرح هذا العالم، وهذا دليل آخر على كثرة نسخ هذه المنظومات التي يتداولها طلاب النحو والصرف، وما من خزانة أميرية أو مدرسية أو خاصة إلا وفيها عشرات النسخ من ثلاثية ابن الحاجب الموزعة من أقصى المعمورة إلى أقصاها. وهذا ما يبرر وجود نسخ متفرقة في البلاد من كل كتاب مشهور.

أفلا يخفف هذا من تشاؤم علمائنا اليوم؟ بلا شك أن وجود حرفة النساخة يخفف من أسى العرب والمسلمين على ضياع قسم من مخطوطاتهم ووجود بعض يخفف من ضياع البعض الآخر.

إضافة إلى ما كانوا يترجمونه لهم من كتب الإغريق. حتى بلغوا مرتبة رفيعة في نسخ الكتب وترجمتها.

يذكر النديم صاحب «الفهرست» أن يحيى بن عدي النصراني اليعقوبي (ت ٣٦٤هـ)[١] كان ينسخ كتب التفسير والكلام،وقد برع في هذه الحرفة الإسلامية، وافتخر بأنه نسخ تفسير الطبري للقرآن الكريم، نسختين، وباعهما لبعض الملوك. كما أنه نسخ جملة كبيرة من كتب أصحاب الكلام. وكان يفتخر بأنه ينسخ في اليوم والليلة حوالي مئة ورقة!

كان يحيى رئيسًا في علم المنطق في عصره، وقد ترجم كثيرًا من الكتب عن السريانية إلى العربية. وكان ملازمًا لنسخ الكتب بيده.

وقد اشتهرت حرفة النساخة شهرة كبيرة جدًّا، ولم تكن تقتصر على المسلمين وحدهم؛ فحين وجد السريان خاصة والنصارى عامة شهرة هذه الحرفة، ولاحظوا أنها تدرُّ أموالًا طائلة، أقبلوا عليها وجعلوها باب ارتزاق جديد لهم، فكانوا ينسخون للأمراء وللخلفاء ما يريدون من كتب.

على أن انتشار حرفة النساخة في العالم الإسلامي أبعدَ عن علمائنا فكرة اختراع الطباعة، والتي كانت معروفة في الصين منذ القرن السابع الميلادي،فالصينيون اخترعوا حفر الحروف والكلمات على الخشب بالمقلوب لطبع مناشير الملك وأوامره وتعليقها بالساحات.

وختامًا، فإن الذي يبشر بألف خير أننا نرى الآن ونقرأ بين الفينة وأختها أخبارًا تشير إلى العثور على بعض المخطوطات التي كانت في عداد المفقودات مثل «نزهة المتأمل» للسيوطي الذي كان من الكتب المفقودة للسيوطي، واكتشف عام ١٩٨٤م على يد أحد محققي الشام طيَّ إحدى المخطوطات.

---

(١) ولد يحيى بتكريت سنة ٢٨٠هـ، وقرأ على الفارابي، وتوفي ببغداد، وله مؤلفات عديدة، غير أنه كان مشوه الترجمة (إخبار العلماء: ٢٣٦).

تاريخ الطباعة:

مع أن الطباعة فن حديث، فإنها مرتبطة بالتراث ونشر المخطوطات.

وقد كنا ذكرنا أن أول أمة طبعت المراسيم الملكية ـ والتي هي أشبه بالجريدة الرسمية ـ هي الصين منذ القرن السابع للميلاد، وتلتها مصر الفرعونية بعد قرنين من الزمان عن طريق الحفر على الخشب بالمقلوب وكذلك فعلته الدولة العثمانية لطبع فرامانات أوامر السلطان،وقلدت إسبانيةُ الصين منذ عام ١١٥٠م. وانتقلت الفكرة من إسبانية إلى أوروبة، وهي التي سميت بالطباعة الحجرية، أي الخشبية.

واهتمت بها أوروبة لطبع الأيقونات وصور القديسين،وبدأ ذلك الوقت التعطش لمعرفة فن الطباعة وتطويرها،وظلت على حالها هذه عدة قرون إلى أن توصل يوحنا غوتنبرغ (١٤٣٦- ١٤٦٨م) إلى اختراع الحروف المعدنية في ألمانية، فأحدث اختراعه هذا تطورًا كبيرًا، وبدأ عصر الطباعة المزدهر بعده على أيدي عدد من العلماء، مثل حنا فوست ووليم كاكتول. وبدأت الطباعة رسميًا في أوروبة منذ عام ١٤٧٥م، ولما لاحظوا أن الحروف الخشبية والمعدنية تتآكل أطرافها عمدوا إلى صبِّ الحروف من معدن النحاس.

وكل ما كان يُطبع ذو صبغة دينية مثل كتاب «مرآة الخلاص». وقد كان هدفهم إكثار عدد النسخ من الكتب والتراتيل، تمامًا كما كان العرب يُكثرون الكتب بالنسخ. لكن حرفة النساخة لم يعرفها الغرب، لذلك اتجهت أنظارهم إلى الطباعة وتطويرها، ثم تنبهوا إلى ضرورة طبع الكتب العربية مما كانوا يَدرسونه أو يُدرسونه، فكان ذلك فاتحة نشر المخطوطات العربية الطبية والعقاقيرية وغيرها من العلوم.

لكن الحرف المطبعي العربي لم يُعرف إلا على يد كاهن دومنيكي اسمه مارتان روث عام ١٤٨٦م أي بعد خمسين سنة من اختراع غوتنبرغ، حين طبع كتاب «برنارد دي برايدنباخ» الذي ألفه باللغة اللاتينية، وهو يحكي قصة رحلته إلى الديار المقدسة بفلسطين. فطبع في الكتاب أول أبجدية عربية مع ما يقابلها لفظاً باللاتينية.

وفي عام ١٥٠٥م أمر فرديناند وإيزابيلّا ملكا إسبانية بتأليف كتب لتعليم الناس اللغة العربية. فطبع كتاب «وسائل تعليم قراءة اللغة العربية ومعرفتها»، كما طبع أول معجم عربي بحروف قشتالية، لخدمة من يتنصَّرون من المسلمين بعد خروج العرب من إسبانية.

وسرعان ما انتشرت المطابع في عواصم أوروبة، ووجد إلى جانب مطابعهم مطابعُ عربية خاصة باحتياجاتهم. فظهرت المطابع العربية في لندن ولا يبزيك وباريس وروما وبرلين،واعتبر الأوروبيون الطباعة نوعًا من الفنون الجميلة، واقتصر العمل فيها على أبناء الأمراء وأهل الفن، واشتهرت أسرة آل مديتشي بمطبعتها وقد طبعت فيها «الإنجيل» باللغة العربية مع بعض صور القديسين عام ١٥٩١م.

واشتهرت إيتالية منذ أوائل القرن السادس عشر بإحداث المطبعة العربية في مدينة «فانو- Fano» وطبع فيها أول كتاب باللغة العربية، وهو كتاب «صلاة السَّواعي»[١] في ١٢ أيلول ١٥١٤م بأمر البابا يوليوس الثاني، ثم «سِفر الزبور» عام ١٥١٦م، ثم أقدمت مدينة البندقية على طبع القرآن الكريم، لكن المتعصبين من النصارى جمعوا النسخ كلها وأتلفوها، ثم طبعت إيتالية ترجمة القرآن بالإيتالية عام ١٥٤٧م، ثم عادوا فطبعوا القرآن مرات، أولاها ١٦٩٤م.

---

(١) هو كتاب يضم صلوات وطقوسًا عند الروم والأقطاب.

واستفاد علماء الغرب من المطابع بطباعة الكتب العربية العلمية التي كانوا يدرسونها في جامعاتهم كمؤلفات ابن سينا، والتي منها القانون، وعلم المنطق، وعلم الطبيعي، وكتاب النجاة. وكلها طبعت في رومة عام ١٥٩٣م.

وحب العلماء الغربيين لمؤلفات العرب وحضارتهم دفعهم إلى تسخير المطابع لنشر تراث العرب المحفوظ لديهم، فحصلت نهضة الاستشراق وأسست معاهد لاختيار النسخ الخطية ونشرها،وكان لهم فضل على نشر تراثنا قبل أن يعرف علماؤنا فن التحقيق،وبدأت كتبهم التي يحققونها تتسرب إلى البلاد العربية. وسرعان ما تنبه علماؤنا إلى ضرورة خدمة تراثهم بأنفسهم بعد انتشار المطابع العربية، وذلك منذ أقل من مئة سنة.

* * *

خزائن المخطوطات

للكتاب قيمة ثمينة عند أهل العلم، وهم يخافون على الكتاب خوفهم على أولادهم إن لم نقُل أكثر، وفئة منهم مدمنو جمع الكتب، وحفظها في خزائن خاصة، ولا يفرِّطون بواحد منها مهما دعتهم الحاجة إلى بيعه،ويفضلون العيش بشظف على بيع أحد كتبهم،وهذا الحب هو الذي أوجد الخزائن الثمينة اليوم في العالم.

ولعل من أطرف ما يدل على القيمة الغالية للكتب أن الضرورة الشديدة دفعت أبا الحسن علي بن أحمد بن سلَك الفالي إلى بيع كتبه التي تعب في جمعها، وبذل كل ما يملك من أجل توسيعها،واشترى منه الشريفُ المرتضى أحد كتبها بستين دينارًا، فإذا عليها قطعة من شعر الفالي[1]، يقول فيها:

أنسْتُ بها عشرينَ حَولاً وبعتُها ... لقد طالَ وجْدي بعدَها وحَنيني
وما كان ظَنِّي أنني سأبيعُها ... ولقد خَلَّدتني في السجون ديوني
ولكنْ لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغارٍ عليهم تستهلُّ شؤوني
وقد تُخرج الحاجاتُ يا أمَّ مالكٍ ... كرائمَ من ربٍّ بهنَّ ضنينِ

نشأة المكتبات:

لا يمكن تحديد زمن معين لنشأة المكتبات في العالم، كما لا يمكن معرفة أول من فكر بتأسيس المكتبة، لكن الثابت - والآثار تدل عليه - أن بلاد ما بين النهرين من أقدم ما عُثر عليه من المكتبات، وهي عبارة عن آجر مطبوخ في نينوى وبابل وتل العمارنة، وعثر في وادي الفرات على مكتبة نحوي ثلاثين ألف

(١) سير أعلام النبلاء: ج١/ ق٢/ ص ١٥٩. وفالة: بلدة من بلاد خوزستان (معجم البلدان: فالة).

آجرة مكتوب عليها بالخط المسماري شؤونًا إدارية واقتصادية وفنية وأدبية.

كما عثرت البعثات التنقيبية في ما بين النهرين على قصة «جلقامش» محفورة على أحد عشر لوحًا ونصف اللوح، وعثر كذلك في «تل مرديخ» على آلاف القطع الآجرية وهي مكتبة خاصة ونادرة، وما زالت البعثة الأثرية الفرنسية تدرس مضامين هذه المكتبة النادرة الفنية.

كما عثر على مكتبات بالخط الهيروغليفي في وادي النيل، إضافة إلى مكتبة الإسكندرية، ومكتبة القدس، ومكتبة الرُّها في شماليِّ الجزيرة الشامية.

وفي العصور الإسلامية الأولى نشأت المكتبات بادئ ذي بدء في المساجد، حيث كان العلماء يعقدون حلقات التدريس للناس ولطلاب العلم،وكان بعض الصحابة يمتلكون في منازلهم بعض الكتب فيها آيات من الذكر الحكيم، وأحاديث لرسول الله ﷺ مثل سعد بن عُبادة وعبد الله بن مسعود،وقد كان أبو هريرة يحتفظ بكتبه وصحفه، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يضع كتبه ومصحفه في صندوق له حلق،كما روي أن كتب ابن عباس بلغت حمل بعير[1].

وكان عند عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) كتب احترقت يوم الحرَّة، فحزن عليها. وكان يقول: «وددتُ لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي».

وكان عند أبي قلابة (ت١٠٤هـ) كتب أوصى بها لأيوب السختياني (ت ١٣١هـ)، فجيء له بها في عدل بعير، إلى غير ذلك من إشارات مهمة تدل على اهتمام المسلمين بالكتب منذ عصر رسول الله ﷺ وعصر خلفائه الراشدين.

وقد كان للخلفاء والأمراء والأعيان فضل آخر في نشأة المكتبات ومدِّها

---

(١) السنّة قبل التدوين: ٣٤٥.

بالورق والنِّقْس[١] إضافة إلى شرائهم الكتب وحفظها في الخزائن.

وكان أمراء المشرق والمغرب يبارون خلفاء دمشق وبغداد بتزويد المكتبات بأمّات الكتب، وبتعيين موظفين قيّمين عليها.

وكانت مكتبة سيف الدولة عامرة، وكذلك مكتبة السلطان محمود الغزنوي في غزنة؛ فقد كان هذا الأمير محبًّا لأدب العرب وأدبائهم، ويعشق الكتب ويجمعها ويكرم مؤلفيها.

وكان الحكم أمير الأندلس يموِّل التجار كي يجلبوا له كتب المشارقة،وحين بلغه أن أبا الفرج الأصفهاني يكتب «الأغاني» أرسل له ألف دينار ثمنًا لنسخة واحدة، فوصلت إلى الأندلس قبل أن تنزل نسخة في أسواق بغداد.

أشهر المكتبات في العالم الإسلامي:

ولَّد حب الكتب والعلم في الإسلام ما يسمى بالمكتبات الإسلامية، التي أسسها خلفاء المسلمين؛ لإشباع نهمهم العلمي وسد حاجة العلماء إلى الكتب، سواء عن طريق الترجمات وتشجيع المؤلفين.

وقد بدأت هذه الحركة العلمية النشطة منذ عهد أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين، واستمرت بعده،**ومن أهم هذه المكتبات:**

١- **دار الحكمة:** ويُعزى تأسيسها إلى هارون الرشيد (ت١٩٣هـ) وإلى ابنه المأمون من بعده،وكانت دار الحكمة أو كما تسمى بيت الحكمة مركزًا عظيمًا للحركة العلمية، فيها أجنحة للترجمة، وخزائن ضخمة للكتب تفيد رُوَّادها من العلماء وطلاب العلم.

---

(١) النقس: حبر الكتابة.

وقد ظلت هذه الدار مستمرة على نشاطها حتى هجوم المغول على بغداد وقد أشاد القلقشندي[1] بدار الحكمة، وجعلها الأولى في العالم الإسلامي، وتليها مكتبة الفاطميين بالقاهرة، والأمويين بالأندلس.

٢- **دار العلم**: أنشأها الفاطميون وبذلوا لها الأموال الطائلة، ولم يضنوا على شراء الكتب، وعينوا لها الموظفين لرعايتها وتأمين احتياج العلماء وطلاب العلم، وظلت الدار على نشاطها حتى زمان آخر خلفائهم وهو العاضد ت ٥٩٧هـ حيث أنهى صلاح الدين حكم الفاطميين،وعين موظفين لبيع الكتب - مع الأسف - يرأسهم وزيره قراقوش الذي ظل يبيع كنوز المكتبة عشر سنوات، ويضع ثمن ما يبيع في خزانة مال الدولة لحرب الصليبين.

٣- **مكتبة قرطبة**: أسسها بنو أمية الأندلسيون، ويقال: إنها كانت تضم أربع مئة ألف مجلد، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المستنصر (ت ٣٦٦هـ) وكان يشتري الكتب من المؤلفين ومن الوراقين ويستوردها من الأمصار، ويروى أنها كانت تضم أكثر من أربعين ألف ديوان شعر ومجموعة شعرية.

ومن فضل الله أن مكتبة قرطبة واحدة من عشرات المكتبات العربية العامة والخاصة التي حافظت على كتبها، حتى غصَّت منازل الأمراء والعلماء بها، وهي التي كانت - أو ما تبقى منها نواة لمكتبة إسكوريال -Escorial قرب مدريد بالأندلس.

إلى جانب عشرات المكتبات الموزعة في العالم الإسلامي في بخارى، وسمرقند، ومكتبة الإسماعيلية الحشاشين في ألموت، والحيدرية بالنجف، ومكتبة ابن سَوار، وخزانة سابور، وعشرات الخزائن الوقفية، والخزائن الخاصة بالعلماء.

* * *

---

(١) صبح الأعشى: ١/ ٤٦٦- ٤٦٧.

أشهر المكتبات الخطية في العالم

لا توجد مدينة كبيرة أو صغيرة إلا وهي تضم عددًا من المكتبات الوطنية والخاصة، وكثير منها يحتفظ بجناح من المخطوطات إلى جانب الكتب المطبوعة.

وسنركز على أشهر المكتبات التي تحوي خزائن كتب خطية. **وتنقسم هذه المكتبات إلى: مكتبات عربية، ومكتبات إسلامية شرقية، ومكتبات غربية.**

المكتبات العربية:

ففي فلسطين: مكتبة المسجد الأقصى بالقدس، والمكتبة الخالدية بالقدس أيضًا. وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسيها آل الخالدي أحفاد خالد بن الوليد.

وفي تونس: مكتبة الجامع الكبير في القيروان، كانت حافلة بالمخطوطات، لكن الزمان عتا على كثير منها،ومكتبة جامع الزيتونة العظيم في تونس.

وفي سورية: المكتبة الظاهرية قرب الجامع الأموي، والمكتبة الأحمدية في حلب وقد نُقلت مخطوطاتها إلى مكتبة الأسد، والمكتبة المارونية بحلب.

وفي المملكة العربية السعودية: خزائن خطية نادرة كمكتبة مكة المكرمة مكتبة الحرم المكي ، ومكتبة عارف حكمت (ت ١٢٧٥هـ) بالمدينة، وهي تضم كنوزًا مهمة جدًّا ونادرة، إلى جانب مكتبات خاصة عامرة.

وفي العراق: مكتبة الأوقاف ببغداد، ومكتبة النجف في جامعها، وهي المسماة بالمكتبة الحيدرية.

وفي مصر: دار الكتب المصرية، وهي من أكبر المكتبات العربية، والتي تضم أكثر من مليون كتاب،ومكتبة الأزهر الشريف العريقة إضافة إلى خزائن خطية عظيمة.

وفي المغرب: مكتبة جامع القرويين بفاس، وخزانة الجامع الكبير بطنجة.

وفي اليمن: مكتبة جامع صنعاء، والتي تضم مخطوطات نفيسة ونادرة، ومازالت تحافظ عليها.

المكتبات في المشرق الإسلامي:

مازالت خزائن كتب المشرق الإسلامي عامرة بالمخطوطات النفيسة،وقد حوفظ عليها حبًّا بالإسلام وبعلوم القرآن.

ومن أهم هذه المكتبات الخطية في الهند: مكتبة الجامعة العثمانية التي تحوي كنوزًا نادرة، يعمل فيها العلماء وينشرون نفائسها،وهي في مدينة حيدر آباد الدكن[١]. ومكتبة عليكرة الواقعة في شمال دهلي،وكثير من مخطوطاتها مجهول حتى الآن، والجمعية الآسيوية بكلكتة، وخزانة المولى فيروز ببومباي،وتحفل مكتبة «دوشَنبه» عاصمة طاجيكستان بمخطوطات عزيزة لم تمسسها يد العبث ولا يد النشر حتى الآن، ومثلها بعض مكتبات أفغانستان وأوزبكستان وقزاغستان.

أما إيران ففيها مكتبات قديمة نادرة، وقد كان في طهران مجموعة مكتبات خطية مثل: مكتبة الخزانة الشاهانية والتي كانت تضم قرابة خمسة آلاف مخطوطة، والخزانة الناصرية النادرة المخطوطات، وخزانة ملك التجار والتي أسسها الحاج حسين آغا[٢].. وكلها جمعت في المكتبة المركزية بطهران،إلى جانب

---

(١) الدكن بالهندية: الجنوب، ووصفت تمييزًا لها من حيدر آباد في باكستان.

(٢) أشاد بها بروكلمان في مقدمته.

مكتبة أصفهان، ومكتبة مشهد الحافلة بالمخطوطات الدينية والمذهبية.

ومكتبات تركية عديدة ومعظمها في استانبول،وتضم ذخائر المخطوطات؛ لأن السلاطين العثمانيين كانوا يجمعون تراث الإسلام من الأمصار العربية، ويحتفظون بها في قاعات ضخمة تضم خزائن ممتلئة بالكتب الخطية النفيسة والنادرة، وهي -مع الأسف- محجورة عن العرب.

ومن مكتباتها: مكتبة الجامعة بإستانبول وتضم نحوًا من مئة وأربعين ألف مجلد، منها سبعة عشر ألف كتاب مخطوط بالعربي، والتركي، والفارسي.

والمكتبة العمومية في إستانبول، فيها ٥٢٠٠ مجلد مخطوط،ومكتبة الفاتح فيها ستة آلاف مخطوط، ومكتبة نور عثمانية فيها خمسة آلاف مخطوط.

وجمعت بعض المكتبات الصغيرة في المكتبة السليمانية، وكذا الأمر في مكتبة سَراي قصر طبقو،وفي مكتبة علي أميري نحو من عشرين ألف مخطوط،إلى جانب مكتبات صغيرة أخرى،وهناك مكتبة بايزيد، ومكتبة يحيى أفندي، ولا لَه لي، وأيا صوفيا، وراغب باشا، والسليمية... وغيرها.

المكتبات الخطية في الغرب:

تحفل عواصم الغرب الأوروبية والأمريكية بحوالي مئة ألف مخطوط معظمها مما حمله الصليبيون، وسرقه الاستعماريون، وباعه التجار العرب وسيطر عليه سفراؤهم، وما اشتروه من الأندلس المشرق من الكتب العلمية التي بنوا عليها حضارتهم في الطب، والصيدلة، والهندسة والكيمياء، والجبر، ولا سيما مؤلفات ابن سينا، وابن رشد، والخوارزمي، وابن الهيثم، وابن نفيس وعمه الخيام، والفارابي، والرازي وغيرهم. ولعل فعلهم هذا من حظ تراثنا، إضافة إلى ما تحتفظ به معاهد الاستشراق، ومكتبات المستشرقين الخاصة.

ففي إنكلترة: وحدها مجموعة من المكتبات الخطية التي تضم آلاف المخطوطات، والتي كانت معينًا للمستشرقين في نشر التراث العربي بدءًا من القرن الثالث عشر،ومن هذه المكتبات: دار الكتب البريطانية، والمتحف البريطاني[1]، ومكتبة الجمعية الملكية الآسيوية، ومكتبة جامعة أكسفورد، ومكتبة كامبردج، ومكتبة أندنبرة، ومكتبة جامعة غلاسكو.

وفي فرانسة المكتبة الأهلية بباريس، فيها ٢٥٠٠٠ ألف مخطوط عربي.

وكذلك في النمسة مكتبة فيينا مجموعة من المخطوطات،ومثلها في معهد اللغات الشرقية والسامية في بودابست **بهنغارية**.

وتضم إيتالية مجموعة من المكتبات الخطية منذ كان الباباوات يحضّون على تعلم اللغة العربية، وعلى ترجمة مؤلفات العرب والمسلمين.

وفي الفاتيكان عشرات الآلاف من المخطوطات مجموعة في أربعة مجلدات فهارس ضخمة، إضافة إلى مكتبة البندقية، وميلانو، وفلورانسة.

وتعدُّ المكتبات الألمانية من أغنى المكتبات التي تضم مخطوطات عربية تقدر بخمسة عشر ألف مخطوط، معظمها في مكتبة برلين، إضافة إلى مكتبة لايبزيك، وهامبورغ، وميونيخ.

وفي روسية أيضًا عدة مكتبات خطية، منها مكتبة لينيغراد، ومكتبة طاشقند، وقازان و.. وما زالت هذه المخطوطات غير مفهرسة، وتفتقر إلى الترتيب العلمي والفني.

---

(١) في قسم المخطوطات بمعهد التراث بجامعة حلب ميكروفلم يضم بطاقات معظم المخطوطات العربية والفارسية والتركية أحضرها من لندن شيخنا الدكتور محمد الألتونجي خدمةً لطلابه في المعهد.

وفي الولايات المتحدة عدد من المكتبات الخطية، أشهرها مكتبة جامعة برنستون، ومكتبة الكونغرس بواشنطن، والمكتبة العامة بنيويورك: وتتوزع المخطوطات العربية في ثمانين مكتبة عامة وجامعية في الولايات المتحدة،لكن أعدادها قليلة.

ونختم حديثنا عن المكتبات الخطية في العالم بما تضمه مكتبة دير الأسكوريال في مدريد في إسبانية: وغير خاف على العالم أن الأندلس ولا سيما قرطبة وغرناطة وإشبيلية من أغنى ما أنتجته الحضارة العربية في قلب أوروبة نفسها.

وقد كانت الأندلس محطة كبرى للمخطوطات منذ أوائل حكم الأمويين، ومن بعدهم ملوك الطوائف،وأسست الجامعات الأندلسية على هذه المخطوطات النادرة، التي كان يفد عليها عشاق العلم من الغرب كله.

لكن المسلمين تهاونوا بالحفاظ على تلك البقعة العظيمة، فطردوا منها بعد عيش دام قروناً طويلة، ولعل سبب طردهم تخوُّف الإسبان من تفشي الإسلام بين شعبهم،وخوفاً على معتقداتهم،فقد أمر رجال الكنيسة بجمع المخطوطات العربية في ساحة غرناطة وحرقها على مرأى العين،وقُدِّر ما أحرق آنئذ بمئة ألف مخطوط [١].

لكن الموريسك [٢] وغيرهم حافظوا على بعض هذه المخطوطات، وهي التي ضمتها مكتبة الأسكوريال،ويقدر عددها بعشرة آلاف مخطوطة عربية أندلسية، وبعض المخطوطات العبرية.

---

(١) مجلة الرسالة، السنة الرابعة، ص ٦٨٥ مقالة «أنقذوا تراث الأندلس» لمحمد عبد الله عنان.

(٢) الموريسك: هم العرب الذين ظلوا يدافعون عن الأندلس قرنين من الزمان، ويعيشون في الجبال. من كلمة «موروكو» أي مراكش.

ولعل أوسع فهارس هذه المكتبات وأدقها «الفهرست الكبير» المحفوظ بدار الكتب البروسية في برلين؛ فقد ألف «و. أهلوارد W. ahlwardt» الألماني فهرسًا جامعًا للمخطوطات الغربية في عشرة مجلدات يغني الباحث المحقق ويريحه من عناء البحث في فهارس المخطوطات الأوروبية والأمريكية.

السهر على المخطوطات:

وبعد أن استعرضنا المكتبات التي تضم المخطوطات في العالم، نودُّ أن نعرِّف بخزائن المخطوطات بين الأمس واليوم، بين الإهمال والاهتمام، بين الغفوة واليقظة:

فقد كانت خزائن المخطوطات العربية والإسلامية مغلقة لا تكاد تفتح، وكان لكل خزانة موظف أمين على الخزانة، وتنحصر مهمته بمسح الغبار عن الكتب، وتدوين ما عنده من الكتب في قوائم،وإن لم يكن الموظف أمينًا، أو كان رقيق الذمة باع بعضها وابتلع ثمنها، كما حصل لأثمن المخطوطات في المكتبة الأحمدية بحلب، قبل أن تنقل -كغيرها- إلى دمشق،وفي هذه الأثناء كانت خزائن المخطوطات في أوروبة تعمل بنشاط في الفهرسة والنشر على أيدي المستشرقين.

إلى أن نشطت حركة التحقيق والنشر في مصر والشام والعراق من الأراضي العربية، فتنبه المسؤولون إلى الكنوز المحفوظة لديهم، فعينوا موظفين ذوي خبرة في الحفاظ على المخطوطات، وتجليدها، وحَبك المتفرق منها ورتق المهترئ وترقيعه. وأوكلوا أمر الإشراف على المخطوطات إلى ذوي اطلاع واسع، وأجروا رقابة شديدة على المخطوطات.

وشرعوا بإرسال خير الموظفين لإقامة دورات توجيهية لمعرفة الأمات منها والفروع، وكيفية التعريف بالنسخ المحفوظة ببطاقات خاصة وتعليمهم المصادر والمعجمات،كما استوفدوا علماء المخطوطات واستضافوهم بغية الاستفادة من خبراتهم، وتعريفهم بالمحفوظات والمخطوطات لديهم،ولعل معهد المخطوطات بمصر والكويت أسرع مَن أقدم على هذه الخطا المهمة.

وفرضوا على من يعمل في هذه الخزائن ـ إضافة إلى ما سبق ـ أن يجيد لغة أجنبية، وإحدى اللغتين التركية والفارسية.. وبدأت ظاهرة صحية هي فتح باب التبادل في نسخ الميكرو فلم أولاً، ثم النسخ المصورة.

وأوسعوا المجال لطلاب العلم والبحث والتحقيق، وفتحوا باب تأمين احتياجاتهم من النسخ الخطية مصورةً.

وغدا أمر ملء البطاقات دقيقًا جديدًا، بحيث تثبت هُوية البطاقة وفيها اسم الكتاب واسم المؤلف، ورقمها الثابت، واسم الخزانة، إضافة إلى ذكر نوع الخط، والنقص إذا كان موجودًا، واسم الناسخ، وتاريخ النسخ، أسوة بما قام به المتحف البريطاني بلندن ومكتبة باريس، ودار الكتب بمصر، وبعض المكتبات العثمانية والفارسية والهندية،وقد تذكر البطاقة أيضًا الجملة الأولى والجملة الأخيرة من النسخة.

ورتبوا البطاقات بشكل دقيق يخدم الباحث، ويؤمن طلبه بسرعة واستوردوا أجهزة الإسقاط، والقارئات الكهربائية، وأدوات التصوير والتحميض، ووضعوها في خدمة الوافدين من العلماء والباحثين بل إن بعض المكتبات أعدَّت غرفًا خاصة بالعلماء الذين يعملون بالمخطوطات عن كثب وبشكل شبه يومي.

واستوردوا أجهزة الحاسوب، وأنزلوا البطاقات كاملة فيه لخدمة المحققين. فكانت هذه المكتبات من أوائل المؤسسات الثقافية التي أعدت الحواسيب لخدمة العمل بالمخطوطات، حتى غدا التعامل مع هذه المؤسسات سهلاً للغاية.

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي

أهمية علامات الترقيم في التحقيق والبحث

يحتاج القارئ إلى نَبَرات إيقاعية في كلام المتكلم، كما يحتاج إلى إشارات تدله على الوقف، والربط، وتغير موجه الكلام حتى يفهم المقصود، ويدرك ما يريده الكاتب في تعبيره.

وقد فكر المؤلفون والشعراء بضرورة ماسّة إلى هذه الرموز؛ ليفهم الكلام إذا كان استفهامًا أو تعجبًا، انفعالًا بحب أو سخرية.

وقد اهتدى بعض الإغريق إلى مثل هذه الرموز، لكن أحدًا لم يعبأ بما دعا إليه، وظل الناس يكتبون كلامًا متواصلًا بلا إشارة إلى وقف أو استفهام، حتى بعد اختراع الطباعة، ثم أوجدوا رموزًا مفيدة بدائية.

وعملوا على زيادة هذه الرموز وتطويرها، وأدخلوها في كتبهم التي يطبعونها، وأدرك الكبير والصغير أنهم صاروا يفهمون ما يقرؤون ويعرفون أين يتوقفون، وأين يتابعون، أو يتساءلون.

أما العربي فلم يفكر مطلقًا بهذه الرموز لِما كانوا يتحلون به من بديهة وسجية تُغنيهم عن التلكؤ والتعثر،وكانوا يفهمون ما يسمعون من الشعر، وكان الشاعر وهو ينشد يُفهم السامعين بما يريد بطريقة نبراته، وتمويج صوته، ولذلك قالوا: أنشد الشاعر والإنشاد نوع من الغناء، والغناء تلاعُبٌ بالموجات الصوتية.

لكن هذه السليقة والبراعة بدأت تخبو مع توالي الأزمنة، وامتزاج الشعوب، وغدوا بحاجة إلى ما يجعل القارئ يتوقف حيث يجب أن يقف وينفعل إذا كان

النص يتطلب ذلك، وكم تعذر فهم كلام الأديب لعدم وجود إشارة توضح المقصود.

وكم اختصم الكوفيون مع البصريين على مسائل، لو وجدت هذه العلامات لحلت المسألة، وتقاربت اختلافاتهم.

وقد وقع في دوَّامة هذا الغموض عدد كبير من العلماء، من ذلك قول الفرزدق[1]:

وكلُّ رفيقيْ كلِّ رحلٍ وإن همـــا تَعاطَى القَنا قوماهُما أَخــوَانِ

فقد تعقد معنى البيت لعدم وجود علامات ترقيم فيه. وقرأه الناس وتوهَّموا بتعقيده، بمن فيهم ابنُ هشام. ولو عُرفت علامات الترقيم لما عُقم معنى البيت. فاقرأه الآن بوجود الفاصلتين المعترضتين:

وكلُّ رفيقيْ كلِّ رحلٍ وإن همـــا تَعاطَى القَنا قوماهُما أَخــوَانِ

وكم تعب المحققون من فهم بعض الجمل لعدم وجود نقطة أو فاصلة! وكم أهدروا من وقت بسبب علامة استفهام! وظل الناس في حيرتهم حتى وصلت إليهم علامات ترقيم الإفرنج،ولم يرتضوها بادئ ذي بدء، فراحوا ينبشون تراث القدماء، فوجدوا إشارات وكلمات تواضع عليه بعضهم في كتاباتهم الخاصة، وحُفظت مع كتبهم. من ذلك:

O: فسموها حلقة، أو سكونًا، وعدوها دلالة على الوقف في الجملة أو في المقطع.

⊙ : حلقة داخلها نقطة، دلالة على أن المؤلف راجع ما نسخ.

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٧٠.

+: صليب صغير، هو عند بعضهم دلالة على غموض الجملة،وفي هذه الحالة افترضوا وجود علامة ثانية + أي هنا المعنى غامض.

●: حلقة مطموسة يضعها الناسخ دلالة على انتهاء صدر البيت.

هـ: يرسمها بعضهم عند نهاية المقطع.

ا.هـ: دلالة على انتهاء الكلام المنقول.

وبعضهم يضع إشاراته بحبر مخالف، أو يستخدم كلمة، مثل:

عَلَّمَ: وضع علامة.

يا فتى: دلالة على انتهاء الكلام كالنقطة.

على أن بعض القدماء وجدوا ضرورة لهذه العلامات، وأوجدوا لها حلًّا شخصيًّا؛ فقد أدركوا ضرورة الفصل في الكلام.

يروى أن الحارث بن أبي شمر الغساني كان يقول لكاتبه المرقش: «إذا نزعَ بك الكلامُ إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه، فافصل بينه وبين تبعِيَّته من الألفاظ؛ فإنك إن مذقتَ[1] ألفاظك بغير ما يحسن أنت تمذقَ به نفَّرت القلوب عن وعيها، ومَلَّته الأسماع، واستثقلته الرواة».

وكان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتَّابه: «افصلوا بين كل معنى منقضٍ، وصِلوا إذا كان الكلام معجونًا بعضه ببعض»[2].

والحقيقة أن الحاجة إلى هذه العلامات لم تكن ماسّة عندهم؛ فعندما احتاجوا إلى ما يميز الحروف المعجمة وضعوا لها نقاطًا فوقها، أو تحتها، أو

---

(١) مذق: مزج وخلط.

(٢) الصناعتين: ٤٤٠.

داخلها، وحين تفشَّى اللحن وعمَّ خطأ تلاوة القرآن أوجدوا الحركات، وعلامات خاصة كالشدَّة من الفعل (شَدّ) ، والمدَّة من الفعل (مدَّ)، وعلامة الوصل (ص) من الفعل (صِل).

ووضع بعض علماء التجويد كتبًا تساعد على القراءة السليمة، والرَّوْم، والإشمام، والوقف والابتداء مثل كتاب «القول المفيد في أصول التجويد» لبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، وكتاب «الوقف والابتداء» للسّجاوندي،لكن ما اخترعوه من علامات التجويد اقتصروا على رسمه في نسخ القرآن الكريم، ولم يفكروا باستخدامه في كتاباتهم العامة.

ولما لم يكن عند العرب قديماً علامات ترقيم، وهي التي عرفها المحدثون منذ أكثر من مئة سنة، وربما لاحظوا وجودها في المطبوعات الأوروبية التي اطلعوا عليها، فقد شرعوا بتقليدها وتقريرها في المدارس قبل أن تعلن رسميًّا.

واستعملها الأتراك في كتبهم وصحفهم قبل العرب،لكنهم لم يأخذوها على عواهنها، بل أعادوا رسمها بما يناسب الكتابة العربية؛ لأن الغرب يكتب من اليسار، والعرب يكتبون من اليمين.

ولما لم يكن العلماء السابقون يستخدمون علامات ترقيم، فقد اقترح المتشددون عدم إضافة هذه العلامات الحديثة على النصوص القديمة، بحجة ضرورة عدم التدخل بالنص، لكن العلماء والأدباء المتسامحين دعوا إلى وجود إضافتها؛ لأن قارئ الأمس البعيد غير قارئ اليوم، والسليقة والبداهة زالتا تقريبًا بين المثقفين قبل العامة والتلاميذ.

ثم إننا اقتبسنا فن التحقيق ونقد النصوص عن الغرب، فلماذا نقصِّر في هذه العلامات وهي خير؟ ولكن لا يجوز لنا استخدامها في القرآن الكريم؛

لأن هذه الرموز تؤدي معانيَ قد تخالف رأي المفسرين،ومعنا الحق في هذا، ولا نسمح لطلابنا باستخدامها في القرآن؛ لأن **علامات الترقيم رموز تعبيرية لكلمات مقدَّرة.**

ولمس الأدباء ضرورة استخدامها في الكتب المطبوعة لازدياد تعقيد المعاني. ولاحظوا هذا عندما طبع كتاب الأغاني من غير ضبط ولا علامات ترقيم، فغدت قراءة النسخة المخطوطة أسهل قراءة من المطبوعة،وأدهى من هذا أن تطبع كتب التاريخ والمعاجم اللغوية خلوًا من هذه العلامات التوضيحية.

وهم أخذوا الرموز من غير تسمية، فأسماها أحمد زكي باشا [(١)]، فقال: «وقد اصطلحتُ على هذا العمل بـ «الترقيم»؛ لأن هذه المادة تدل على العلامات والإشارات والنقوش التي توضع في الكتابة وفي تطريز المنسوجات،ومنها أخذ علماء الحساب لفظة «رقم وأرقام» للدلالة على الرموز المخصوصة للأعداد،فنقلناها نحن لهذا الاصطلاح الجديد لما بينهما من الملابسة والمشابهة».

* * *

---

(١) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية: ١٣.

علامات الترقيم

تمهيد:

لاحظ المحدثون أن علامات الترقيم رموز خاصة تحدد الجملة، وأجزاءها، ومواقف الوقف الطويل أو القصير، وهي ذات معان مختزلة.

فعلامة الاستفهام دلالة على أن المتكلم يقول: أسألك، وعلامة التعجب بمعنى: أعجبُ من هذا،سألت ابنة الخليل أباها: يا أبتِ، ما أجملُ السماءِ؟ فقال: كواكبها،قالت ما عنيتُ هذا، إنما عنيت عجبي من جمالها، فقال لها: فقولي: ما أعجبَ السماءَ! فلو أنها كانت تسأل لوجب وضع الضم على اللام والكسر تحت الهمزة،وفي حال التعجب يجب فتح اللام والهمزة معًا.

وهذه الرموز أشبه برموز السير للسير المسموح، والسير الممنوع، ولممنوع الوقوف.. فكل رمز تراه نقدر فيه جملة،وكذا الأمر في علامات الترقيم.

وكعادة العرب حين يقتبسون يتصرفون بما يقتبسون على حسب حاجاتهم، فزادوا وحذفوا، وبدلوا من الرسم المستورد على ما سيأتي، وأدركوا أن علامة الترقيم أوسع في التحقيق من التأليف، فاخترعوا ما لزم.

وأدركوا أن علامات الترقيم لا تقع في أول الكلام مطلقًا، وأن بعضها للوقف التام، وبعضها للوقف المؤقت، وأن بعضها ذو رموز نفسية معبِّرة **ووضعوا لاستخدامها قواعد فرضوا وجوبها، منها:**

١- **عدم** وضع علامتين معًا،فبعضهم يضع علامة استفهام وبعدها نقطة، وهذا لا يجوز؛ لأن علامة الاستفهام علامة للوقف الطويل، ومثلها علامة التعجب، والفاصلة علامة للوقف المؤقت، فلا يجوز أن يعقبها نقطة أو

فاصلة لتضارب الزمانين.

٢- مراعاة عدم الإكثار من علامات الترقيم حتى لا يقلق القارئ،وكثرتها مثل ندرتها: وهي إنما وضعت للإفهام، ولكسر رتابة الكلام الردي.

٣- هي أشبه بحركات اليد والرأس عند الكلام،ويتوقف التحريك عندما يتوقف المرء عن الكلام.

٤- وضعت هذه العلامات أصلًا لضمان وضوح الفكرة، وسهولة استيعاب العبارة، والكاتب أعرَفُ من القارئ حيث يضع علامته.

٥- لا يختلف استخدامها في الكتاب المؤلف والكتاب المحقق، إلا زيادة بعضها في بعض المواضع. وسيأتي.

العلامات:

الفاصلة (،): وتُسمى الفَصلة، والشَّولة، وعَقفتها إلى فوق باللغة العربية، بينما عقفتها باللغات الإفرنجية إلى تحت (,). وهي التي تفصل الجملة الطويلة إلى أجزاء، وبين جملتين مرتبطتين في المعنى والإعراب، وبعد المنادى: يا أبتِ، إني مطيع لك،وبين جملة الشرط وجزائه لطول الجملة الشرطية، نحو: إذا أعطيت السائل مالاً، فلا تمُنَّ عليه،أو بين الصفات المتكررة، نحو: دير الزور مدينة نهرية، تجارية، زراعية.

النقطة (.): وهي التي تنتهي بها الجملة الكبرى، ويوقف بعدها،أو ينتهي بها المقطع،ويجب أن نعرف أين نضع النقطة، مخافة أن نقطع الجملة فينفصل المعنى. وقد وضع أحد تلامذتنا في الماجستير الفاصلة المنقوطة مكان النقط، فشرحنا له خطأه وأخبرناه على إعادة تدوين علامات الترقيم.

من ذلك أن أعرابيًّا وعظ ابنه، وقد أتلف ما له على الشراب، ولاحظ النقطة والفاصلة،قال: «لا الدهرُ يعظُكَ، ولا الأيام تُنذرك،والساعاتُ تعدُّ عليك، والأنفاسُ تعدُّ منك،وأَحَبُّ أمْرَيك إليك أرَدُّهما للمضَرة عليك».

وانتبه إلى أن النقطة الكتابية، غير النقطة المربعة الحسابية التي تعني الصفر.

الفاصلة المنقوطة (؛): وتوضع بين الجمل، كي يقف القارئ حيالها مدة أطول من الفاصلة،وبعضهم يظنها كالنقطة، وهذا خطأ،**ولها موضعان أساسيان، هما:**

١- أن توضع بين جملتين تكون ثانيتهما ناتجة عن الأولى، نحو: تأخر هبوطُ الطائرة؛ لأن السماء ملبدةٌ بالغيوم، فإن وضعنا فاصلة (،) بدت الجملة الثانية جزءًا من الأولى، في حين أن الثانية سبب للأولى، فوجب أن نضع فاصلة منقوطة (؛)، أو نحو: لم يحظ أخوك بما تمنى؛ لأنه لم يتأنَّ في الإجابة.

٢- أن توضع بين جمل طويلة، يتألف من مجموعها كلام تامُّ الفائدة،فيكون الغرض من وضعها إمكان التنفس بين الجمل، وتجنب الخلط بينها بسبب تباعدها[1] بحيث تشرح التالية ما قبلها،وشكلها بالأجنبي (;)، وتستخدم عندهم بمعنى: It means، أي: يعني.

علامة الاستفهام (؟): وجوفها يتجه نحو الكتابة؛ فإن سألتَ بالعربية رسمتها (؟)، وإن سألت بالإنكليزية رسمتها (?)، ولا يجوز العكس.

وتقع في نهاية الجملة الاستفهامية، ولا يقع بعدها نقطة؛ لأنها هي في الأصل بمثابة النقطة، نحو: من يريد أن يسأل سؤالًا؟ وإذا كان السؤال واقعًا

(١) الإملاء والترقيم في الكتابة العربية: ٩٩.

بين هلالين: «...» فإننا نضع علامة السؤال داخل الهلالين، ونضع النقطة بعدهما دلالة على انتهاء الكلام.

وتوضع علامة الاستفهام في آخر الجملة الاستفهامية سواء وجدت أداة استفهام أو كان الاستفهام من غيرها، نحو: صديقي الذي يهينني؟ واشترطوا ألّا يكون الاستفهام معلقًا، أو معمولًا لعامل نحوي،وفي الحالين لا نضع علامة استفهام، نحو:لا أدري أصحيح ما تدَّعي أم غير صحيح.

فهمتُ منك ما الغايةُ من دراسة علامات الترقيم.

علامة التعجب (!): وهي ألف غليظة من الأعلى رفيعة من الأسف، وتحتها نقطة، وتسمى كذلك علامة الانفعال،وتؤدي معنى يثير الإعجاب من بهجة، وانزعاج، واستغاثة، واستغراب، نحو:

حذارِ من الطريق الوعر! سبحان الله! عجيب والله ما أسمع! ما أفضل الصدقَ! يا حسرتاهْ!

ولا نضع بعدها نقطة مطلقًا،وشكلها واستعمالها في الإنكليزية كالعربية.

ويكثر استعمالها في الشعر الحديث والشعر المنثور؛ لمعانٍ يريدونها.

النقطتان (:): وتقعان بعد فعل القول، نحو: قال أمير المؤمنين عمر: «مَن لم يعرفِ الشرَّ يقعْ فيه»، أو قبل الحديث النبوي، أو قبل مثل سائر، أو بعد قال الشاعر: وتأتيان كذلك بعد كل فعل يقوم مقام فعل القول.

كما تردان قبل مثال توضيحي لقاعدة، أو تفسير، وبعد كلمة مثل ونحو: وقد تقومان مقام الفاصلة المنقوطة، أو قبل كلام مفرع، نحو: الكلمة ثلاثة أنواع: اسم، وفعل، وحرف.

ويُفترض أن يترك مسافة بينهما وبين الكلام قبلها والكلام بعدها؛ ليتضح وجودها.

فهي إذًا توضع قبل الكلام المقول، والكلام المنقول، والكلام المقسَّم بعد تفصيل، أو المفصل بعد إجمال، نحو: القارات خمس، هي: آسية، وإفريقية، وأوروبة، وأمريكة، وأسترالية.

نقط الحذف (...): وتكون عادة ثلاث نقاط، وتسمى أيضًا نقاط الحذف والإضمار، ويقصد بهذه النقاط الثلاث أن هناك كلامًا محذوفًا أو مضمرًا أو ساقطًا، كمن ينقل عن كتاب، ثم يُسقط بعضه، أو أن الكاتب استشهد بنص واستطاله وأراد أن يحذف منه، وضع مكان الكلام المحذوف ثلاث نقاط، من غير إشارة في الحاشية.

أو أن المحقق حينما ينسخ المخطوطة يرى بياضًا بقدر كلمة أو أكثر، فيضع النقاط ويشير إلى السقط الوارد هنا، وهو بقدر كلمة، في الحاشية.

وقد يضع النقاط مكان كلمة مطموسة أو غير مقروءة،وعليه أن يشير لماذا وضع النقاط.

الشَّرْطة (-): تستخدم في الحوار بين اثنين، وتقوم مقام اسم المحاور كما في المسرحيات والروايات،كما تستخدم مزدوجة، فيقع بينهما كلام معترض.

وقد تطول جملة الاعتراض، فيفصل بينهما بفاصلة أو أكثر، وقد يستعاض عن الشرطتين بفاصلتين، نحو: في صراعنا مع إسرائيل -وهي العدوُّ الأبدي للعرب، والتي لا يمكن أن نهادنها- نتخذ كل احتياطاتنا السياسية والعسكرية.

ويكثر وقوع الكلام المعترض بين الشرطتين؛ بين المبتدأ والخبر، أو بين جزأي جملة الشرط، نحو: الله تعالى - وهو خالقنا - كفيل برزقنا.

وقد عدَّ بعض البلاغيين جمل الاعتراض نوعًا من الإطناب في الكلام.

القَوسان (...): يقعان في وسط الكلام، ويوضع بينهما ما ليس من أركان الجملة الأساسية، أو ما ليس من أصل الكلام، أو ما يعمد المؤلف إلى تفسير ما قبله، أو شرحه، أو توضيحه، أو ما يعدّه اعتراضًا، أو تنبيهًا، أو ما يريد أن يخصَّه،ويمكن وضع الفاصلة إذا طالت الجملة.

كقولهم: تشتهر اللغة العربية (وهي أوسعُ لغات الأمم) بخصائص تدل على رقيها.

كما يضعون بين القوسين الجملَ الدعائية، مثل: (جلَّ جلاله) (وصلى الله عليه وسلم) (ورضي الله عنه)، لكن بعض المحققين -ونحن ندعو إليه- يعدون الجمل الدعائية الخاصة بذات الله أو رسوله من أصل الكلام، فلا توضع ضمن قوسين، بينما عدا ذلك يمكن.

وقد يحصر المحقق أرقام الآيات، وسنة الوفاة، أو امتداد السنوات بين الولادة والوفاة، مثل: القاهر بالله عاش بين (٢٨٧- ٣٣٩هـ)، وبويع بالخلافة سنة (٣١٧هـ).

وقد يضع المحقق بينهما الجملة الغامضة في المخطوطة، أو الجملة الساقطة من النسخة الأخرى، أو يستخدمهما لذكر التوثيقات والبيانات مما لا يدخل في صلب الموضوع،ويفضل في هذه الحال نقلها إلى الحاشية.

{ }: وهما القوسان اللذان تحصر فيهما الآية أو الآيات، حتى لا يختلط كلام الله بالكلام الآخر،ويمكن للمحقق أن ينزلهما مع الآيات الواردة في المخطوطة من القرآن مباشرة بالاستعانة بجهاز الحاسوب.

علامتا التنصيص «»: هما هلالان صغيران يستخدمان للتنصيص كالأحاديث النبوية، والأقوال المأثورة، والأمثال، وما ينقل من الكتب لتوثيقه، من ذلك ما قاله العَتَّابي: «مَن قرضَ شعرًا، أو وضع كتابًا، فقد استُهدف للخصوم، واستُشرِفَ للألسن، إلا عند مَن نظر فيه بعين العدلِ، وحكمَ بغير الهوى، وقليلٌ ما هم».

وعلامة التنصيص تستَخدم في الشعر كما تستخدم في النثر، وذلك إذا ضمَّنَ الشاعر بيتًا أو بعض بيت في قصيدته، شريطة أن يكون التضمين على وزن القصيدة ورويِّها،ويسميان علامتي الاقتباس، ولا يأتيان إلا مزدوجين.

المعقَّفان [...]: ويسميان علامتي التكملة، يذكر بينهما ما يضاف على النسخة الأم أو النسخة المعتمدة من نسخ أخرى، أو من نص آخر، أو ما يضفيه المحقق على النص.

المنحرفان <...>: يضع المحقق ما يُفقد في النسخ الأخرى بما يخالف النسخة الأم أو ما يغلب على ظن المحقق ذلك، كما فعل محقق ديوان الأعشى العربي مرارًا،وبعضهم يستعيض عنهما بالقوسين الهلالين (...)، وكذلك فعلنا ونفعل، بهدف عدم الإكثار من الأقواس، على أن يُشار في الحاشية أن ما بينهما ساقط من النسخة كذا.

* * *

ملاحظات أخرى على الترقيم

في المخطوطات:

يضع المحقق خطًّا مائلًا أسودَ / علامة على بدء الورقة أو الصفحة أو على نهايتها،ويضيف رقم الورقة على الطرف الوحشي من الهامش، ويتجه المحققون اليوم إلى وضع الرقم في وسط الكلام عند انتهاء الورقة أو الصفحة، مثل [١/ أ]، ويتابع المحقق نسخه إلى أن يبدأ بالصفحة الثانية فيضع [١/ ب].. وهكذا.

يحاول بعض المحققين خدمة الباحثين بأقصى ما يمكنهم، فلا يكتفون برقم الصفحة أو الورقة، بأن يقسم الصفحة إلى خمسة أسطر ويضيف الأرقام على الطرف الوحشي من الورقة، فيكتب ٥، ١٠، ١٥.. وذلك إذا كانت الورقة كبيرة الحجم عديدة الأسطر،وهذا العمل يضايق الطابع كثيرًا، كما يتعذر صنعه إذا تغيرت الطبعة.

ولهذا يفضلون الاكتفاء بتقسيم الورقة إلى صفحتين: أ،ب. وهذا جائز،وهذه الأرقام من اختراع المستشرقين، ونحن قلدناهم على قلة.

* * *

رموز القدماء والمحدثين

أدرك القدماء من المؤلفين، ولا سيما مؤلفو علوم القرآن والحديث والمعجمات ضرورة اختصار مراجعهم وما يستوجب تكراره في كتبهم،ومع أن هذه الرموز بدأت مختصراتٍ شخصية، لكنها سرعان ما سرت بينهم حتى غدت رموزًا ومختصرات عامة وسائدة.

ونقع على أمثال هذه الرموز في المخطوطات التي نحققها،وقد رأينا أن نستعرض فيما يلي معظم هذه المختصرات القديمة، وما نضيفه ونلحقه به، مرتبًا بالتسلسل الهجائي،ونشير مسبقًا إلى أن هذه الرموز جميعها تلحق بعد الكلام، وأن بعض الرموز يستخدم في مواضع عدة سنشير إليها مباشرة:

١- الرموز العربية:

إلخ: إلى آخره،تذكر إذا لم يرد المؤلف ذكر الباقي.

أنا: مصطلح في علمي القرآن والحديث والرواية، مختصر من «أخبرنا».

أنبا: مصطلح كالسابق، مختصر من «أنبأنا».

ا.هـ: انتهى،يستخدمه المؤلف عندما ينتهي نقله من أحد المصادر.

ب. م: مختصر يشير إلى «مرحلة ما بعد الميلاد».

ت: مختصر للترمذي في الحديث،والمعاصرون يستخدمونها اختصارًا لكلمة «تحقيق».

تع: مختصر من تعالى، ولا نحبذها.

ثنا: في علمي القرآن والحديث والرواية، مختصر من «حدثنا».

ج: مختصر من «الجزء»، إذا كان الكتاب مؤلفًا من عدة أجزاء.

ح: اختصار لكلمة «حاشية» التي تقع تحت المتن حصرًا.

خ: اختصار لكلمة «البخاري» صاحب الصحيح.

خط: مختصر من اسم «الخطيب البغدادي» صاحب تاريخ بغداد.

د: اختصار لاسم «داود» صاحب السنن.

رحه: اختصار لقولهم: «رحمه الله»،وهي محدثة.

رضه: اختصار لقولهم: «رضي الله عنه»،وهي محدثة.

ص: اختصار لقولنا: «صلى الله عليه وسلم»،ولا تقل: صلعم.

ص: اختصار لكلمة «صفحة»،والسياق يدل عليها.

صح: يضيفه المؤلف بقلمه الرفيع على كلمة صححها في المتن، أو أضافها في الهامش،وعلى المحقق التنبّه إلى وجودها، وإدخال الكلمة في مكانها من المتن.

ق. م: قبل الميلاد، إذا كان الحديث عن العام الميلادي في مرحلة سبقت ميلاد السيد المسيح.

ق. هـ: قبل الهجرة النبوية، إذا كان الحديث عن مرحلة ما قبل الهجرة.

م: اختصار لاسم «مسلم» صاحب الصحيح.

م: اختصار للعام الميلادي بعد ميلاد السيد المسيح،ونفضل مكانها الحرف «ش»؛ لأن العام الميلادي شمسي، في حين أن ميلاد السيد المسيح حصل إما قبل

رأس السنة أو بعدها.

م: اختصار لكلمة «مجلد» أو مجلدة،والسياق يفرق بين الميمات الثلاث.

ن: اختصار لاسم «النَّسائي» صاحب السنن.

نا: اختصار لكلمة «ناسخ».

هـ: اختصار لكلمة «هجرة».

هـ: اختصار لكلمة «هامش»، وهو أطراف الورقة كلها.

هـ: رمز للقدماء بمثابة النقطة.

هـ: اختصار لاسم «الهروي»،وهو رمز النقل عنه في الأحاديث وهو صاحب «الغريبين».

هـ.ش: اختصار للسنة الشمسية على أساس الهجرة، وهي التي حوَّلها عمر الخيام، فجعل السنة الإيرانية الشمسية مبنية على أساس الهجرة،وهذا الرمز قاصر على المخطوطات الفارسية المكتوبة بدءًا من القرن السادس، وعلى مطبوعاتهم.

هـ. ق: اختصار للسنة القمرية على أساس هجرة رسول الله R،ويفضل استخدام هذه السنة مع هذا الرمز في الكتب الإسلامية المؤلفة قبل العصر الحديث.

٢- الرموز الأجنبية:

وهي رموز يستخدمها المستشرقون والغربيون في كتبهم،ومنها:

AD: اختصار لـ «بعد الميلاد».

A.M: رمز للوقت الصباحي.

B.A: اختصار للإجازة في الآداب،و A مختصرة من ARTS. وتتغير A على حسب الكلية.

B.C: رمز للزمان قبل ميلاد السيد المسيح.

B.C.E: اختصار لزمان ما قبل الميلاد.

M.A: اختصار لدرجة الماجستير.

PH.D: رمز لدرجة الدكتوراه.

P.M: اختصار للوقت المسائي.

* * *

المخطوطات والإملاء الحديث

الكتابة هي الصورة الخطية للكلمة المؤلفة من مجموعة حروف تؤدي معنى يريده الكاتب، وترتبط هذه الكلمة بأخرى قبلها وأخرى بعدها لتكون جملة كاملة ذات معنى، وتنتقل هذه الجملة إلى الآخر مكتوبة أو منطوقة.

وقد كانت الكتابة في الجاهلية موجودة، ولكن بصورة بدائية لا تكاد تُقرأ اليوم. وكانوا يربطون حروف بضع كلمات إلى بعضها بعضًا بأدوات كتابة بدائية، سواء بالنقش على الحجر، أو الكتابة بقصبة أو عود على الجلود والعظام وما أشبه.

ولو اطلعنا في كتب الخط العربي على نماذج من هذه النقوش -وهي موجودة- لأدركنا كم كانت الكتابة بدائية ومحدودة.

وظهر الإسلام الحنيف، وشعَّ نوره في الأرجاء، ونزلت الآيات الكريمة على رسول الله ﷺ مسموعةً، ونقلها للمسلمين والمشركين معًا مسموعة أيضًا، ومع أن العرب امتازوا ـ وانفردوا ـ في تلك الأيام بالذاكرة الجادة، فإن الرسالة السماوية يجب أن تدوَّن خوفًا من أن تخون الذاكرة بعضهم فينسون، أو لضرورة حفظها، والرجوع إليها، ونقلها لمن لم يسمع،ولجؤوا إلى التدوين لأنه أكثر أمنًا وحفظًا.

فنشطت حركة تدوين الآيات فور نزولها، وأسرع العرب المسلمون إلى تعلم الكتابة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحض على تعلم الكتابة والقراءة، وكان يختار ممن يحسن الخط ليكتب ما يُنزله الوحي عليه.

وقد بلغ - كما روي - أن عدد من كان يكتب الوحي قرابة أربعين صحابيًّا

وسرعان ما أتقن لفيف من الصحابة الخط والكتابة، وكان بعضهم يكتب لنفسه بعض الآيات وبعض الأحاديث.

ومع انتشار الخط في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الصحابة الكرام والخلفاء

الراشدين من بعده، فإن الكتابة ظلت بدائية جدًّا لا يكاد يحسن قراءتها إلا كاتبها،وبهذا الجهد المتواضع نسخ القرآن الكريم، ووزعت نسخة في الأمصار، ونقل من نقل من هذه النسخ الخطية،فكثرت نسخ القرآن.

لكن حب المسلمين للقرآن العزيز دفعهم إلى تحسين خطوطهم، وتأمين أدوات جديدة للكتابة،ولا نستبعد أن يُوجد ما يشبه الورق، والذي أسموه الصحف والمجلات أي كتابات موضوعة لمضمون واحد، ولكن بحدود نادرة جدًّا.

وازداد الاهتمام بالكتابة في العصر الأموي، ووجدت الكتب عند بعض الأطباء، وفي المراسلات الأميرية، وعند خالد بن يزيد.

لكن النهضة العلمية في الكتابة والتطوير الإملائي بدأ في عصر التدوين بشكل جدي إبَّان العصر العباسي الذهبي وقد كانوا يكتبون الكلمات مفصولة بدقة، ولكن من غير نقد للحروف أو شكل لها، ثم وصلوها، وعمَّ الوصل، وتقدمت الكتابة.

وكانوا يعتبرون تسلسل الهجاء على أساس الكتابة السريانية «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قَرَشت» ثم أضافوا عليها الحروف العربية الستة «ثخذ ضظغ». لكن الخليل الفراهيدي رتبها ترتيبًا ذوقيًّا بحسب تشابه أجسام الحروف، فأسماها الألف باء (أ ب ت ث ج ح خ ...).

وأدخلوا التنقيط فعرفت الاختلافات بين الحروف المتشابهة، واخترعوا الحركات لتصويب نطقهم،وكلما توسعت الحضارة، وكلما دخل الأعاجم في الإسلام وتعلموا العربية، زادت الحاجة إلى تحسين الخط والكتابة؛ لخدمة العلم والعربية.

لكن نهضة الكتابة وتحسين الخط العربي ارتبطا بقدسية القرآن وبخدمته، ونحسب أن القرآن هو سبب تطور الخطوط وتنوعها، وسبب حركة التأليف أيضًا، ولولا القرآن الكريم لتأخر ركب الحضارة الإسلامية وتوقف سعيُ العلماء في خدمة الحرف العربي.

فبسبب قدسية القرآن بلغ الخط العربي مرحلة من الجمال فاقت فنون الخط والنقش عند الأمم، وظهر الخطاطون البارعون، وتسابقوا إلى نسخ القرآن، وإلى كل كتاب يخدم القرآن.

والمهم في الأمر، أن الخط كان يتطور بين كل مرحلة وجيل، وأن رسم الخط القديم كان يُترك لمتابعة تطور رسم الخط الجديد،حتى بلغ بالعلماء أنهم كانوا ينظرون إلى المخطوطة فيعرفون في أي عصر نسخت، وفي أي مصر، بل بلغ بعضهم من البراعة أن يعرف -أو يرجح- اسم الخطاط أو الناسخ الذي نسخ الكتاب.

وانتشرت الحركة العلمية في المعمورة العربية والإسلامية، وتبعتها حركة تعلم الخط، ولا سيما عند من احترف صنعة النسخ،وبات الناسخ الجيدُ الخط هو الذي يحظى بالشهرة والكسب،وفتحت دور الوِراقة وضمت كل دار عددًا من النسَّاخين في كل عصر وفي كل بلد.

قدسية الخط القرآني:

نحن نعلم أن القرآن الكريم نزل من السماء مسموعًا لا مخطوطًا، وأنه نسخ ودُون في عهد النبي ﷺ، وفي عهد أبي بكر، وفي عهد عثمان، وظل القرآن ينسخ على قدر حاجة المسلمين إليه.

وكان نسخ القرآن يتطور جيلاً بعد جيل، من غير أن يتقبل العلماء أي زيادة على رسمه في النقاط والحركات في بادئ الأمر،ثم رأوا الضرورة تستدعي ذلك.

وفي مرحلة متأخرة من العصر العباسي حوفظ على الرسم القرآني خوفًا من البدع، واستمرَّ هذا الخط ينقل كما هو من غير أي تجديد، مما أبدعه أعظم الخطاطين في فن الخط.

ومع وجود أنواع من النسخ القرآنية المتنوعة الخطوط ظل محافظًا على رسمه القديم كالكوفي، والنسخي، مقسَّمَ الآيات، مشكولًا بدقة متناهية، منقوطًا بعناية كاملة، مع رموز التجويد والمحافظة على رسم إملائه القديم، واختلاف طفيف بين النسَّاخ المعتبرين.

ونظرة علمية دقيقة في النسخ المتفرقة بين الناس نلاحظ اختلافًا في رسم الخط وفي رسم الإملاء، من غير أن يُمَسَّ جوهر القرآن الكريم مطلقًا.

رسم الإملاء في القرآن:

فعلى ما أسلفنا فإن رسم الإملاء ولا سيما الهمزات، والألفات، وحروف العلة، والتاء المربوطة والمبسوطة ظلت محافظًا عليها في الرسم القديم،ويستطيع المسلم في جميع بقاع الأرض أن يتلو القرآن -بحمد الله- مهما تباين رسم الإملاء

بين النسخ.

فقد سُمع عن العرب وسمع عن علمائهم الأجلاء -منذ صدر الإسلام- إسقاطهم الألف من بعض الكلمات والأعلام لكثرة تداولهم لها على الألسن وفي الكتابة،وسايرهم الكتَّاب على حذفها عبر العصور إلى عصرنا الحاضر، على رغم مخالفتها لرسم الإملاء مثل: إبراهيم، إسمعيل، إسحق، عثمن من الأعلام، ومثل بعض أسماء الإشارة: هذا، ذلك.

أما «بسم الله» فإن العربي أسقط الألف من «اسم» إذا ارتبط وجوده بالآية «بسم الله الرحمن الرحيم» لكثرة استعمالها عشرات المرات قراءة يوميًا وآلاف المرات كتابة،أما عدا ذلك كقولك: باسم العليم، باسم القادر فيجب ذكر الألف. والفرس يرسمون «بسمه تعالى» تجاوزًا، وحقهم أن يرسموها «باسمه تعالى».

وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه «أدب الكاتب»، وابن دُرُستويه في كتابه «الألفاظ الكتابية»، والقلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» شيئًا من هذا ولكن بإشارات خاطفة.

وجاء رسم الألفات على إحدى نسخ القرآن بإسقاطها، مع رَسمهم لألف صغيرة عمودية مكانها مثل: ٱلۡكِتَٰبُ، ٱلسَّمَٰوَٰتِ، ٱلۡإِنسَٰنُ، نَزَعۡنَٰهَا، ٱلصَّٰلِحَٰتِ، ٱفۡتَرَىٰهُ، ٱلۡأَشۡهَٰدُ..

وهي على الرسم الحديث: الكتاب، السماوات، الإنسان، نزعناها، الصالحات افتراهُ، الأشهاد.

وكذا الأمر في رسم الهمزة، حيث إن معظم النسخ القرآنية نسخها الخطاطون على شكل ما كان معهودًا، مثل: ءَامَنُوٓاْ، أَسۡـَٔلُكُمۡ، سَـَٔاوِيٓ، أَرَءَيۡتُمۡ،

رَءَا ، وحسب الرسم الحديث هي: آمنوا، أسألكم، سآوي، أرأيتم، رأى.

وقد كان الخطاطون يرسمون الهمزة تحت الحرف المكسور، مثل: لَئِنۡ ، أُوْلَٰٓئِكَ،وَضَآئِقُۢ .

وكانوا يسقطون الألف أحيانًا ويضعون الحركة المنصوبة على نَبْرة مثل: ٱفۡتَرَىٰهُ، مُفۡتَرَيَٰتٖ، أو يحذفونها كلها مثل: يَٰبَنِيَّ ، صِرَٰطَ ، وَيَٰسَمَآءُ ، أو يحرِّفونها إلى واو مثل: ٱلصَّلَوٰةَ ،كما ورد رسم التاء المربوطة مبسوطة في مثل:ٱلصَّلَوَٰتِ ، ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ .

فما كان يرسم في عصر صدر الإسلام يختلف عما صار يرسم في العصر العباسي. وتغير الإملاء كثيرًا في العصرين المملوكي والعثماني،فقد كانوا يضيفون الألف الفارقة على واو العلة وعلى واو جمع المذكر السالم المضاف، ويرسمون الهمزات رسمًا عجيبًا، مثل: هيأة، مائة، ماءة.

على أن معظم المخطوطات في العصر العثماني حافلة بالأخطاء الإملائية واللغوية، والنَّحْوية، ونادرًا ما نجد مخطوطة سليمة في هذا العصر.

ومثل هذه الأخطاء يجب ذكرها في الحاشية، أو الإشارة إليها في المقدمة وبأن المحقق صوَّب هذه الأخطاء.

ولا يعني هذا أن القدماء ما كانوا يخطئون، بل نصادف أخطاء ـ وأحيانًا فاحشة ـ عند بعضهم؛ ففي كتابات ابن سعيد (ت ٦٧٣ هـ تقريبًا) أخطاء كما في «المغرب في حُلى المغرب» أخطاء عديدة، وكذا عند المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في بعض مؤلفاته.

وكانت الأخطاء متغشية في هذا العصر وقبله، ولذلك ألفت كتب الألحان في لحن العامة، ولحن الخاصة، ومثل «درة الغواص في أوهام الخواص» للحريري

(ت ٥١٦ هـ)، لكن الأخطاء نادرة في القرون الأولى، وتزداد مع توالي القرون،ولن نذكر أخطاء المحدثين فهي مخزية، مع كثرة كتب الأخطاء الشائعة.

إملاء النسّاخين:

وحافظ النساخون على الرسم القرآني، وأدخلوا في نسخهم بعض الأشكال الإملائية لرسم القرآن، وظهر المتشددون يطالبون بالحفاظ على النَّسخ التقليدي أسوة برسم القرآن الكريم، وتبعهم في التشديد بعض المحققين المعاصرين بأن فرضوا أن تطبع المخطوطات على الرسم الأصلي للنسخة المعتمدة، لكن دعوتهم لم تلق أذنًا صاغية لاستحالة طبع الكتب على الإملاء القويم.

وما دروا أن الإملاء يتغير من عصر إلى عصر، ويتطور من جيل إلى جيل، وما كان يكتبه آباؤنا مخالف لإملائنا اليوم،ولا يعني هذا أنهم أخطؤوا، كما لا يعني أن خطهم مقدس لا يجوز تغييره.

ومع أن النساخ كانوا ينقلون النسخ الخطية بكل دقة وأمانة، إلا أنهم كانوا ينسخون على إملائهم هم لا على إملاء من سبقهم من الناسخين.

ومع الأسف لم يسبق أن درس أحد المحققين أو الخطاطين أو الباحثين تطور الإملاء العربي منذ الجاهلية حتى اليوم عبر العصور الإسلامية،ولو أنهم فعلوا لخدموا الخط والنسخ خدمة جُلى، ولتكشَّف لنا من نوع الخط والإملاء العصر الذي نسخ فيه الكتاب.

صحيح أن بعض السادة المحققين يستطيعون تحديد العصر أحيانًا بنوع الخط، ونوع الورق، ولوح النِّقس [1]، إلا أن خبرتهم تظل محدودة وقاصرة على معرفتهم الخاصة المحدودة.

(١) النِّقس: اسم الحبر الذي كانوا يكتبون به.

وانبرى بعض المحققين يملؤون حواشي الكتب بتباين الإملاء،وبأن الاختلاف الإملائي خطأ من النساخ،ونحن لا نرى ضرورة لملء الحواشي باختلاف الإملاء، ولا ندعو إليه؛ إذ لا ضرورة مثلًا لأن يشير المحقق إلى أن الناسخ كتب إسمعيل، وحقه أن يرسمها إسماعيل؛ لأن أساس اللغة العربية سماعي، ولأن الإملاء يتطور كما يتطور الخط.

وعلى هذا لم يخطئ الناسخ في رسمه إلا إذا كان هذا خطأ إملائي ظاهر، فالخطأ يشوه الكتابة، ولعله أسوأ من الخطأ النحْوي.

ومن الخطأ بمكان أن نطبع المخطوطة بالإملاء الناسخ؛ لأن خطه غير مقدس، ولأن هذا الإخراج غير مجدٍ،وقد ينسخ المخطوطة أكثر من ناسخ فأي إملاء نعتمد؟ ثم إن واجب المحقق أن يظهر المخطوطة بالمظهر المعاصر السليم، تمامًا لو أن المؤلف نفسه يكتبها اليوم بما يناسب الإملاء الحديث، لا بحسب إملاء المؤلف أو الناسخ.

كما علينا أن نلتزم برسم المصحف محافظين على إملائه، وإن أراد الخطاطون اليوم أن ينسخوا القرآن فعليهم أن يراعوا رسم الخط القرآني،وإن أردنا أن ننسخ آية بخطنا فلا بأس أن نرسمها على حسب إملائنا اليوم لصعوبة رسمها على الرسم القرآني،وفي مجال التحقيق يمكن إنزال الآية من الجهاز الآلي (الحاسوب) على حسب ورود الآيات تمامًا.

ولهذا نرى بسط أهم القاعدات الإملائية في رسم الحروف، أو في حذفها، ورسم الألفات، والهمزات على حسب الرسم الحديث المتداول اليوم وعليه يعتمد المحققون وينشرون الكتب من غير الإشارة إلى تغيير إملاء الكلمة في الحاشية، على ما أشرنا إليه، وليُعلم أن إملاءنا اليوم سيطرأ عليه تغيير بعد جيل من الزمان.

* * *

ملاحظات على رسم الخط الحديث

١- ترابط بعض الحروف:

في العربية حروف يمكن ربطها بغيرها، فيتغير رسم إملائها،**من ذلك:**

(ما): إن كانت استفهامية ارتبطت بحرف جر، أسقطت الألف؛ لأن الاستفهام يوجب الاختصار، فنقول: ممَّ- عمَّ،على أن يسقط حرف النون لضعفه، ويستعاض عنه بالشدة.

فإن كانت «ما» موصولية بقيت «ما» على حالها، نحو: أكلتُ ممَّا أحببت،ويدخل في حسابها «ما» النكرة بمعنى شيء.

وقد تتصل بما قبلها كالفعل نعمَ، فتدغم الميمان: نعمَّا؛ كأدوات الشرط: ليتما، أينما، أيّما، نحو: أيَّما أخذتَ سعدتَ به، وبأي الاستفهامية، نحو: أيُّما رجلٍ زارك اليومَ؟ أو بأيٍّ الكمالية، نحو أخلصتُ لأبي أيَّما إخلاصٍ كما تتصل بالظرف: أينما.

(مَن): تتصل مَن الاستفهامية والموصولية بحرفي الجر: مِن وعن، فتحذف النون وتضعَّف الميم الثانية، نحو: ممن أخذتَ الدينار؟ الجواب: ممَّنْ وهبني إياه.

(كي): تتصل كي بـ «ما» الاستفهامية بعدها، فتحذف الألف منها ويوقف على هاء السكت: كيمه؟ ويصبح المعنى: لمَ؟ ولكن إذا اتصلت بـ (ما) المصدرية أو الزائدة لم يحذف منها شيء، نحو: جئتك كيما أتعلمَ.

وإن جاء بعدها (لا) النافية انفصلت الأداتان: أسرعتُ كي لا أتأخر، وإن سبقتا باللام الجارة وصلت الثلاث معًا، نحو رحلتُ لكيلا أكونَ مُحرجًا لك.

(اللام): إن جاءت اللام مفتوحة وجاء بعدها «إنْ» الشرطية رسمت الهمزة على نَبرة، «لَئن»، وكانت اللام موطئة للقسم،وإن كانت اللام مكسورة جاء بعدها «أنَّ» المشبهة بالفعل، وظلت الهمزة على الألف: «لأَنَّ».

(لا): توصل «لا» النافية بـ (إن) الشرطية، فتُدْمج الأداتان، وتشدَّد اللام، نحو: إلَّا يكن الدرسُ فالكتاب أَولى،وكذا الأمر إن سُبقت بـ «أنْ» المصدرية: يفَضَّلُ ألّا تتأخرَ،وإن سُبق هذا التركيب باللام الجارة دمجت الأدوات الثلاث: سكتُّ لئلا أضايقَ المحاضرَ.

ولكن إن سُبقت بـ «أنْ» المفسرة أو «أنْ» المخففة فُصلتا: علمتُ أنْ لا سفرَ هذا اليوم.

٢- حذف بعض الحروف:

قد تحذف بعض الحروف إملائيًّا حسب القواعد العربية، **من ذلك**:

حذف الألف: تحذف الألف إن وقعت في أول الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها،فتحذف (من أول الكلمة) مع (ابن) إذا وقعت بين اسمي علم كان الثاني أبًا للأول، وتحذف من كلمة (اسم) إذا جُرت بالباء وجاء بعدها لفظ الجلالة حصرًا: بسم الله، كما سبق ذكره.

كما تحذف وسطًا منذ الجاهلية بلفظ «اللهمَّ»،علمًا أن هذا اللفظ عبري معرب معناه عندهم: الآلهة، وعربت بمعنى النداء: يا الله.

وتحذف ألف الوصل إذا سبقت بهمزة استفهام: أَخترتَ ما أردتَ؟ كما تحذف مع «الله» و«الإله» تبعًا للرسم القرآني،ولكنهم إذا أنثوا «الإله» على المعنى الوثني قالوا: الإلاهة.

كما حذفوا الألف من وسط بعض أسماء الإشارة، وما زالوا على هذا، مثل: هؤلاءِ، أولئك، ذلك، ذلكم، هذا، هذه،ولمَّا يُقرّوا إعادة الألف، وقد يفعلون مستقبلاً.

وتحذف الألف من «ما» الاستفهامية دون غيرها إذا سبقت بحرف جر، مثل: فيمَ تفكرُ؟ في ما خلق الله.

حذف النون: تحذف النون من مِن، عن إذا اتصلت بهما «مَن» الاستفهامية والموصولية، نحو: الخنساء ممن نبغوا في الشعر، ويعوَّض عنها بالتضعيف أو اتصلت بهما «ما» الاستفهامية نحو: عمَّ نسألُ؟

كما تحذف النون من «إنْ» الشرطية، إذا اتصلت بها «ما» الزائدة، نحو: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ [مريم: ٢٦] ويعوَّض عنها بالتضعيف: كما تحذف من «أن» الناصبة إذا جاء بعدها «لا» النافية، نحو: يجب ألَّا تتأخرَ، وتضعَّف اللام إيذانًا بحذفها.

حذف الواو: يجب حذف الواو من «داودَ»؛ لأنه أعجمي، وعندهم الاسم بواو واحدة لكن الواو لا تحذف من «طاووس»،ويقولون: حط الطاووس على داودَ فسرق منه الواو الثانية وطار.

حذف اللام: من العجيب عند بعض السادة المحققين أنهم يكتبون «الليل» بلامين ويضعون شدة على اللام الثانية،وبذلك يصبح عدد اللامات ثلاثًا،فإما أن تكتب الْلَيل من غير تضعيف أو أن تضعف وتكتب الَّيل،وورد الرسمان في بعض نسخ القرآن،ومثل هذا قولهم: اللذان.

حذف «أل» التعريف: اصطلح أن تبقى «أل» إذا سبقت بالباء الجارة أو بـ (إلى) أو بـ من الجارات، نحو: من البيت إلى الجامعة، غير أنها تحذف إذا سبقت

باللام الجارة مثل: للبنات، للذي.

٣- الألف الفارقة:

معظم المخطوطات القديمة تضيف الألف الفارقة على واو الجماعة وواو العلة معًا،لكن الإملاء الحديث كان أكثر دقة، فأضاف الألف على الفعل المتصل بواو الجماعة التي تعرب فاعلاً أو اسمًا لكان،ولهذا أسموها: الألف الفارقة بين واو العلة وواو الجماعة،فإذا صادفها المحقق أسقطها من واو العلة،ولا حاجة إلى ذكرها في الحاشية؛ فهي رسم لا خطأ.

٤- رسم الهمزة:

ليس هدفنا هنا شرحًا مفصلًا عن الإملاء، ولا تعليمًا للسادة المحققين؛ فهم بعون الله جهابذة معلمون، ولكننا نهدف إلى توحيد وضع الهمزة، وإنهاء التساؤل والشك، والحديث عن الشواذ المفتعل،وسنركز **على نقاط أساسية** وحسب:

١ - **المدّ**: يتكون من همزة يعقبها ألف؛ فهي حرفان، يجمعان بحرف واحد هو الألف فوقها مَدٌّ (~)، فهي: أَ اْ، وتكتب: آ،فهي في العروض حركتان: فتح فسكون.

وتقع أولًا في ترتيب الأعلام؛ فيضع المحقق حرف المد أولًا وتحته كل علم ممدود الأول مثل: آدم، آذربايجان،ولينتبه المحقق إلى أن الكمبيوتر يعد المدّ همزة فيأتي عنده «أحمد» قبل «آمنة».

كما أن المدَّ في الفعل «يلجأان» يفك؛ لأن الألف في محل رفع فاعل في حين أنه لا يفك مع الاسم «ملجآن»؛ لأن الألف علامة المثنى لا فاعل.

٢- المهم في الهمزة بأول الكلام أن «إذا» إذا سبقت بهمزة الاستفهام صارت الهمزة وسطًا، فتقول: أئذا؟ وإذا دخلت على فعل مضموم الهمزة رسمتِ الهمزة على الواو: أؤنبئك؟ أو كانت الهمزة مكسورة في الكلمة رسمت على نَبْرة: أئفكًا تقول؟

الهمزة في وسط الكلمة:

معروف أن الكسر أقوى من الضم، وأن الفتح أضعف منهما:

١- تكتب الهمزة على الألف إذا كانت ساكنة أو مفتوحة وما قبلها فتح، نحو: سألَ الطالب مسألة.

٢- وتكتب على الواو إذا كانت الهمزة مضمومة أو ما قبلها ضم، ولا وجود للكسر فيهما: المؤرخ في المؤتمر.

٣- وتكتب على الياء إذا كانت مكسورة أو كان قبلها كسر أو ياء ساكنة؛ لأنها بحكم الكسر، مثل: رُئِيَ، مِئة، هَيْئة، شَيْئان،والمشكلة في كلمة «مِئة»؛ فبعضهم يكتبها (مائة) وبعضهم يكتبها (ماءَه)، فالأُولى ترسم بغير ما تلفظ، والأخرى ماءة معناها ماء قليل في الصحراء،ونقرأ في بعض كتب المتخصصين قولهم: «وأجازوا أن تكتب مائة هكذا!». بالله من أجاز؟ الصحيح أنها تكتب مثل رِئَة وفِئَة ليس غير،ألا ترى أن النسبة: مِئَوِيّ؟

كما أن بعضهم رسمها مركبة مع المعدود فقال: أربعمائة، ففيها خطآن في آن واحد؛ لماذا أجازوا كتابتها هكذا ولم يجيزوا لأربعة آلاف؟ إن (آلاف) مضاف إليه، مثل (مِئَة) مضاف إليه. فكيف يصحُّ إعرابها؟ والصواب أن نكتب: هذه أربعُ مئةٍ. ويدَّعي بعضهم أنها كذا وردت في المخطوطات،صحيح، لكننا شرحنا أن الإملاء يتغير مع كل عصر،أفنغير كل إملائنا ونتهاون في هذه؟

٤- تكتب الهمزة على السطر وسطًا إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ألف أو واو ساكنة، أو بعدها ألف ساكنة: جزءان، دناءة، سموْءَل،أو كانت مفتوحة وقبلها ساكن لا يمكن الاتصال به، نحو: جزءانِ،ويتسرَّع بعضهم فيكتب جزءين ويضع الهمزة على نبرة فيقول: جزئَين،فهو يتهيأ له أن الياء أوجبت الكسر. ونسي أن الياء بعد الهمزة لا قبلها،ثم إن: جزءان الهمزة على السطر، فلماذا نرسم جزءين على نبرة، والألف والنون والياء والنون علامتان للمثنى؟

كما تكتب الهمزة على السطر إذا وقعت بين واوين مثل: موءودة، حتى لا يجتمع ثلاث واوات، وإذا كتبوا (رؤوف) وضعوا الهمزة على السطر توهمًا أنها مثل موءودة، وهذا خطأ؛ فتلك بثلاث وهذه باثنتين.

ونراهم يرسمون الهمزة المتوسطة على نبرة، وحقها أن تكون على الواو، وحين سألناهم عن السبب قالوا: للتخفيف! أيكون التخفيف في كلمات، وعدم التخفيف في كلمات؟!

كقولهم: مسئول وشُئون،لاحظ أن الكلمتين خاليتان من الكسر أصلاً، ولا وجه لوضع الهمزة على نبرة،والصواب: مَسْؤُول وشُؤُون،والقاعدة أفضل من التخفيف،والهدف توحيد الإملاء.

٥- الهمزة المتطرفة: تكتب الهمزة المتطرفة على الألف، إذا كان الحرف قبلها مفتوحًا: توضَّأ،وعلى الواو إذا كان الحرف قبلها مضمومًا: تكافؤ الفرص. وتكتب على الياء (فوقها تمامًا) إذا كان الحرف قبلها مكسورًا، وفي هذه الحال نرسم الياء بلا نقطتين: شاطئ، وتكتب على السطر إذا كان الحرف قبلها صحيحًا ساكنًا، نحو: بُطْء دِفْء،وتكتب أيضًا على السطر إذا سبقت بياء، نحو: شَيْء يُضِيء.

٦- **همزة الوصل**: هي الهمزة التي لا تُرسم على الألف في أول الكلمة، ويوضع فوقها صاد صغيرة (ٱ) مختصرة من الفعل «صِل».

فإن جاءت الكلمة فيها وصل في أول الجملة حركت فتحًا أو ضمًّا أو كسرًا ونطقت من غير رسم.

وإذا وقعت في وسط الجملة تُرسم الألف من غير همزة، ويوضع حرف الوصل، نحو: « وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ »، ويميلون اليوم إلى حذف الصاد لشهرتها.

وتقع همزة الوصل مع الفعل إذا كان أمرًا ثلاثيًّا: افهمْ، وفي كل فعل خماسي فما فوق: استغفر، ماضيًا كان أو أمرًا.

كما تقع مع الاسم في أول كل مصدر خماسي فما فوق: استدعاء.

ووردت أسماء مسموعة همزتها وصل، هي: ابن، ابنة، امرؤ، امرأة، ايمنُ الله، ايمُ الله (مختصرها)، اثنان، اثنتان، والأسماء الموصولة التي أولها ألف ولام: الذي. وتحذف همزة الوصل إذا سُبقت بهمزة استفهام، نحو: أَبنك حاضر؟ أصطفاك الوزيرُ؟ أو سبقت بأداة نداء: يا بنَ الخطاب.

٧- **همزة القطع**: هي الهمزة التي تُرسم وتنطق حيث وقعت وبحركاتها الثلاث. وتقع مع كل فعل ثلاثي أو رباعي في الماضي والمضارع ومع الأمر: أَعطى، أَكْرِمْ، أُكْرِمُ.

ومع كل مصدر ثلاثي أو رباعي: الأخذُ والإكرام،ومع كل اسم تفضيل: هكذا أحسنُ،ومع الأسماء والضمائر والأدوات: أخ، أخت، إله، أنتَ، إلى.

وكنا ذكرنا أن همزة القطع إذا سُبقت بهمزة استفهام تبعت الهمزة رسمها: أأنت؟ أئذا؟ أؤلقي؟ لكن همزتها لا تتغير مع غير همزة الاستفهام: سألقي.

٨- **رسم الألفاظ المعربة:** في اللغة العربية بضع مئات من الألفاظ الأعجمية من الفارسية، واليونانية، والسريانية، والحبشية، والتركية، والهندية، وأكثر من مئة لفظة في القرآن الكريم، وأكثر من ذلك في الأحاديث النبوية.

ومن الطبيعي أن يختلف نطق هذه الكلمات بين الأصل والمعرب، وحتى اللفظُ الدخيل يطرأ عليه تغيير،ومع أن العرب وضعوا قواعد للتعريب، إلا أنهم تساهلوا فأعطوا الحرية كاملة للأدباء في لفظ المعرب وفي رسمه.

ويرجع سبب التفاوت بين الأصل والتعريب اختلاف المخارج الصوتية بين الأمم، ووجود حروف غير معروفة عند العرب.

وقد حارَ المؤلفون والرسامون كيف يرسمونها؟ ونرى في بعض النسخ اللفظة المعربة الواحدة ترسم بأكثر من شكل، مثل: بقراط وأبقراط، وأرسطو وأرستطاليس، وأوقليدس وأقليدس، وقد يكسر بعضهم الهمزة.

كما أنهم حاروا في كلمة الصراط فكتبوها السراط والزِّراط، والنوروز والنيروز، وأصبهان وأصفهان، وكيوان وكيفان وغير ذلك.

فالكلمات اليونانية محدودة، وليكتبها الناسخ أو المحقق كما شاء.

أما الكلمات الفارسية فالمشكلة في رسم الحروف (ب، ج، ز، ك) فأصفهان أصلها بالباء المثلثة، ولك أن تكتبها كما تشاء، ولكنهم اصطلحوا على أبي الفرج الأصفهاني (بالفاء) والعماد الأصبهاني (بالباء)، ويخطئ من يكسر الهمزة، وعربوا المهركَان (عيد الخريف) بالجيم فقالوا: مهرجان.

وعند الفرس حركة مركبة هي بين الفتح والضم،ولهذا قالوا: النوروز والنيروز، وكلاهما صحيح في العربية،وعندهم مشكلة بالواو؛ فهي إذا حركت نطقت مثل (V) الإنكليزية لذا عربوا كيوان فقالوا: كيوان وكيفان،وعربوا اسم

«كاووس» إلى قابوس، بناء على نطق الواو الأولى على ما ذكرنا.

وعندهم أن الواو إذا وقعت بين الخاء والألف لم تلفظ؛ فهم يلفظون: خارَزم وخاجَه، لكنهم يرسمونهما: خوارزم وخواجه، وقليل من العرب من تنبه إلى هذه القاعدة وعندما يعربونها يفتحون الواو[١].

* * *

(١) انظر مقدمة المعجم الذهبي في الدخيل على العربي «قضية التعريب»؛ ففيه تفصيل في هذا الموضوع يغني المحقق.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

التحقيق بين المستشرقين والعرب

اهتمام القدماء بالمخطوطات:

يخطئ من يظن أن العلماء العرب والمسلمين لم يهتموا بتراث أسلافهم،وما ذكرناه من تقصير لم يكن حاصلًا من قبل العلماء بل من الكوارث والجهل،بل كيف لنا أن نتهمهم وهم أصحاب الكلمة وأصحاب هذا التراث الذي يعيشون منه وله، ويتباهَون بأنهم يملكون هذه الكنوز ويدفعون عليه ما يقدَّر بالكنوز؟

فقد تنبه علماؤنا منذ مطالع القرن الرابع، أي منذ بلوغ الإنتاج الفكري قمته السامية، فنادوا بالحفاظ عليه، وتقييد روايته، وتحديد القيمة العلمية للكتاب للعالم والمتعلم، وضرورة تقدير المؤلف وتلميذه.

وقبل أن ننتقل في بحثنا نحو العصر الحديث، ودور المستشرقين والعرب في حماية التراث والدفاع عنه، نرى أن ننقل ذكر بعضٍ من هؤلاء العلماء الذين حضوا على حماية الكتاب، وتحديد الدوافع للاستفادةً منه، والكتب التي ألفوها بهذا الخصوص،وسنلاحظ أن من كتبوا عن الموضوع مؤلفون كبار لهم دور في عالم التأليف، بمعنى أنهم فئة غيورة واعية.

وكانت أصواتهم دائمة التوجيه، وأقلامهم مستمرة التأليف على مدى العصور الطويلة.

ولعل الواجب يقودنا أولًا إلى الحديث عن نقط المصاحف، فقد دلت غيرة العلماء على القرآن الكريم منذ ظهرت فكرة نقطه وشكله خوفًا على سلامة النص السماوي المبارك، فظهر من يؤيد التنقيط ومن يعارضه، ومثله الشكل

والتنوين،وهذا غاية في الدقة للحفاظ على نقاء الذكر الحكيم،ويعدُّ «المحكم في نقط المصحف» لأبي عمرو عثمان ابن سعيد الدالي (ت ٤٤٨هـ) [1] خير ما ألف في الموضوع.

كما أن العلماء خرصوا على التدقيق في رواة الحديث،وهذا جزء مهم في نقد النص وحمايته من الوضع والطعن.

ويذكر العلماء أن الرامَهُرْمزي الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن خلَّاد (ت ٣٦٠هـ) أول من اهتم بصحة نص الحديث في كتابه «المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي».

والاهتمام بصحة رواية الحديث جرَّ العلماء للحديث عن رواة الحديث بشكل خاص وعن الرواة بشكل عام،فتتبعوا رواياتِهم، ودققوا بأخلاقهم، خشية أن يقحموا على النص ما ليس فيه.

وللخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) كتابان مهمان في هذا الموضوع، الأول هو «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، أي المتكلم والمتلقِّي، والآخر هو «الكفاية في علم الرواية».

وتعمقوا أكثر في الموضوع، ووضعوا القوانين، فألف القاضي عياض (ت٥٤٢هـ) كتابه «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، وتوجهوا نحو تقسيم الحديث إلى أنواع زيادةً في الدقة، فألف ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) كتابه «معرفة أنواع الحديث».

وتقديرًا للنص وسلامته فقد وضعوا كتبًا في وجوب رعاية النص وتصويبه، فألف ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) «الاقتراح في بيان الإصلاح»،

---

(١) حققه عزة حسن، ونشره في دمشق طبعتين، كانت الأخيرة عام ١٩٨٦م.

وقبله ألف ابن الأنباري (ت ٣٢٧هـ) كتابًا في مراعاة النص وكيفية قراءته، مستخدمًا أسلوب الكوفيين، وسماه «الإيضاح في الوقف والابتداء»، لكن الكتاب مازال..........مخطوطًا[١].

وتتابعت كتبهم في أدب المتكلم والسامع بما يخص الحديث النبوي، من ذلك: «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» لابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)، وكتاب «مُنية المريد في آداب المفيد والمستفيد» لزين الدين العاملي (ت ٩٦٥هـ)، و«الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد»[٢] لبدر الدين الغَزِّي (ت ٩٨٤هـ)، و«المعيد في أدب المفيد والمستفيد»[٣] للعَلْمويّ عبد الباسط بن موسى (ت ٩٨١هـ)، وهو اختصار لكتاب «الدرِّ النضيد»[٤]، و«التنبيهات على أغاليط الرواة» لعلي بن حمزة الأصفهاني (ت ٣٧٥هـ)[٥].

وهذا برهان على همة العلماء في حماية المخطوطات وتتبعهم للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة؛ خوفًا على نقد النص وضمان سلامته،وزاد العلماءَ دقة في وضع الكتب في أدب الرواية وأخلاق الرواة، وأدب السامع؛ لئلا يقعوا في الهفوات، وما بعدَ غيرتهم هذه غيرة.

وتحوَّل اهتمام العلماء نحو النص الأدبي وكيفية الحفاظ عليه، واحترام الكتاب فوضعوا قواعدهم في الأدب على نظام روايتهم للحديث، وعَلموا الناشئة من الكتَّاب كيفية التأليف وصنعة الكتابة حينما انتشر فن الكتابة، وغدا سوقًا رائجة. فنوَّهوا بأهمية الكتاب، وعلموهم كيف يخدمونه ويحافظون عليه،

---

(١) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون: ١/ ٢١٠.

(٢) نشرناه كاملاً في القاهرة.

(٣) نشرناه كاملاً في القاهرة.

(٤) المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات: ٣.

(٥) الكتاب مطبوع.

وكيف يَقُصُّون القلم، وكيف يراعون الورق، وكيف يصوغون النص، وهذا كله دليل على اهتمام القدماء بالكتب.

ويروى أن أول من صنع كتابًا في هذا الموضوع في وقت مبكر من العصر العباسي أبو القاسم البغدادي الكاتب مؤدب الخليفة المهدي في كتابه «الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها»،علمًا أن المؤلف ضرير.

ويدلنا النديم في كتابه «الفهرست» على مدى انتشار المؤلفات، وتخوف العلماء على الكتب، بذكره عشرات الكتب المعتنى بها في كتابه،وجاء بعده عدد من المؤلفين كان القلقشندي أشهرهم في كتابه «صبح الأعشى في كتابه الإنشا» (ت ٨٢١هـ).

كما أن تخوّف العلماء من التصحيف والتحريف برهان آخر على حرص العلماء على صحة النص وأهمية نقاء الكتاب من أي وهم قد يقع فيه[١].

وبعدُ، فهذه إشادة بعلمائنا القدماء، الذين بلغوا مرحلة عظيمة في حفظ التراث، متمثلين ثلاثةً: الكتاب، والمؤلف، والقارئ.

دور المستشرقين في تحقيق النصوص:

نبَّه المستشرقون على أهمية التراث العربي وعلى ضرورة إحيائه، حين باشروا بنشر عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية والدواوين الشعرية منذ القرن الثامن عشر،ولم يكن العرب على علم بكيفية التحقيق، وكيفية نشر تراثهم العريق. وكانوا كلما سمعوا بنشر أحد هذه الكتب تسابقوا إلى اقتنائه بكل السبل، ومراقبة طريقة نقده وإبرازه.

لكن العرب سرعان ما تلقفوا هذا العلم، كتلقُّفهم الفنون الأدبية الحديثة التي سبقهم إليها الغرب وتسابقوا إلى التجربة في نشره، أو في إعادة ما نشر في

---

(١) سيأتي الحديث عن التصحيف والتحريف مفصلًا في موضعه.

الغرب. كما اهتموا بوضع قواعد تحقيق التراث ونشره،ولئن كان للمستشرقين فضل السبق في نشر تراثنا، ولهم الشكر حتماً، لقد برع به العرب وأكاد أقول: سبقوا الغرب في الهمة، والصدق، والأمانة.

وقد ظهر عدد من المحققين العرب، وأسهموا في تحقيق ما تيسَّر لهم من التراث، كما وضع الخبراء وأصحاب التجارب قواعد للتحقيق يسير على هديها من يأتي بعدهم،ولا بد أن نشكر المستشرقين الذين فتحوا بوابة التحقيق وأسهموا في خدمة إحياء التراث، ونسامح من لم يكن مخلصًا منهم بنفث هواه وتحريف الحق للعرب والمسلمين.

كما علينا أن نشكر شيوخ التحقيق الأوائل الذين نشروا جانبًا عظيماً من تراثنا الثمين، كما نشكر من أعاد ما حققه المستشرقون معتمدين نسخًا من الكتب لم يصل إليها المستشرقون،لكننا نعبر عن ألمنا الشديد ممن يسطو على منشورات المستشرقين ثم يكيل لهم صنوفًا من التعابير المؤذية سواء بتعقيدهم أو سهوِهم، متناسين أن قراءة النص أولَ مرة ونشره خطوة عظيمة بل هي تعادل أكثرَ من نصف حمل التحقيق،إضافة إلى أن الشتم ليس من شيم المسلمين.

ولا أعلم لماذا يرغب بعض المحققين باستنقاص همم من سبقهم؟ ألأن أولئك مقصرون، أم لأن هؤلاء عباقرة؟ وهم يعلمون أن الأدب واجب، وأن احترام العلماء فرض.

المهم أن عشرات المستشرقين في مختلف بقاع أوروبة أمضوا عمرهم في خدمة تراثنا العربي ونشر المئات من المخطوطات.

وقد رأيتُ أن أذكر أسماء بعض منهم وذكر كتاب أو أكثر مما نشروه، اعترافًا بجميلهم علينا، وحث علمائنا وتلامذتنا على حمل مشعل التحقيق، فنحن أدرى بواجبنا.

ونورد الأسماء مرتبة هجائيًّا:

١- **إدوارد فنديك**: ألف كتاب «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع»،وزاد عليه محمد علي البيلادي،وطبع في القاهرة عام ١٨٩٦م.

٢- **أدولف كروهمان** ـ Adolf grohmann: ألف «تاريخ الخط العربي» وورق البَردي، طبع في القاهرة عام ١٩٥٢م.

٣- **أمِدْروز** ـ H.F.Amedroz: حقق كتاب «الوزراء» لأبي الحسن الصابئ (ت ٤٤٨هـ).

٤- **أهلوارت** ـ W.Ahlwardt: نشر «العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين»: النابغة الذبياني، طرفة، عنترة، زهير، علقمة، امرؤ القيس،وهي التي جمعها الأصمعي.

٥- **أوغوست موللر** ـ August Muller: حقق كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة.

٦- **إيكناس كراتشكوفسكي** ـ Ignace Kratchkovsky: شارلا فلاديمير جيورجاس بنشر «الأخبار الطوال» للدِّينَوَري.

٧- **إيكينيو كريفيني** ـ Eugenio Griffini: حقق «مجموع الفقه» للإمام زين بن علي الدين.

٨- **إيلزة ليختن شتيتر**: نشرت «المحبَّر» لابن حبيب عن نسخة في المتحف البريطاني.

٩- **برجستراسر**: مستشرق ألماني ألف كتبًا عربية، وحقق مجموعة من المخطوطات التراثية، منها: «القراءات الشاذة» لابن خالويه، نشره بالقاهرة

عام ١٩٣٢م، ونشر رسالة حُنين بن إسحاق (ت ٢٦٢هـ) إلى علي بن يحيى في ذكر ما تُرجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم في لا يبزيك عام ١٩٢٥م، وهو أول من تكلم على نقد النصوص التراثية في محاضراته بجامعة القاهرة عام ١٩٣١ - ١٩٣٢م، وقد أفدنا - وأفاد غيرنا - من منهجه في تحقيق النصوص ونقدها.

١٠- **بروكلمان** - K.Brochelmann: مستشرق ألماني توفي عام ١٩٥٦م، ويعتبر أحد أبرز المستشرقين. وأشهر آثاره في خدمة التراث العربي «تاريخ الأدب العربي» في خمسة مجلدات من (١٨٩٨- ١٩٤٢م)، وكتاب «تاريخ الشعوب والدول الإسلامية».

١١- **بول شوراز** - Paul schwrz: نشر ديوان الشاعر عمر بن أبي ربيعة.

١٢- **تداريوس كوالسكي**: نشر ديوان «قيس بن الخطيم» في لايبزيك عام ١٩١٤م.

١٣- **جورج كراف** - Georg Graf: ألف كتاب «عربية النصارى».

١٤- **جوزيف هل** - Josef Hell: نشر كتاب «طبقات الشعراء» لابن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) في لايدن ١٩١٦م.

١٥- **دي جو نسبورغ** - De Gunzburg: نشر ديوان «ابن قزمان» الأندلسي على صعوبته.

١٦- **دي ماتيو** - De Matteo: نشر «الردّ على النصارى» للغَشَويّ.

١٧- **دي جويَه** - De Joeje: نشر «المجموع الكبير لكتب الجغرافية»، في لايدن ١٨٧٠م.

١٨- **روبون غِست** ـ Rhubon Guest: نشر كتابين للكندي هما «تسمية ولاة مصر» و«قضاة مصر».

١٩- **رودولف جايِر** ـ Rudolf Gayer: نشر ديوان الأعشى في فيينة «بيانة» عام ١٩٢٧م، واستعان بـ (٥٦٩) مرجعًا عربيًّا، إضافة إلى ست نسخ خطية من الديوان، ثم أعاد نشره محمَّد محمد حسين بمصر عام ١٩٥٠م، ثمّ حقَّقه محمود الرضواني ونشره في الدوحة سنة ٢٠١٠م.

٢٠- **ساكو** ـ Sachau: نشر كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية» للبِيروني (ت ٤٤٠هـ) في لايبزيك عام ١٩٢٣م.

٢١- **غوستاف فلوغِل** ـ Gustav Flugel: نشر كتاب «الفهرست» للنديم ت ٣٨٠هـ في لايبزيك بين عام ١٨٧١- ١٨٧٢م.

٢٢- **فِرديناند ووستنفيلد** ـ Ferdinaned wustenfeld: نشر كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني (ت ٦٨٢هـ)، وقد كتب عن هذا الكتاب وعن ناشره «روسكا» وطبعه في مدينة «كوتنجن» عام ١٨٤٨م،كما ترجم إلى الألمانية عام ١٨٦٨، وترجم بعضه إلى الفرنسية وطبع في باريس عام ١٨٠٥م،كما نشَرَ كتابه «آثار البلاد[1] وأخبار العباد» عام ١٨٥٠م.

٢٣- **فلاديمير جيورجاس** ـ Vladimir Guirgass: نشر كتاب «الأخبار الطوال» للدِّينَوَري بالاشتراك مع إيكناس كراتشوفسكي.

٢٤- **فلوغِل** ـ G.Flugel: مستشرق ألماني (ت ١٨٧٠هـ) ذو فضل كبير على نشر تراث العرب؛ فقد حقق «الفهرست» للنديم، و«التعريفات» للجرجاني،

---

(١) وهو عند برجستراسر ٢٣٠: آثار البلدان، والتصويب من كشف الظنون والكتاب المطبوع. والكتاب ٧٨ هو القسم الثاني من عجائب المخلوقات.

و«كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة، وفهرسَ ألفاظَ القرآن الكريم، ونشره عام ١٨٣٤م باسم «نجوم الفرقان في ألفاظ القرآن».

٢٥- **فِنسنك** ـ Wensink: قام بعملين عظيمين؛ الأول «معجم مفردات القرآن» والثاني «المعجم المفهرس في ألفاظ الحديث» على كتب الصحاح بسبعة مجلدات، وطبعه في بريل عام ١٩٣٦م.

٢٦- **فون مْزيك** ـ Von Mzik: نشر كتاب «الوزراء» للجهشياري في فيينة عام ١٩٢٦م.

٢٧- **كِرنكو** ـ F.Krenkow: نشر شعر «طفيل بن عوف الغنوي» الشاعر الجاهلي، و«ديوان الطرمَّاح» في لندن عام ١٩٢٧م.

٢٨- **كرِنكوف** ـ Krenkov (ت ١٩٥٣م): مستشرق ألماني نشر مجموعة من المخطوطات العربية، من أهمها «جمهرة اللغة» لابن دُريد، و«طبقات النحاة» للزبيدي.

٢٩- **ليال** ـ Sircharles Jameslyall: مستشرق إنكليزي(ت ١٩٢٠م)، حقق كثيرًا من التراث العربي من ذلك «ديوان عبيد بن الأبرص» و«ديوان عامر بن الطفيل» بلندن ١٩١٣م، و«المفضليات» للمفضل الضبي، و«شرح التبريزي» على القصائد العشر.

٣٠- **مرغليوث** ـ David.s. Margolioth: مستشرق إنكليزي (ت ١٩٤٠م)، نشر مجموعة من التراث العربي، منها «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» لياقوت (ت ٦٢٦هـ)، من ١٩٠٧ إلى ١٩٢٧م، و«رسائل أبي العلاء» عام ١٨٩٨م، ونشر كتاب «الأنساب» للسمعاني بالصور.

٣١- **ليفي دِلافِيدا** ـ Levi Dellavida: نشر كتاب «الخيل» لهشام الكلبي.

٣٢- **نِيبرج** ـ Nybreg: نشر كتاب «الانتصار في الرد على ابن الراوندي الملحد» لأبي الحسين عبد الرحيم الخياط المعتزلي (ت بعد ٣٠٠هـ)، ونشره بالقاهرة سنة ١٣٤٤هـ.

٣٣- **نيكلسون** ـ R.A.Nichlson: مستشرق إنكليزي وأستاذ اللغتين العربية والفارسية في جامعة كامبريدج، نشر «اللمع في التصوف» لأبي نصر الطوسي الصوفي (ت ٣٧٨هـ)، طبع في لايدن عام ١٩١٤م، وهو مرجع ثقة في التصوف الإسلامي، ومن أشهر مؤلفاته «تاريخ العربي الأدبي».

٣٤- **هافنر** ـ A.Haffner: نشر كتاب «الإبل» للأصمعي (ت ٢١٦هـ).

٣٥- **هنريك ثوربيك** ـ Heinrich Thorbeke: نشر «درة الغواص» للحريري في لايبزيك ١٨٧١م.

٣٦- **يوسف شاخت**: له نشاط في نشر التراث، من ذلك «الحيل والمخارج» لأبي بكر أحمد الشيباني الخصَّاف (ت ٢٦١هـ) نشره في هانوفر عام ١٩٢٣م.

* * *

واضعو قواعد التحقيق

اتجهت الأنظار إلى تراثنا العربي والإسلامي منذ ظهور المطابع في الغرب، واتجاه المستشرقين إلى طبعه، فلهم الفضل في السبق، وعلينا واجب المتابعة،فقد كان المستشرقون كلما عثروا على مخطوطة عربية وازنوها بغيرها من النسخ، ونقدوا نصوصها ثم نشروها،ودُعي عملهم هذا «علم نقد النصوص – Teste Criticism».

لكنهم حققوا من غير قواعد، وكلما نشر أحدهم كتابًا وضع قواعد خاصة بهِ أضيفت إلى قواعد غيره، واكتملت في النهاية عندهم عملية التحقيق، والتي أسموها «نقد النصوص»،**فالقواعد نجمت من تجاربهم في التحقيق.**

وفي منتصف القرن الماضي، وبعد صدور عدد من المخطوطات على أيدي جهابذة العرب انبرى علماؤنا لوضع قواعد التحقيق، نُقل بعضها من المستشرقين، وسُجل بعضها الآخر من تجارب أوائل المحققين، وحتى غدا تحقيق النصوص ونشرها علمًا ذا قواعد ناظمة.

ونرى في هذه العجالة أن نسجل أسماء من أسهموا في وضع الخطوط الأساسية لعملية التحقيق، ونذكر دورهم ومؤلفاتهم فيها، على صغر حجمها، ومع ذلك فقد كانت نبراسًا لنا ولغيرنا من المحققين.

ونذكرهم بحسب ظهورهم تاريخيًّا سواء بالمحاضرات والتأليف، وبمقدمات الكتب. وهم:

١ – **المستشرق الألماني** «برجستراسر – Bergestrassev»: أول من تحدث عن «نقد النصوص» في سلسلة محاضرات ألقاها على طلاب الدراسات العليا

بكلية الآداب بجامعة القاهرة في العام الدراسي ١٩٣١- ١٩٣٢م. وقد عالج في محاضراته أصول نقد النصوص الخطية ونشرها.

وظلَّتَ هذه المحاضرات مكتوبة محفوظة في الجامعة حتى آنَ طبعها عام ١٩٦٩م،فهو أول من درَّس هذا الموضوع، ولكن لم يكن أول من طبع كتابًا. ثم تولى محمد حمدي البكري أمر التقديم لها، وطبعها بمطبعة دار الكتب المصرية بأقلَّ من ١٤٠ صفحة.

٢- **محمد مندور** نشر مقالين موجزين عن قواعد نشر النصوص القديمة في مجلة «الثقافة» (العددان ٢٧٧- ٢٨٠) عند نقده لكتاب «قوانين الدواوين» لابن حَمَّاتي القبطي الأصل عام ١٩٤٤م، ثم عاد فنشرهما في كتابه «في الميزان الجديد».

فكان أول عربي نبه إلى أهمية نشر المخطوطات العربية، والقواعد الناظمة لتحقيقها ونشرها.

٣- نشر المستشرقان **بلاشير وسوفاجيه** الفرنسيان كتيبًا بالفرنسية عن قواعد النشر عام ١٩٤٥م. ثم أعيد طبعه مصوَّرًا في مصر عام ١٩٥٣م.

٤- أصدرت وزارة المعارف المصرية قرارًا بتشكيل لجنة من العلماء لنشر كتاب «الشفاء» لابن سينا، فرسمت اللجنة منهج هذا النشر، وأشرفت على تنفيذه.

٥- كلف المجمع العلمي العربي بدمشق لجنة من العلماء لوضع قواعد عامة للتحقيق بهدف نشر تاريخ ابن عساكر «تاريخ دمشق» عام ١٩٥١م، وطبعتها في مقدمة الكتاب.

٦- نشر **الدكتور عبد المنعم ماجد** كتابه «مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي»

عام ١٩٥٣م، عقد فيه فصلاً عن تحقيق النص القديم.

٧- نشر **الدكتور عبد السلام محمد هارون** كتيبًا في ٩٣ صفحة بعنوان «تحقيق النصوص ونشرها»،وهو ثمرة كفاحه في التأليف ونشر المخطوطات، ونتيجة نشره الصادق للمخطوطات،غير أنه لم يحط بالموضوع إحاطة كاملة،ثم أعاد طبعه عام ١٩٦٥م مع تنقيح طفيف.

٨- نشر **صلاح الدين المنجد** مقالًا في «مجلة معهد المخطوطات العربية» (م٢، ج٢، عام ١٩٥٥، ص٣١٧-٣٣٧) عنوانه «قواعد تحقيق النصوص»،ثم أعاد طبعه في كتيب صغير بثلاثين صفحة،كما طبع عدة طبعات كان آخرها ١٩٧٠م.

٩- نشر **الدكتور على جواد طاهر** عام ١٩٧٠م مبادئ التحقيق في كتابه «منهج البحث الأدبي».

١٠- ألقى **العلامة مصطفى جواد** (ت ١٩٦٩م) سلسلة «محاضرات» في تحقيق النصوص عام ١٩٦٥م. فجمع تلميذه عبد الوهاب محمد علي هذه المحاضرات بعد وفاة المحاضر وقدَّم لها وعلق عليها تعليقات علمية مفيدة، ونشرها في مجلة «المورد» العراقية في عددها الأول من (م ٦، ص ١١٧- ١٢٦) ونشرها عام ١٩٧٧م بعنوان «أمالي الدكتور مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص».

١١- أفردت **الدكتورة بنت الشاطئ** فصلًا في تحقيق النصوص ودراستها في كتابها «مقدمة في المنهج» بعد خبرتها التي تهيأت لها من تحقيق «رسالة الغفران لأبي العلاء المعري» والتي استحقت جائزة المجمع اللغوي لتحقيق النصوص عام ١٩٥٠م، فكانت أول من جمع بين منهج التحقيق ومنهج البحث عام ١٩٧١م.

١٢- وتكلم **الدكتور شوقي ضيف** على التوثيق والتحقيق ونسخ الأصول

وتحقيقها في كتابه «البحث الأدبي»، والذي صدرت طبعته الثانية عام ١٩٧٢م، ثم توالت طبعاته.

وتأتي أهمية هذا الفصل من الخبرة الواسعة التي حظي بها المؤلف في ميدان المخطوطات التي قام بتحقيقها، والرسائل العديدة التي أشرف عليها.

١٣- أصدر **نور الدين عتر** عام ١٩٧٢م كتابه «منهج النقد في علوم الحديث»، فعقد فيه فصلًا عن التحقيق.

١٤- نشر **محمد علي الحسيني** عام ١٩٧٤م كتابه «دراسات وتحقيقات في أمالي المرحوم مصطفى جواد في أصول التحقيق».

١٥- اشترك **نوري حمودي القيسي وسامي مكي العاني** بوضع كتاب أسمياه «منهج تحقيق النصوص ونشرها» عام ١٩٧٥م.

مستفيدين من جهديهما الكبير في نشر التراث وتحقيقه، وأضافا كلمة «ونشرها» بحيث ربطا العمل العلمي بالعمل التجاري.

١٦- وعقد **الدكتور عبد الرحمن عمرة** بابًا في تحقيق المخطوطات في كتابه «أضواء على البحث والمصادر». عام ١٩٧٧م.

١٧- نشر **الدكتور محمد طه الحاجري** (محقق البخلاء للجاحظ) مقالًا في مجلة «عالم الفكر» الكويتية (م ٨- العدد ١) بعنوان «تحقيق التراث تاريخًا ومنهجًا» عام ١٩٧٧م.

١٨- نشر **أحمد الجندي** مقالًا في «المجلة العربية» السعودية، بعنوان «تحقيق التراث» عام ١٩٧٩م.

١٩- نشر **الدكتور عبد الوهاب أبو النور** مقالًا في مجلة «الدرَّة» السعودية

(عدد١، السنة ٥هـ) عام ١٩٧٩م مقالًا بعنوان «قضية التراث».

٢٠- ألقى الدكتور **حسين نصار** بحثًا بعنوان «منهج تحقيق التراث العربي وقواعد نشره» في الندوة الأولى عن التراث التي عقدت في القاهرة عام ١٩٨٠م.

٢١- نشر الدكتور **بشار عواد معروف** كتيبًا بعنوان «ضبط النص والتعليق عليه» عام ١٩٨٢م.

٢٢- نشر الدكتور **عبد الهادي الفضلي** كتابًا بعنوان «تحقيق التراث» عام ١٩٨٢م بجدَّة.

٢٣- نشر **رمضان عبد التواب** مقالًا حول «تحقيق التراث، أساليبه وأهدافه» في مجلة «قافلة الزيت» (عدد فبراير) عام ١٩٧٦م،ثم أتبعه عام ١٩٨٣م بمقال عنوانه «خواطر من تجاربي في تحقيق التراث»، و«مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين بمصر».

٢٤- ونشر الدكتور **محمود محمد الطناحي**: «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي»، نشر مكتبة الخانجي - القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

٢٥- ونشر **محمد ألتونجي** كتاب «المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات» بدمشق ١٩٨٦م، ثم توالت طبعاته،ويعدُّ ثاني العلماء الذين جمعوا بين التأليف والتحقيق.

والكتاب عصارة محاضرات ألقاها في جامعة أكستير في بريطانية ومعهد التراث بجامعة حلب، وبعد خبرة طويلة في مجال التحقيق، ولا سيما «دمية القصر وعُصرة أهل العصر» للباخرزي، وقد كان من خير من مهَّد لنا سبيل التحقيق والتأليف.

٢٦- ونشر **الدكتور يحيى وهيب الجبوري**، كتابه: «منهج البحث وتحقيق النصوص»، في دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة ١٩٩٣م.

٢٧- وصدر كتاب «تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة» للعلامة أحمد شاكر (ت ١٣٧٧هـ) بمصر عام ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م،وكان حق الكتاب أن يُسرد قبل هذا، ولكننا نسير على سِني نشر الكتب،وهي من مقدمة كتابه المحقق «جامع الترمذي»، استلَّها عبد الفتاح أبو غدة، ونشرها في كتاب بمئة صفحة،وهو ذو قيمة علمية كبيرة، وقد جاء نتيجة خبرة تحقيقية، ولا سيما «مسند الإمام أحمد بن حنبل».

٢٨- ونشر **الدكتوران فهمي سعد وطلال مجذوب**، كتابهما: «تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق»، في عالم الكتب - بيروت، سنة ١٩٩٣م.

٢٩- ونشر **الدكتور مهدي فضل الله**، كتابه: «أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق»، في دار الطليعة - بيروت، سنة ١٩٩٣م، وطبع طبعة ثانية، سنة ١٩٩٨م.

٣٠- ونشر **الدكتور عبد المجيد ذياب**، كتابه: «تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره»، في دار المعارف - القاهرة، سنة ١٩٩٣م، في طبعته الثانية، وكانت طبعته الأولى قد صدرت في سنة ١٩٨٢م.

٣١- ونشر **الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان**، كتابه: «تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل»، ونشره في الرياض، سنة ١٩٩٤م.

٣٢- وألقى **هلال ناجي** سلسلة محاضرات في الجامعة المستنصرية وغيرها في العراق، ثم أعاد صياغة محاضراته وأضاف عليها ورتبها، ثم طبعها باسم «محاضرات في تحقيق النصوص» عام ١٩٩٤م في دار الغرب الإسلامي ببيروت.

وجاء كتابه في (١٦٥) صفحة متخصصة بموضوع التحقيق ونقد نصوصه.

٣٣- وها نحن ذا ندلي بدلونا المتواضع في كتابنا هذا، لعل الله يتقبل منا هذا العمل في خدمة إحياء التراث ونشره وترسيخ منهج البحث.

نستنتج من عرضنا لجهود العلماء الذين غمرونا بعلمهم في هذه القواعد العلمية أنهم لم يكتبوا ولم يعلقوا على النصوص الخطية وأنهم لم يسجلوا لنا هذه الدراسات إلا بعد تجارب مريرة في تحقيق المخطوطات ونقدها ونشرها،وكان ما قدموه ركائز وأسسًا اعتمدها تلامذتهم ومَن بعدهم،وكان بعضها بشكل محاضرات، وبعضها مقدمات لبعض كتبهم، أو فصولًا منها، أو بشكل كتيبات دسمة على صغر حجمها،كما أقدم بعضهم على نشر كتب كاملة جامعة.

وقد أدرك بعضهم ارتباط التحقيق بالبحوث العلمية لتشابه كثير من الموضوعات كالكتابة، والصبر، ونقد النصوص، وجمع المصادر والمراجع، ووضع الفهارس، فجمعوا بينهما وألفوا،كما أن بعض هؤلاء العلماء ربطوا التحقيق والتأليف بأبحاث الدراسات العليا؛ لأن هؤلاء الطلاب المحققين والباحثين هم علماء المستقبل.

ولاحظنا أن المستشرقين بدؤوا بالتحقيق أولًا، لكن علماءنا سرعان ما ماثلوهم وأحيانًا فاقوهم في التحقيق وفي وضع قواعد نقد النصوص ونشرها.

ومازالت المخطوطات تظهر بين الفينة والأخرى، بل توسع النشر حين مال العلماء والمعاهد العلمية إلى نشر مؤلفات علمائنا الأقدمين، الذين فاقوا العالم بإنتاجهم.

* * *

مصطلحات المستشرقين

تواضع المستشرقون على مجموعة مصطلحات علمية دقيقة منبثقة عن ألف بائهم اللاتينية، مضيفين عليها رموزًا وإشارات تقرِّب إمكانية نطق الكلمات العربية،ومنذ استنباطهم هذه المصطلحات غدت قواعد أساسية لهم في التحقيق. وما زالوا يستخدمونها في الكتب التي يحققونها بالعربية، أو يؤلفون بعض الكتب، أو يشيرون إلى طرق استخدام فهارس المخطوطات،وهم وضعوها لطلابهم الأجانب لا للعرب.

وعلى الباحث العربي أن يلم بهذه المصطلحات والرموز إذا أراد أن يصل إلى ما ينشده من إحدى تلك المكتبات،وإتمامًا للفائدة في ثقافة المحقق المكتبية، نوردُ موجزًا لها، مع تقديرنا لهؤلاء المستشرقين الذين يعملون على نشر مخطوطاتنا، والتي يعدونها من ضمن أبحاثهم الأساسية.

وسيلقى المحقق الباحث هذه المصطلحات والرموز مبذولة في فهارس المكتبات الخطية والعامة، وفي المخطوطات النثرية والشعرية التي حققوه وهي مصطلحات ثابتة قياسية يعملون بها بدءًا من بروكلمان وسيزكين وبرجستراسر ولیال... وانتهاءً بتلامذتهم اليوم.

وهم يعرضون أسماء الكتب العربية وأسماء مؤلفيها مكتوبة بالأحرف اللاتيينية مع هذه الرموز، وسبب استخدامهم لهذه الرموز اختلاف الألف باء العربية عن الألف باء اللاتينية نطقًا ورسمًا، وتغير حروف العلة، وما إلى ذلك، وإلمام المحقق بها ـ وهو في المكتبات الغربية ـ سيسهل عليه التعامل مع الفهارس، فيلقى ما يريد في غاية من السهولة[١]:

---

(١) أفدنا من «المنهاج» ط٢، الصفحة ٢٩.

١- الحركات الثلاث العربية حركها بـ: الفتحة a - الضمة u - الكسرة i.

٢- الحروف المتشابهة بين اللغتين استخدموها كما هي:

m:م، n: ن، t: ت... وهكذا

٣- الحروف الخاصة بالعربية، اصطلحوا على ما يقابلها بالتركيب:

ث: th - خ: kh- ذ: dh - ش: sh- غ: gh - ع: ᴷA

٤- الحروف الخاصة رمزوا لها بحرف مفرد منقوط بنقطة تحتية:

ح: ḥ - ص: Ṣ- ض: ḍ - ط: ṭ- ظ: Z

٥- حروف العلة: الواو: w- الياء: y ساكنة، متحركة - الياء المتطرفة: Ī.

٦- الهمزة: إذا جاءت في أول الكلام رسمت على شكل الحركات انظر: ١ وإذا وقعت في وسط الكلمة وضع مكانها فاصلة عليا: Apo strophe.

٧- الألف في آخر الكلمة رسموها a وفوقها خط أفقي صغير: ā علامة لمدِّه.

٨- التاء المربوطة: إذا وُقف عليها أهملوا رسمها واكتفوا بـ: a مكانها. وإذا وقعت مضافة ذكرت التاء عندهم، ورسمت كالتاء: t.

٩- أل التعريف: السائد أنهم يرسمونها AL- وخط بعدها، من غير مراعاة للام الشمس ولام القمر، إلا عند قليل منهم. وإذا سبقت أداة التعريف بحرف جر نطقوا أل ورسموها، مثل: للناس: Li-al-nas.

١٠- الحرف المضعف يكتبونه مرتين، مثل: بَزَّ: bazza.

١١- كلمة ابن: اختصروها بالحرف: b. بعده نقطة.

١٢- يعيدون نطق الياء إلى المعتل الناقص النكرة بعد حذف التنوين: قاضٍ: qādĪ، ويرسمونه i فوقها خط صغير.

وبعد، فهذا موجز لثقافة المحقق المكتبية العربية والأجنبية، وضعت لخدمته وتسهيل مهمته،وهو سيدرسها حتماً قبل الشروع بزيارة المكتبات الأجنبية أو الاطلاع على كتبهم وفهارسهم، وإلا استحالت عليه الاستفادة والقراءة.

* * *

أوائل فحول التحقيق

منذ تطلَّع العرب إلى ضرورة إحياء تراثهم، وأخذ دورهم الرائد في تحقيقه ونشره، توفرت كوكبة لامعة من المحققين في معظم أرجاء الوطن العربي، نصبوا أنفسهم لخدمة هذه الكنوز وإحيائها.

ومن حسن حظ العروبة والمكتبة أن نهد لهذه المهمة فطاحل شاركوا في النهضة الأدبية والعلمية، وهبوا حياتهم وعقولهم ونور عيونهم لنشر هذا التراث العربي العريق.

وكان علماء القرن الماضي ذوي كفاءة ومقدرة عليا وصبر ورغبة في التأليف وفي توثيق النصوص،لكن أعدادهم كانت قليلة أمام المهام التي تعهدوا بتنفيذها، وقد توزع أغلبهم في مصر والشام والعراق، وقليل جدًّا منهم في دول المغرب العزيز.

ومع ذلك كان لهم فضل يستحق الإكبار في نشر جانب هذا التراث الغالي، وبذله للقراء والمطالعين،وكان تعطش المطالعين الشديد لرؤية كتب أجدادهم يشجع العلماء كثيرًا على المتابعة،وكان القاسم المشترك بين العالم المحقق والمطالع المثقف هو رؤية الكتب إلى نور الحق ونور عيونهم.

وكانت تلك الطليعة الرائدة خير حافز على ظهور عشاق آخرين في مجال نبش المخطوطات وتحقيقها،فكانوا خير سلف لخير خلف على التفاؤل طبعًا.

ومع الأسف فإن تلك الباكورة الناضجة المنضجة من أعلام التحقيق سرعان ما تُنوسيت بفراقها الحياةَ الدنيا،وارتصفت آثارها على الأرفف المنسية كأصحابها. أقول هذا لأننا لم نجد كتابًا يُذكر، ولا مقالات تنشر تعرِّف بهم وبنتاجاتهم.

كانوا يعملون بصمت مطبق، وكل من حولهم صامت ساكن...

رحمهم الله وأحسن ثوابهم. وليت رجالًا مخلصين من أهل العلم ومحبي التراث، ليت مؤسسات محلية تشجعهم كي يترجموا لهم، ويجمعوا أعمالهم كما يفعلون بأصحاب القلم والألم في الشعر، والرواية، والقصة القصيرة.

ليت عددًا من الأدباء في كل قطر عربي يرصدون ما نشر من التراث، ومَن نشره، ودوره في ترسيخ هذا العلم الرصين، بدءًا من المغرب الرحب على طوله، ومرورًا بالمشرق العربي الغالي، وانتهاءً بعلماء الهند المغموطين على عظمة أعمالهم.

نعم، قد نجد بعض الأدباء يشيد بالمحققين المصريين،وقد نجد بعض من ينوِّه بالمحققين العراقيين، على قلة،لكن هذه المحاولات تظل فردية، ومجتزأة، وقاصرة على تلاميذ يعترفون بفضل أساتذتهم عليهم،لكن أعمالهم - على أهميتها- تظل محدودة.

غير أننا - مع شديد الأسف - لا نكاد نجد من عرَّف بالمخطوطات الكثيرة التي نشرت في سورية والمغرب،ولا نكاد نقرأ في مجلة تعريفًا بدورهم وإشادة بهمتهم. كما أننا لا نعرف مطلقًا شيئًا عن علماء التحقيق في الهند على رغم فضلهم في نشر تراثنا، وفضلهم على محققينا الذين ينهلون -ولا أريد أن أقول: ينهبون- ذلك التراث الذي يعيدون تحقيقه أو نشره.

حتى المجمع العلمي بدمشق الذي كان رائدًا في نشر عشرات المخطوطات النادرة قصَّر، ولو بنشر عدد أو عددين من مجلته في التعريف بهؤلاء المحققين وبأعمالهم،كما لم يتصدَّ أحد تقريبًا إلى جمع أسماء المحققين ونشر تراثهم الذي قاموا به منذ ما قبل منتصف القرن العشرين حتى اليوم.

وإذا قصَّر الأفراد في سورية والمغرب فلماذا تقصر المؤسسات الثقافية الحكومية؟ ونخص بالذكر وزارة الثقافة السورية التي نشرت رزمة راقية من المخطوطات.

وهل ننسى الدور العظيم الذي قام به يوسف إليان سركيس السوري في كتابه «معجم المطبوعات العربية والمعربة»؟ نريد مثل هذا لكل بقعة عربية، لنعرف همة علمائنا المحققين، وأسماء ما نشروا من تراث.

ويدخل عمل المستشرقين في آمالي الواسعة، بحيث يتخصص جماعة لجمع ما أبرزوه من مخطوطات، ونشيد بالصادق المخلص منهم، ونسجل عمل من لم يصدق منهم، إن كل ما فعلنا هو سرقةُ منشوراتهم وكيلُ الشتائم لهم والانتقاص من مجهودهم، ونحن لا نشك مطلقًا بنفث بعضهم سمومَهم، وهم معروفون، ولكن لا نريد أن ننسى المخلصين منهم.

ولا أريد أن أعدد من أساءَ إلى تراثنا من أبناء وطننا؛ فهم معروفون أيضًا في ساحة التحقيق،والجرمُ من أبناء جلدتنا أشد إيلامًا.

ولو أن بعض السادة المشرفين على الأبحاث في الدراسات العليا في بعض الجامعات السورية، كلفوا تلامذتهم بمثل هذه الأبحاث لخرجت من تحت أيدي تلامذتهم أبحاث قيمة.. وقد تفتح نوافذ مهمة على حركة إحياء التراث، وكما أن علماء اليوم هم تلامذة الأمس، فإن تلامذة اليوم سيغدون علماء الغد.

وإن وجد مثل هذا النشاط في كل قطر، فستتكون للعرب قوائم عظيمة تُزَين مجلدات يفخر بها العرب،وكلي أمل في أن تلقى كلماتي المخلصة هذه آذانًا صاغية ومنفذة،وسيكون هذا في صفحة مشرقة من صفحات العرب الناصعة في نشر التراث.

وسأطرح من ذاكرتي بعض أعلام التحقيق في عدد من الأقطار، وأنا واثق من أن ذاكرتي ستخونني بذكر فطاحل، لكنها تذكرة، وقد تنفع:

١- **في مصر**: كان لمصر دور كبير في ميدان نشر التراث، وهي الرائدة أصلًا،ومن هذه الأسماء: أحمد شاكر، محمود محمد شاكر، عبد السلام هارون، أحمد أمين، شوقي ضيف، بنت الشاطئ، أحمد صقر، بدوي طبانة، أحمد الحوفي، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، طاهر الطناحي.

٢- **في بغداد**: كان لبغداد دور قديم وعريق في نشر التراث، ونعمتِ العروبة ببعض الأعلام الذين خدموا التراث خدمات مشرفة.

ومن هؤلاء الأعلام: نوري حمودي القيسي، مصطفى جواد، هلال ناجي، طه آل ياسين، أحمد عبد الستار فرَّاج، سامي مكي العاني.

٣- **في سورية**: وكأن القدر حكم على سورية أن تعيش في جناح مظلم في مسيرة تحقيق التراث على رغم جهود جبارة قام بها فحول كبار، لكنّ التاريخ لا يغفو عن الحقيقة مطلقًا.

ومن هؤلاء المحققين: خليل مردم، أحمد بهجة الأثري، عز الدين التنوخي، سعيد الأفغاني، الأمير الشهابي، أحمد راتب النفاخ، عزة حسن، سامي الدهان، محمد ألتونجي، عدنان درويش، فخر الدين قباوة، إبراهيم كيلاني، أحمد الجندي، محمد المصري، ومجموعة من المحققين الذين أخرجوا «سير أعلام النبلاء» و«تاريخ مدينة دمشق».

ونحتاج إلى قوائم للمحققين في الهند، وفي إيران، وتونس، والجزائر، والمغرب، واليمن، والسودان،رحم الله من سبقونا إلى دار الحق، وأطال عمر من هم أحياء، زادهم الله قدرة على العطاء.

التحقيق في الجامعات:

كان لهمة هذه الطليعة من حملة مشاعل التحقيق أن فتحت أذهان طلبة الدراسات العليا إلى هذا الحقل العلمي الجديد،فتشجعوا لتناول بعض المخطوطات بالتحقيق والشرح والدراسة رسائل جامعية تخصصية في مجالات الآداب والعلوم.

ورحبت بعض الجامعات بهذا النوع من الرسائل العليا كونها تخدم التراث وتفتح مجال التحقيق،في حين أن بعض الجامعات بادئ ذي بدء رفضت فكرة الشهادات العليا على أساس التحقيق بحجة أنها تضيق أفق الطلاب وتحصرهم ضد ورقات خطية محدودة،ثم تسامح المشرفون قليلاً، وأجازوها في مرحلة الماجستير حصرًا،ثم فتحت الأبواب لطلاب مرحلة الدكتوراه.

وتساهل المتشددون، مشترطين أن يُشفع الطالب التحقيق بدراسة فنية أو أدبية أو علمية للمخطوطة،وتشمل هذه الدراسة:

١- عصر مؤلف المخطوطة، والوضع السياسي والاجتماعي العام.

٢- تعريف بالمؤلف، وبمكانته العلمية، وذكر مؤلفاته.

٣- مكانة موضوع المخطوطة، ومدى أهميته للعلم، وابتكاره أو تقليده، وتأثيره في معاصريه ومن تلاهم.

٤- دراسة تحليلية مفصلة لموضوع المخطوطة ومفردات هذا الموضوع مع وضع الفهارس العلمية وفق المعايير الناظمة.

٥- النتيجة العلمية التي توصل إليها الطالب من تحقيقه ودراسته.

لكن تطلع أساتذة الجامعات كان أبعد وأرقى بعد حين، ولا سيما في سبعينيّات القرن الماضي؛ فقد أقروا وضع مقرر هو «مناهج البحث والتحقيق» على طلاب الدبلوم الممهِّد لمرحلتي الماجستير والدكتوراه، وأوكلوا أمر تدريسه إلى ذوي الخبرة والإنتاج في مجال نشر المخطوطات من «الأساتذة» حصرًا.

ووجهوا أنظار تلامذتهم للتنقيب عن المخطوطات غير المحققة ليشتغلوا عليها بعد إقرارها في المجالس المتخصصة،ونهدَ بعض هؤلاء الأساتذة إلى وضع أسس وقواعد في تحقيق النصوص ونقدها وطبعوها على شكل أمليات موجزة يدرِّبون عليها تلامذتهم، مستفيدين من خبرتهم وخبرات من سبقوهم من الأساتذة، إضافة إلى ما كان قد طبعه أعلام التحقيق من فصول ومقالات وكتيبات.

ومازال أمر تحقيق النصوص في الكليات الإنسانية والشرعية والعلمية قائمًا لكن المؤسف له أن دخل في حقل تدريس تحقيق النصوص - في بعض الكليات - من ليس متضلعًا في فن التحقيق، وليس له أي تجربة في نقد النصوص وتأليف الأبحاث؛ دخلوا المجال متسابقين ليبرزوا مكانتهم المتواضعة.

ولعل هذه الكليات تعيد النظر في أمر هذا الموضوع الحساس، ولا تكلف تدريسه إلا أهل الذكر منهم، وهم كثير والحمد لله.

ومن هذه الكليات التي مازالت محافظة على مكانة موضوع إحياء التراث «كلية اللغة العربية» بجامعة أم القرى، وجامعة بغداد، وجامعة القاهرة، ومعهد التراث العلمي في جامعة حلب، وكلية اللغة العربية في دبي.

ويأتي حرصنا على هذا المقرر - وكتابنا هذا دليل عليه - أنه يتطلب ثقافة علمية واسعة، وعزمًا وصبرًا كبيرين، وغيرة وطنية علمية، واستعدادًا من

الجامعة بمساندة الطلاب وتسهيل مراسلاتهم للمكتبات الخطية.

وسبب ما ندعو إليه اتجاه هذه المكتبات إلى التشديد على تصوير المخطوطات إلا بإذن رسمي من الجامعات التي يدرس فيها الطلاب، مع توقيع من مشرف ذي مكانة علمية في حقل التراث بسبب كثرة أصحاب الطلبات.

* * *

الفَصْلُ الرَّابِعُ
النُّسخ الخطيَّة

تعريف:

المخطوطة هي الكتاب الذي ألفه أحد الأدباء أو العلماء القدماء، وكتبه بخط يده في القرون الإسلامية الأولى، ويمتدُّ إلى زمان ظهور الطباعة، أي ما ألف وصنف على مسيرة أكثر من ألف سنة،وكلما قدم زمان التأليف ـ بدءًا من القرن الثالث الهجري ـ كانت قيمة الكتاب أكبر،ولا تقل أهمية الكتاب أيضًا إذا ألف بعد هذا القرن.

فمنذ عصر التدوين والمؤلفون يكتبون كتبهم بأيديهم، فيتداولها الناس جيلًا بعد جيل وقرنًا إثر قرن،كما ينسخها الناسخون وطلاب العلم،وتظل أهمية الكتاب المخطوط ثمينة للغاية، حتى ظهرت الطباعة العربية بدءًا من القرن الثامن عشر، عندئذ قلَّت أهمية المخطوطات، ثم انعدمت تمامًا عندما باشرت المطابع العربية تطبع الكتب، وتغزو بها الأسواق.

وساد لفظ «المخطوطة» اليوم بكثرة خطأً بين الكتَّاب المحدثين وفي مؤسسات اتحاد الأدباء؛ فهم يسمون كل كتاب من كتبهم قبل أن يطبع «مخطوطة» سواء في ذلك الدراسات والقصص والروايات.

وحديثنا عن «المخطوطة» قاصر هنا على الكتب التراثية التي ما زالت خطية، ومعدَّة للتحقيق والنقد والنشر.

وللنسخ الخطية مراتب متفاوتة، ومكانة تنفرد بالمنزلة بين الواحدة والأخرى، حتى وإن تكرر نسخ الكتاب الواحد.

وفيما يلي نأتي على دراسة هذه النسخ، ومعرفة النسخة ذات الفضل من أخرى غيرها أقل مكانة وشأنًا.

النسخة الجيدة:

من النادر أن يقع المحقق على النسخة الكاملة الدقيقة، وقد يلقى عددًا من النسخ المتباينة للكتاب الواحد،فمنذ عصر المأمون والنساخ والورَّاقون ينسخون الكتب المشهورة علميًّا أو تجاريًّا عشرات النسخ، إضافة إلى طلاب العلم والباحثين الذين ينسخون الكتب، وكأني بهم مطابع اليوم أو دور النشر.

ويروى أن المأمون أدرك أهمية وجود نسخ متعددة لبعض الكتب المؤلفة والمترجمة، فافتتح قاعات رحبة، وعين في كل قاعة شيخًا من أهل العلم يملي على مئتي ناسخ كتابًا محددًا، وأمامه البارعون بالنسخ والمتصفون بالثقة والأمانة وحسن الخط،حتى إذا انتهت عملية النسخ أمر الشيخ بأن تراجع هذه النسخ قبل أن تدفع إلى التجليد[1].

من هنا ندرك سبب تعدد نسخ المخطوطة الواحدة الموزعة بين الشرق والغرب. لكن ما كان يأمر به المأمون شيء، وما ينسخه الوراقون، والنساخون التجاريون، وطلاب العلم شيء آخر،فكان طبيعيًّا أن نجد نسخًا سيئة، ونسخًا جيدة، ونسخًا بين بين، تمامًا كالناشرين اليوم.

وللنسخة الجيدة مراتب من حيث الصحةُ، والسلامةُ، والكمال،وعلى المحقق أن يطلع على ما توصل إليه من النسخ ويدرسها دراسة نقدية من جوانب عديدة، حتى يستحسن واحدة، ويراها جيدة كي يباشر بتحقيقها.

---

(١) عجائب المخلوقات: ٤.

وقد وضع «برجستراسر» أربعة شروط للنسخة الجيدة الصالحة للنشر وهي على التوالي:

١- النسخة القديمة المقابلة بغيرها.

٢- النسخة القديمة غير المقابلة.

٣- النسخة الكاملة الورقات.

٤- النسخة الواضحة المقروءة.

ويضيف شوقي ضيف شروطاً أخرى على صفة النسخة الجيدة، فيقول[1]:

٥- هي النسخة التي ذُكر أنها محفوظة في إحدى الخزائن الرسمية أو الأميرية،ففي العادة لا يُحتفظ بالخزائن الأميرية إلا النسخ الجيدة.

لكنَّ مثل هذه الصفة تقلُّ في القرون الأولى، وقد تكثر في العصور المتأخرة.

٦- النسخة المذكور فيها الإسناد.

٧- النسخة التي يوجد عليها إجازة بالسماع.

ولمحققين أجلاء تفضيلات أخرى للنسخة الجيدة،وقد رأينا أن نجمل ذلك بأن عملية انتقاء النسخة الجيدة تتم بعد أن تصل إلى المحقق نسخ المخطوطة كلها أو جلها،عندئذ يبدأ في عملية الترتيب بحسب الأهمية،واختياره لواحدة يعتمدها أم النسخ يتطلب ريثًا وأناة؛ لأن المثالية في الاختيار شيء، واختيار ما هو أمامه شيء آخر،ولا شك أن ثقافة المحقق الخاصة وخبرته في تطور الخطوط

---

(١) البحث الأدبي: ١٧٧.

ستخدمانه كثيرًا.

ويجري ترتيب النسخ بحسب الأفضلية والأولوية، وأي النسخ أصلية، وأيها فرعية، ومن النسخ الأصلية أيها الأم الكاملة، وأي النسخ التي تُستبعد ولماذا؟ أو التي تفضل ولماذا؟

ويقع الاختيار كما يلي:

١ - إذا عثر المحقق على **نسخة بخط المؤلف نفسه**، وكاملة غير ناقصة، ولا مشوَّهة، ولا متآكلة، عدَّها أم النسخ [1]، والتي تفوق غيرها قطعًا، وتفضَّل على سائر النسخ.

ويعدُّ المحقق نفسه محظوظًا بهذا الفوز العظيم، وحتى وإن كانت ناقصة بعض الأوراق فإنها تظل هي الأساس المعتمد؛ فما بعد نسخة المؤلف نسخة؛ لأن التحقيق بها سيكون سهلًا ومريحًا.

٢- **نسخة المؤلف المسّوَّدة**: فقد تُفقد النسخة المبيضة، وتبقى المسوَّدة بين الأيدي. وتعرف أنها مسودة من كثرة الشطب، والكتابات الإضافية في الهامش، وقلة ترتيبها،فمعروف أن المؤلف يعتني كثيرًا بترتيب نسخته، وحسن خطه، ومراجعتها أحيانًا.

وقد تكون المسوَّدة صعبة التحقيق، وتتطلب مجهودًا كبيرًا؛ لما يعتريها من شطب وإحالات وإقحامات، وتسرُّع المؤلف في تأليفها،فيعتمدها المحقق أمًّا، ولكن بمرتبة أدنى،على أن يستأنس بنسخة أخرى لرتقِ نقصها، ورأب صدعها، أو لتلافي الشطب الذي يعترضه فيها.

---

(١) سيأتي حديث مفصل عن النسخة الأم.

٣- النسخة التي نقلها أحد تلامذة الشيخ، وراجعها المؤلف بعد إتمام نسخها، وختم عليها بالإجازة.

٤- النسخة التي أملاها مؤلفها على تلامذته في حلقات دروسه، وبقي منها واحدة،وتزداد جودتها إذا ثبت أن المؤلف راجعها، أو أجازها، وذكر أنه اطلع عليها،وهذه أقل قيمة من سابقتها؛ لأن السابقة أملاها على تلميذه الخاص، وهنا أملاها على مجموعة من التلاميذ.

وهذا النوع كثير في المخطوطات؛ لأن عشرات التلاميذ كانوا يحضرون حلقة الشيخ وينقلون منه ما يسمعون.

لكِن بعض العيب يطرأ على أمثال هذه النسخ بسبب السماع الخاطئ أحيانًا، أو بإضافة شروح على ما يمليه الشيخ.

٥- وتليها في الأهمية **نسخة نُقِلَتْ عن نسخة المؤلف الأصلية، وقُوبلت عليها،** ولكن ليس عليها إجازة،وتكون أفضل إن كان الناسخ تلميذ المؤلف، والمؤلف هو الذي يأمر تلميذه بنسخ كتابه.

ففي مخطوطة «معادن الذهب في الأعيان المشَرَّفة بهم حلب» أن أحمد الحموي نسخها بأمر أستاذه أبي الوفا العرضي مؤلف الكتاب.

٦- وتليها في الأهمية **النسخة المنقولة عن الأم،** أو عن النسخة التي أجازها المؤلف أو اطلع عليها.

٧- ثم **النسخة التي نسخها أحد علماء عصر المؤلف أو بُعيده،** والعالم مشهود له بالمكانة والأمانة،وتأتي أهميتها من العالم ومن قربه من عصر المؤلف.

٨- ثم **نسخة نقلت عن نسخة المؤلف، وعليها أسماء رواتها،** وإن تأخرت عن عصر المؤلف.

٩ – ثم نسخة متأخرة عن عصر المؤلف، لكنَّ ناسخَها نقلها عن النسخة الأم مباشرة.

١٠ – نسخة متأخرة النسخ، لكن ناسخها من العلماء الأعلام الذين عملوا في مجال النسخ للارتزاق،وهي نسخة مأمونة لمكانة ناسخها.

وعدا ذلك فإن النسخ تتساوى،وللمحقق ـ والأمرُ له بعد هذا ـ أن يختار واحدة يعدها أساسًا لتحقيقه، وسائر ما لديه من النسخ الأخرى فروع.

أما النسخ المتأخرة، أو الناقصة إلّا ما وجدنا تكملة لها؛ أي أنها تكون مكتوبة في زمنين، حيث يضيع قسم منها، فيكمله ناسخ آخر في زمن آخر، أو المشوَّهة فلا تدخل في حساب النسخ الأصلية،بل يستفاد منها لتوضيح بعض الكلمات والاختلافات.

ويمكن للمحقق أن يستغنيَ عن بعضها إذا رأى أن الجدوى منها معدومة أو قليلة،ولكن عليه أن يذكر ذلك في المقدمة.

النسخة الأم:

وتسمى أيضًا النسخة الأصلية وسمَّاها الجاحظ النسخة المنصوبة [1]،

(١) أثبت الجاحظ في إحدى رسائله، أن بعض مكتوباته، تخضع حسدًا للسرقة؛ أو لشيء من التزييف، والتزوير، والحذف، والإضافة؛ فعزم على أن يحتفظ بأول نسخة من كتبه، عند أحد الأصدقاء، باعتبارها العرضة الأولى، أي: الأصل، الذي يُرجع إليه في حالة السطو؛ أو السرقة؛ فهي منصوبة؛ أي: معروضة.
ولذلك سماها: النسخة المنصوبة، في حديثه عن خوفه من التدليس، في كتبه والتصرف فيها:
«فإن شيب به شوب يخالفه وأضيف إليه مالا يلائمه رجعنا إلى النسخة المنصوبة والأصول المخلدة عند ذوي الأمانة والثقة واقتصرنا عليها واستعلينا بها على المبطلين ودفعنا بها إدغال المدغلين وتحريف المحرفين وتزيد المتزيدين إن شاء الله».........=

وهي النسخة التي كتبها المؤلف بنفسه وراجعها وهي النسخة المبيضة.

ويجب أن تكون كاملة، سليمة من الاهتراء، والخرم، والأرضة، وعنوانها واسم مؤلفها واضحان على الورقة الأولى، ومسجل في الأسطر الأخيرة فيها تاريخ نسخها.

وهذه النسخة لا يعلوها شيء، ولكن تظل بحاجة إلى رديف من النسخ الأخرى لبعض الغموض الذي قد يطرأ على بعض كلماتها.

ولا يجوز الاكتفاء بها، إلا إذا كانت فريدة،ولا بد في غير هذه الحال من استعراض النسخ الأخرى التي سبق ذكرها.

وإذا لم يجد المحقق هذه النسخة النادرة بحث عن أقدم النسخ وأفضلها،وقد كان حنين بن إسحاق، وهو الذي عاصر المأمون والمعتصم والواثق، إذا أراد ترجمة كتاب جمع منه عدة نسخ واختار أفضلها وأكملها وترجمها.

ويقال للنسخة المعتمدة ـ وليست أمًّا ـ نسخة أصلية،وقد يقع المحقق على عدة نسخ أصلية، فيطلب منه أن يختار واحدة يعدُّها لعمله.

وقد يكون بين يديه مجموعة من النسخ، وواحدة منها نسخة أم، ولكنها ناقصة، أو مختلة، أو مشوَّهة بالرطوبة، فله أن يختار غيرها نسخة أصلية، ويستفيد من النسخة الأم للمقارنة،والتي سيختارها يجب أن تتصف بالقدم والاكتمال ما أمكن.

وإذا عثر المحقق على نسختين منقولتين عن الأم اختار النسخة الأجود،

= رسائل الجاحظ «فصل من صدر كتابه في طبقات المغنين»، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، في دار الجيل، بيروت.
وانظر الحيوان، للجاحظ ١/ ٣٧.

وأنزل الأخرى إلى مقام النسخ الفرعية.

وإذا تيسَّر للمحقق نسختان لكتاب واحد: نسخة قديمة ناقصة، وأخرى كاملة ولكنها أحدث، فيجعل المحقق النسخة الأحدث نسخة أصلية لكمالها،ولا يهم أن تكون الأحدث متأخرة قرنًا أو قرنين عن الأولى.

وقد يهوى أحد تلاميذ الشيخ المؤلف جمع مرويات أستاذه وما يشرحه في مجالس تدريسه، فيرتبها وينسخها على شكل كتاب، ثم يعرضها على شيخه،فإذا قرأها الشيخ وأجازها عدت النسخة أمًّا برواية الشيخ وإجازته.

وقد يشترك أكثر من تلميذ بنسخ مرويات الشيخ، ويجتمعون على إعداد المرويات وصياغتها، ويقدمونها للشيخ، فيجيزهم عليها،فتعدُّ كذلك أمًّا وإن تعددت المشارب وأقلام النسخ،أما إذا جمع التلميذ كلام شيخه في دروسه وكتبه باسمه هو فلا تُقْبَلْ نسخته وتعدُّ سرقة.

ويمكن اعتبار النسخة المسوَّدة هي الأم إذا كانت بخط المؤلف ومُصوَّبة في الهوامش مما يدل على أن المؤلف راجعها، ووضع أسهمًا دالة على مواضع الإضافات شريطة ألا تكون ناقصة.

وفي حال صعوبة الاستفادة من النسخة المسودة، وعدم إمكانية جعلها النسخة الأم، لا يهملها المحقق؛ فقد تنفعه لملء بياض النسخة التي يعدُّها أصلية، أو تكشف بعض الطمس،كما لا يجوز إهمال النسخة غير الموثقة أو الناقصة،وإذا لم يجد المحقق غير هذه أو غير تلك المسودة جاز له تحقيقها بشرط أهميتها، وإمكانية رتق النقص من المصادر التي يذكرها المؤلف.

ومن الواجب أن يشير المحقق إلى كل رأي يتخذه، أو قرار يقرره، أو تغيير في مستوى النسخ الأصلية أو الفرعية،وعليه أن يبرر تصرفه بذكر الأسباب التي

استدعت منه هذا التصرف.. كل ذلك في مقدمته التي يعدُّ البطاقات الدقيقة لها ليكتبها حين انتهائه من مهمته.

النسخة الأم المكررة:

قد يؤلف الكاتب كتابًا في بلد أو في سنة مبكرة،ثم يبدو له بعد سنوات أو في بلد آخر، أو لظروف مختلفة، أو يكتشف في كتابه نقصًا، أو يرغب في التوسع فيه، بعد أن تكون النسخة الأولى وصلت إلى القراء،فيعيد النظر في الكتاب ويؤلفه تأليفًا آخر، أو ترتيبًا متميزًا.

وبتأليفه المكرر للكتاب يكون عندنا أمَّان لكتاب واحد،ففي كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، نرى المؤلف قد ألف كتابه وأبرزه للقراء أول مرة سنة (٦٤٠هـ)، ثم بدا له، فأبرزه منقَّحًا ومزيدًا قبيل وفاته (ت ٦٦٨هـ)، فإذا وقع المحقق على النسختين يختار الثانية طبعًا ما لم تستوفِ شروط الأمومة من النقط والعيوب الأخرى،وهذا شبيه بما يفعله المؤلفون اليوم من ذكرهم عند إعادة طبع الكتاب «طبعة مزيدة ومنقحة».

فبعد أن ألف القزويني كتابه «عجائب المخلوقات» سنة (٦٦١هـ) اضطر إلى إعادة تأليفه قبيل وفاته سنة ٦٧٤هـ ، وأهداها إلى عطا ملك الجويني وزير هولاكو، وأول حاكم لبغداد بعد مقتل المستعصم.

وقد وقع الشيخ العلامة السيوطي بهذا الأمر؛ فبعد أن ألف كتابه «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»[1] أول مرة، ثم اضطر – لظروف أكرهته – إلى إعادة تأليف الكتاب بطريقة أخرى تختلف عن السابقة بعد زمن بعيد من إبرازه

(١) عثرنا على نسخة خطية جيدة للمهذب، فأهديناها إلى أستاذنا الألتونجي؛ لأنه متخصص بالفارسية والعبرية، ومُطَّلع على لغات قديمة أخرى. فأبرز النسخة عام ١٩٩٥م.

الكتاب الأول.

وقد سمَّى كتابه الثاني على اسم الخليفة العباسي بمصر المتوكل على الله (ت ٩٠٣هـ) حين طلب منه أن يجمع له معربات القرآن،وكان السيوطي قد رتب المفردات المعربة في «المهذب» على حسب حروف المعجم، بينما رتب مفردات «المتوكلي»[١] على لغات الأمم، بادئًا بلغة الحبشة، ثم بلغة الفرس، فلغة الروم، فلغة الهند، فلغة السريان، ثم لغة النبط، فلغة القبط، ثم لغة الترك، ثم لغة الفرنجة، وأخيرًا لغة البربر.

فهو لم يكتف بإعادة تأليف الأم، بل جعل لكل أم اسمًا.

ومن حسن حظ تراثنا أن حُفِظَتِ النسختان، وأخرجهما محققان، كان محقق «المتوكلي» أسبق من محقق «المهذب»، بينما أفاد المحقق الثاني من عمل المحقق الأول.

ولا يجوز لناشر الكتاب أن يلفِّقَ النسختين الأمَّين في كتاب واحد، بل يختار إحداهما فيجعلها أمًّا، بينما يترك الأخرى للمقارنة واختلاف الرواية،وله أن يضيف في الحواشي ما يشاء.

فالأمانة العلمية تتطلب المحافظة على النص، وعدم تلفيق نسخة بنسخة، ولا مزجهما.

ويقول برجستراسر[٢]: «على الناشر أن يختار النسخة المسهبة على المختصرة، والمصححة على التي فيها خلل، والتي لها نسخ كثيرة على التي نسخها أقل،فإن خالف الناشر هذه القواعد وجب عليه أن يخبر القارئ بمزايا الإبرازات التي

---

(١) حقق «المتوكلي» عبد الكريم الزبيدي، ونشره في سَبها بليبيا عام ١٩٨٤م.

(٢) من محاضراته: ٢٧.

يتركها، وأن يبين له خصائصها».

وقد يُبرز للكتاب الواحد أكثر من إبرازين، فعلى الناشر أن يبقي واحدة أمًّا، ويجعل الأخريات نسخًا فرعية، ويبين ذلك في المقدمة، ويذكر سبب انتقائه وسبب استبعاده.

فلقد كثرت روايات مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) في الحديث النبوي،وكان هو نفسه يغير هذه الروايات؛ فقد كان كلما أملى أحاديثه على سامعيه ورُوّاده غيَّر فيه ما سمع في أزمان متفاوتة،ويحار ناشر الكتاب الجامع لروايات مالك أي رواية يختار؟ والأفضل والأسلم أن يختار آخر المرويات، ويشير في الحاشية إلى تغييرات مالك المتعددة السابقة.

وكثيرًا ما يقع الوهم على الناشر، فيتصور صاحب كل أم أنه عثر على النسخة الأصلية، ولم يكذب الناشران، لكن أحدهما لم يرَ الأمَّ الأخرى.

وهنا يبرز أمر مهم هو ضرورة الإشارة إلى كل النسخ الخطية، وقد يقع على هذا التكرار، فينبه عليه، فلا يحصل الخلط، كما حصل لكتابي السيوطي.

تحقيق الدواوين:

من النادر جدًّا أن نرى شاعرًا دوَّن شعره بنفسه، ذلك أنه يقول الشعر ويترك أمر جمع شعره لغيره،وقد قيل: إن المتنبي كان يجمع شعره ويدوِّنه بنفسه، وإنه حين قُتِلَ كان ديوانه معه، فأخذه ابنه المحسَّد، وأعاد نسخه، وأسقط منه بعضًا، كما كان أبوه يفعل،لكن هذه النسخة مفقودة، ولو بقيت لكانت أمًّا نادرة فريدة، ومثلها مثل أي ديوان لشاعر كتب ديوانه بخط يده.

والمشهور –منذ الجاهلية– أن شعر الشاعر يرويه راوي الشاعر نفسه؛ فهو الذي يرافق الشاعر، ويحفظ شعره، وينشده بحضور الشاعر أو بغيابه.

وتعد نسخة هذا الديوان إن وردت مكتوبة بخط رواية الشاعر أمًّا لا تضارع بغيرها.

وقد يسجل شعر الشاعر في ديوان أحد عشاقه ومحبيه، ويفتخر بأنه يدون شعره،فتعدُّ نسخة ديوان هذا المحب أمًّا، إذا ثبت أنه روى شعره عنه، أو أن الشاعر استعاد قراءة الديوان، لكن هذه النسخة قد تبقى ناقصة؛ لأنه لم يرافق الشاعر دومًا، أو أن هذا المحب مات قبل الشاعر، أو أنه لم يتسنَّ له مرافقته في أيامه الأخيرة.

وكثيرًا ما نقع على دواوين مروية عدة روايات مثل المعلقات التي تعاور على روايتها كثير من الرواة، وكل رواية يغير بعض الكلمات، أو يقدِّم أو يؤخر في الأبيات، ومثل تعدد الرواة مع اختلاف الروايات، مثل شُرّاح المعلقات؛ فكل شارح يروي عن راوية، وقد يتدخل الشارح ببعض الشطرات والأبيات.

وقد شرح هذه المعلقات عدد من الأدباء مثل أبي بكر البطليوسي (ت ١٩٤هـ)، وأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس النحوي (ت ٣٣٨هـ)، وأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، والقاضي الزوزني (ت ٤٨٩هـ)، وابن الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، ومحمد بن محمود بن محمد المكان، وحتى الدَّميري صاحب «حياة الحيوان» (ت ٨٠٨هـ) شرحها، وغيرهم.

ولو قورنت معلقات هؤلاء الشراح لرأينا اختلافًا بينًا بين النسخ، وما من ديوان شعر تقريبًا إلا وله أكثر من رواية كديوان حسان وديوان أبي تمام.

وقد نجد رواة للشعر يهتمون برواية شعر بعض الشعراء تبركًا كديوان كعب بن زهير من أجل «قصيدة البردة»، وكذا معظم شعراء البديعيات والمدائح النبوية كبديعية ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠هـ) والمسماة بـ «الحلة اليُسرى في

مدح خير الورى»، وبديعية ابن الحنبلي (ت ٧٨٩هـ)، وبديعية شرف الدين إسماعيل المعروف بابن المقرئ اليمني (ت ٨٣٧هـ)، وبديعية العلامة السيوطي (ت ٩١١هـ)، وتسمى «نظم البديع» وغيرها، إضافة إلى شروحها.

وقد يروي شعر الشاعر خصومه بهدف نقده وتجريحه. فكثيرًا ما نجد نسخًا لديوان أبي تمام والمتنبي، أو بعض شعرهما رواها خصومهما.

وعلينا أن نكون حريصين على هذا النوع من النسخ؛ فقد يدسّون السمَّ في الدسم، فيغيرون كلمات وشطرات ليتمكنوا من الطعن بالشاعر، ولا سيما في ما لم يقله الشاعر،ولابد في مثل هذه الحال من البحث عن نسخة لرواية آخر، أو نسخة ناسخ غير ذي هوى،فنعد هذه النسخة أمًّا وإن تأخرت والأخرى فرعًا وإن تقدمت،ويمكن للمحقق أن ينتقد النسختين بعد أن يعتمد واحدة أصلًا والأخرى فرعًا،وله أن يعلق طويلًا على ما غُير في الأصل في الحاشية أو في الدراسة.

وقد نجد خير الرواة العرب يروي ديوانًا لشاعر، وهو المعروف بأمانته، فتعد هذه النسخة أمًّا إذا كان الراوية معاصرًا للشاعر وسمع منه،فقد روى شعرَ المتلمس الضَّبُعيِّ الأثرمُ وأبو عبيدةَ عن الأصمعي، وكلهم ثقة،وروى ديوان شعر الخِرْنق أخت طرفة أبو عمرو بن العلاء والقواريري[1].

صحيح أن النسختين ليستا أصليتين؛ لأنهما منقولتان، لكن وجود مثل الرواية الجيدة النادرة، تجعل نسختي الديوانين مهمتين جدًّا، ويمكن الوثوقُ بهما.

---

(١) كلاهما من نشر دار صادر ببيروت ونعلم أن ديوان الخرنق حقّقه غير من اسمه عليه سطوًا والمقدمة تدلنا على هذا.

ومثلها في القيمة والأهمية ديوان شعر لقيط برواية هشام بن الكلبي؛ فهي أيضًا نسخة متأخرة؛ نسخت في القرن التاسع الهجري، غير أنَّ راويها الأصلي مشهور وعلم، ولهذا تأتي أهمية هذه النسخة من الراوية الكبير ابن الكلبي، ومن ورود اسم الناسخ الذي سجل اسمه في خاتمة الديوان.

وتزداد أهمية الديوان وغيره من الكتب المنسوخة إذا سجل الناسخ اسمه في خاتمة الديوان، وأعلمنا أنه كتبه باسم الأمير الفلاني، إذ لا يجوز للناسخ أن يخطئ أو أن يتلاعب بكلام الشاعر، ولا أن يدسَّ فيه ما ليس له؛ لأن النسخة مهداة إلى أحد الأمراء وعنده أدباء ورواة، كالنسخة الأولى لكتاب «الأغاني» التي طلب أحد أمراء بني أمية بالأندلس اقتناءها،لكن هذه النسخة كانت بخط المؤلف نفسه،ولو أن الأمير نفسه أو ابنه طلب من أحد النساخ أن ينسخها له فستكون ذات قيمة علمية، ولكن دون نسخة المؤلف التي لا يعلوها نسخة.

ومثل هذا ديوان لقيط بن يعمر الذي ذكر الناسخ في خاتمة الديوان أنه «كتبه محمد بن حسام المشهور بشمس الدين السلطاني في ذي القعدة الحرام سنة تسع وعشرين وثمان مائة، في دارٍ للسلطنة هراةَ..» وهذا القول يرفع من مقام هذه النسخة،وهذا ينطبق على سائر المخطوطات في كل الموضوعات.

وقد يقع اختلاف في روايات الشعر لبعد العهد بين الشاعر وجامع شعره كما في الأصمعيات والمفضليات، وديوان الأعشى، وديوان عمر بن أبي ربيعة. ومن أهم هذه الاختلافات:

١- أن بيت الشعر يجب أن يكتب على سطر وحده، يتخلله ثلاث مسافات فارغة، قبله وبعده وبين الشطرين،ولا يجوز إقحام النثر فيه حتى لا يتداخل النصان، فإن اتصل بالنثر وقع الاختلاف.

٢- قد يخطئ الراوي أو الناسخ فيعزو بيتًا أو قطعة لشاعر آخر، فتكون النسبة لشاعرين أو أكثر،ومثل هذا كثير في روايات الشعر.

٣- كثرة الروايات توجد اختلافًا في بعض مفردات القصيدة،وربما وقع التغيير من الشاعر نفسه إذا أنشد القصيدة في زمان أو موضع آخر، فيأخذ راوية من واحد، ويأخذ راوية من أخرى.

٤- قد يطيب لراوي الشعر أو ناسخه أن يغير لفظة إذا غابت عنه اللفظة سهوًا، أو أنه رغب بتغييرها عمدًا.

٥- قد يسقط الناسخ بيتًا أو أكثر لسبب ما،كما قد يستبعد قصيدة،وبالتالي قد يضيف بيتًا أو قصيدة من صنع الناسخ أو الراوية لميل مذهبي أو فكري، كالقصيدة اليائية التي أقحمها راوي المذهب الإمامي على ديوان أبي فراس،فهي واضحة الوضع.

٦- قد يسقط جزء من الديوان بالضياع أو بالنسيان كديوان عمرو بن كلثوم، وديوان طرفة، وديوان عمر بن أبي ربيعة،ومهمة المحقق أن ينسخ الموجود في الديوان ويحققه، كما لو أنه هو الديوان الموجود.

وإذا وجد المحقق قطعًا من الديوان في كتب الأدب أضافها في خاتمة الديوان، وليس ضمن الديوان المحقق نفسه،كما فعل عزة حسن في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي؛ فقد وضع ملحقًا لبضعة عشر بيتًا جمعها من بعض كتب الأدب، ومثله موجود.

والأمر نفسه فعله عبد الحفيظ السطلي في تحقيقه لديوان الشاعر «أمية ابن أبي الصَّلت»؛ فقد جمع مختاراتٍ عديدة، وأردفه بعضهم بغيرها.

ويخرج عن الحديث هنا الدواوين المجمَّعة من كتب الأدب بعامة، والمتناثرة في تضاعيف الكتب مثل ديوان «ذي الإصبع العدواني» أحد شعراء الجاهلية، والذي جمع شعره عبد الوهاب العدواني ومحمد نائف الدُّليمي.

الديوان والخطاطون:

وأمرٌ مهم في نَسخ الديوان خاصة، وقد لا نراه في غيره، أن بعض كبار الخطاطين يهوون نسخ الشعر بخطهم الفني من أجل إظهار براعتهم في رسم الخط، لا رواية الشعر كما في ديوان لقيط وديوان المتلمس.

ففي نسخة لديوان لقيط، وهي التي نشرها المستشرق نولدكه، ورد أن الناسخ نقلها عن نسخة ياقوت المستعصمي (ت ٦٨٩هـ) نقلًا فنيًّا ـ والناسخ خطاط أيضًا ـ عن هذا الخطاط الكبير.

ومثلُ هذه النسخ مهم جدًّا؛ لأن أهميتها العلمية دون غيرها؛ لأنها جاءت تدرُّبًا على فن الخط لا على دقة الرواية، ولهذا جاءت النسخة ناقصة، وكذلك الخطاطون يفعلون في بعض الآيات وبعض الأحاديث الشريفة.

ونلاحظ عناية الخطاط بتكبير خطه، وضبطه للتزيين، وحرصه على إضافة جداول منتظمة كبيرة ينسخ داخلها بيت الشعر، وجداول أصغر ينسخ فيها الشروح والتعليقات التي نقلها من نسخة سابقة.

نحن لا نشك بصدق نسخ الخطاطين، ولا برغبتهم في تغيير الروايات، ولكننا نشك بحرصهم على نقل الديوان كاملاً، كما لاحظه المستشرق نولدكه. ونشك كذلك بأن الشرح والتعليق له،فهو مجرد ناسخ للديوان بخط جميل،ولو أنه ذكر اسم الشارح لارتفع مقام النسخة،ومثل هذه النسخ يكون أقلَّ أهمية علمية؛ لأنها جاءت تدرُّبًا على الخط، أو تباهيًا بما يخطه الخطاط، ومع ذلك تظل

هذه النسخ مهمة إذا لم يُعثر على نسخ أقدم منها.

والمهم الذي نريد أن نقوله في تحقيق الدواوين والمجموعات الشعرية: يفترض بالمحقق أن يكون ذا أذن موسيقية مرهفة وحساسة، وأن يكون متضلعًا من علم العروض بجزئياته كافة؛ ليعرف البيت الصحيح من المكسور، ومن أنواع الزحافات والعلل المقبولة والمرفوضة.

أما الموشحات الأندلسية والمشرقية فلا وزن لها، ولكن الإحساس العروضي يظل مفروضًا من أجل الإيقاع والنبرات التي يدركها خبراء الذوق الموسيقي والعروضي أكثر من غيرهم.

* * *

النسّاخة والناسخون

النساخة حرفة ظهرت في مطلع العصر العباسي، منذ بدء التدوين والترجمة، وانتشار الكتب، وميل أهل العلم إلى اقتناء الكتب، وإقبال الناس على المطالعة. فقد كان المؤلف يؤلف كتابه، فيعطيه إلى من يحسن القراءة والكتابة والخط لينسخه على عدة نسخ.

وأخذت الحاجة إلى النساخة تزداد شيئًا فشيئًا مع توسع حركة التدوين والتأليف، وانتشار ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، واهتمام الخلفاء والوزراء والعلماء بترجمة أمّات كتب الإغريق والهنود والفرس، بدءًا من خلافة أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس،وتزايدت الرغبة بترجمة الكتب والحث على تأليفها في عهد هارون الرشيد وابنه المأمون.

وبرزت طبقة من أهل الكتاب ـ ولاسيما السريان ـ وفئة من أهل العلم والعرب والفرس يترجمون الكتب العلمية، ويدفعونها إلى النساخين الذين احترفوا النساخة في منازلهم، أو في دور الورّاقين، وكان الخلفاء يغدقون الأموال على المترجمين، ويغرون النساخين بالدنانير.

وحين ازدادت الحركة العلمية ونشطت أسواق الكتب برز الورّاقون ـ وهي حرفة جديدة لم يكن العرب يعرفونها ـ يبيعون الورق والحبر والأقلام، ويشترون الكتب من المؤلفين، ويدفعونها إلى النساخين ينسخونها في دور الوِراقة وتحت أنظار الورّاقين أو بعض شيوخ العلم.

وأدرك النساخون أهمية انتشار الكتب، والأموال الطائلة التي يجنونها من هذه الحرفة، فحسنوا خطوطهم وأعدوا أقلامًا جاهزة، ودَوىً ممتلئة بالأحبار، واشتروا الورق؛ استعدادًا لأي طالب نسخَ كتاب،وتسابقوا إلى استقطاب زبائن

العلم وعشاق الكتب، فجنوا وكسبوا الأموال.

وصار الورَّاق في العصر العباسي كالناشر والموزع اليوم، والنسَّاخون الذين يعملون تحت يده أشبه بالمطابع،وصار الناسخ يربح أكثر من صاحب الكتاب، لأن المؤلف يكتب كتابه مرة، بينما الناسخ ينسخ كتابه مئة مرة أو أكثر؛ تمامًا كحال كتابنا وناشري كتبهم اليوم؛ أولئك يعيشون بشظف، وهؤلاء ينعمون بترف.

وحَافَظَ النَّساخون ـ وهم هدفنا هنا ـ على حرفتهم وسمعتهم، فكان منهم الثقات، والأمناء، والصادقون الذين يخدمون حرفتهم بإخلاص، ويحرصون على توسيع معارفهم، والتدرب على السرعة في الإنجاز، حتى إن الواحد منهم كان يصل نهاره بليله في النسخ؛ ليخرج من تحت يديه عشرات الأوراق يوميًّا، والكتاب الذي كان يؤلف يمضي سنوات في تأليفه، كان الناسخ ينسخه بأيام، ويجني من ذلك ربحًا حسنًا،وكان يأخذ أجره على عدد الورقات، أو على الكتاب ككل.

وطار صيتُ بعض الناسخين في الأوساط العلمية، فتهافت أهل العلم عليهم،كما احترف النساخة علماء فقراء، كانوا يعتاشون من أجر ما ينسخون كي يسدوا الرمق، ويتابعوا عملهم العلمي.

لكن النساخة غدت تتطلب كفاءة علمية معينة كي يفهموا ما ينسخون، كالتمكن من قواعد النحو والصرف، والمعرفة العروضية، ومبادئ العلوم، إضافة إلى تحسين الخط،لذلك اشترطوا بالناسخ أن يتحلى بصفات خاصة مادام يعاشر أهل العلم، ويتعاطى نقل كتبهم.

وصار لزامًا أن يتبع هذه الحركة النشطة قواعد ناظمة لحرفة النساخة والعاملين، فلقد كان العمل فيها في البدء ارتجاليًّا ويكاد يكون فرديًّا، لكن

التوسع العلمي أكثرَ من وجود هذه الفئة من العاملة.

وهذا ما جرَّهم إلى وضع شروط يجب أن يتحلى بها الناسخ الجيد،والذي دفعهم إلى هذا أيضًا بروز فئة جاهلة أو جشعة أخذت دورها الفاسد خوفًا من تفشي هذا الفساد قالوا:

الناسخ الجيد:

١- إن على الناسخ أن يقرأ المخطوطة قبل أن ينسخها بأناة ليطمئن إلى تسلسل أوراقها، وعدم وجود نقص أو سقط فيها، والتنبه إلى اختلاف الخط في النسخة.

٢- وإن عليه أن يجيد خطه، بحيث يكتب بخط مقروء جلي.

٣- وأن يكون أمينًا في نقله، ولا يجوز أن يتصرف بالنص إضافة أو حذفًا.

٤- وأن يكون يقظًا يقظة تامة، حتى لا يقع في تحريف الكلم وتصحيف الحروف، أو أن يقفز سطرًا أو جملة سهوًا أو عمدًا،وإن حصل عُدَّ ذلك تهاونًا منه، وانفضَّ أهل العلم من حوله.

٥- وأن يطلب من تابع له أو ناسخ آخر أن يقرأ عليه ما قد نسخ؛ ليتأكد من صواب ما نقل،وإن فعل الناسخ هذا ـ ونادرًا جدًّا ما يفعله ـ عدت نسخته من النسخ الجيدة الكاملة،ذلك أن إسقاط حرف واحد كـ الواو أو لم يغير المعنى أو يقلبه.

٦- وأن يراعيَ ما قد يضيفه المؤلف في الهامش، فينزله في مكانه من النص، ويجب بالتالي أن يفرق ما في الهامش من المؤلف نفسه أو من معلق أو مالك للكتاب.

٧- أن يراعي نقل الشعر بدقة متناهية،ولا يجوز له أن يغير أية كلمة من البيت على حسب محفوظه للشعر، إن كان يخالف رواية الكتاب.

٨- أن يثقف نفسه ويوسع معرفته باللغة وتوابعها، وإلا ظل جاهلًا غير قادر على تطوير حرفته، ولا نعني أن يصبح عالماً باللغة وقواعدها، ولا أن يكون مؤلفًا آخر،بل أن تكون نسخته مرآة عاكسة بصدق للكتاب الذي ينسخه.

عيوب النسّاخ:

لقد اهتبل الحركة العلمية جشعون عميُ البصيرة، فأقبلوا على الكسب الحرام في هذا العلم الرفيع، همهم جمع الدرهم والدينار ولو بغير حق،وأغلب هؤلاء كانوا يتسلحون بحسن الخط، ويعتنون به ويضبطون الكلام وإن كان الضبط خاطئًا إرضاء للشاري،ولكن إن دقَّقَ الشاري في الكتاب يَرَ الناسخ ماسخًا غير دقيق في الضبط ولا في النقل.

بل إن بعضهم ما كان يحسن غير النقل، ولا يدرك معنى ما ينقل، فنراه يرسم الكلامَ رسمًا، والطامة الكبرى إذا كان الناسخ لا يحسن فهم الشعر بَلْهَ تقطيعه؟ وكنا ذكرنا أن الشعر لا يجوز التهاونُ به مطلقًا.

ومن الضروري جدًّا أن يختم الناسخ ما نسخ باسمه وتاريخ انتهائه، وهذا توثيق لها،لكن بعض النساخ يغفل ذلك إما جهلًا أو سهوًا أو عمدًا لهدف، فالعيب الفاحش أن يعمد بعض النساخ إلى الغش بهدف الربح غير المشروع، وإن أفسد المخطوطة فيدون في نهاية النسخة تاريخًا قديمًا، وقد يضيف اسم ناسخ قديم معروف.

ومثلُ هذا التصرف الأرعن يكشفه المحقق الخبير من نوع الورق، أو من

ورود أسماء بعض الأعلام ممن عاشوا بعد تاريخ النسخ المذكور، أو مما دُوِّن على الورقة الأولى، فيعرف الناسخ أنه مضلل ومدلّس.

وتتجلى كفاءة الناسخ أو جهله حين يمر بأسماء أعلام يونانية أو فارسية أو هندية،فإذا رأيناه كتبها صحيحة أدركنا أن الناسخ جيد، وإن كتبها مختلة مضطربة اتضح لنا جهله؛ لأن معرفة الأسماء الأجنبية ثقافة تأتي الناسخَ بالتدرب والوعي.

ومن عيوب الناسخ الفاحشة عدم إلمامه بأبسط قواعد النحو، والطامّة إذا كان لا يعلم أنه يجهل، فيصحح للمؤلف ما يظنه خاطئًا، فيتسرَّع المحقق بصبِّ اتهام المؤلف بالجهل المطبق،ولو أنه تأنَّى قليلًا لأدرك أن من ألف كتابًا في اللغة أو الأدب يُستبعد أن يخطئ بالبديهيات،والمفروض أن يوجه الاتهام للناسخ الماسخ الجاهل.

ومن هذه العيوب ظنُّ الناسخ أن الفعل المنصوب مثل المجزوم مع الفعل المعتل الآخر، فيكتب مثلاً: لن يسعَ، ولن يدعُ، ولن يرمِ،في حين أن الصواب كما هو معروف: لن يسعى، ولن يدعوَ، ولن يرميَ.

وقد لا يحذف الناسخ حرف النون من جمع المذكر السالم في حال الإضافة ونحن نجزم بأن المؤلف حذفها، وتنطَّعَ الناسخ فصوب الصحيح، فيقول: «أمضى السيوطي سنينَ عمره في التأليف»،وقد ينقلها صحيحة، لكنه حين الضبط يضع شدة على الياء، فيقول: «سنيَّ عمره»،ومثل هذا وافر في النسخ الخطية.

وأكثر ما يقع الوهم مع الناسخ في العدد والمعدود فنراه يطابق حيث لا تجوز المطابقة، ويخالف حيث لا يجوز الخلاف.

ولا يمكننا أن نحصر عيوب النحو عند النساخ،على أن هذه العيوب تكثر عند المؤلفين في كتبهم العلمية، وعند المتأخرين ولا سيما عند المتأخرين بعد القرن الثامن الهجري، كما في كتاب «مفاكهة الخلان» لابن طولون الذي حققه محمد مصطفى، ولم يذكر التصويبات في الحاشية، ولم يشر المحقق إلى أخطاء المؤلف في المقدمة.

وقد نجد من المحققين من يذكر أخطاء الكتاب في الحاشية، فإذا كان الخطأ من المؤلف قبل منه،وأما إذا كان الخطأ من الناسخ، وهو كثير عنده ولا سيما في النحو والإملاء فإن من الضروري عدم ملء الحواشي بهذه الهنات غير المجدية.

بينما نرى بعضهم يتدخل في تصويب المتن، وهذا مرفوض قطعًا، إذ لا يجوز المساس بالمتن مطلقًا،على أن بعضهم يضع كلمة [كذا] في المتن من غير تدخل فهذا أيضًا مرفوض.

ومثالنا على هذا ما فعله الشيخ محمد سعيد القاسم في تحقيق كتاب «حوادث دمشق اليومية» من تأليف الشيخ محمد الدَّيري الحلاق[1]؛ فقد أضاف مرارًا قوله: [كذا] في متن كلام المؤلف، فأخطأ بوضع الكلمة ضمن المقوَّسين الخاصين بالإضافة لسِقط أو غيره،وهذا خطأ آخر له.

أخطاء النساخ:

حين نتكلم على أخطاء النسّاخ لا نقصد بهم من اتخذ النساخة ارتزاقًا بغير حق ولا إخلاص، ومن لا يسعى لأن يمحو عن نفسه صفة غائلة الجهل،فهذا لا يتطور ولا يستطيع أن يتطور، ويبقى على عمله جاهلًا، وينسخ جاهلًا، ولا يفهم ما ينقل؛ لأن كل همه مع المال بأقصر الطرق وأسوئها.

---

(١) كما في قول المؤلف وتعليق المحقق على خطئه: «وكأن الناس لم يجمعوا منه شيء [كذا]» ص٩١، وكذا: ٩٢، ومثله كثير في الكتاب المذكور.

ونحمد الله على أن هذه الفئة سرعان ما خبا ألقُها، وأهملها الناس، ولكن بعد أن أفسدت.. وقد أشرنا إلى إفساد وعيوبها قبل قليل.

وإنما حديثنا هنا عن الناسخ الجيد المخلص، ولكنه يتعثر،ونحن نعلم أنه إنسان قبل كل شيء،وهو غالبًا ما يخطئ غير عامد، ولكنه يتعمد الخطأ أحيانًا.

وسنجمل فيما يلي أخطاءه بنوعيها خدمة للمحقق، كي يستفيد من ذكرها، وحتى لا يتسرَّع بصب التهم على المؤلف، وينسى تقصير الناسخ وهو الأساس هنا،وبالتالي يدرك الفرق بين خطأ المؤلف وخطأ الناسخ.

وحتى يتمكن المحقق من الاستفادة من الناسخ **الجيد** وإن أخطأ عن غير قصد، نرى أن نقترح أن يقرأ النسخة بإمعان ودقة، وكأنه المؤلف يراجع نسخته الأصلية،وسيدرك بحصافته سبب تصرف الناسخ، ويبين ما قصده المؤلف وما كتبه الناسخ،وعمله هذا جزء من «نقد النصوص»، وسيأتي.

ومن هذه الأخطاء:

١- أن الناسخ أحيانًا يكتب ما في خاطره، ساهيًا عما كتبه المؤلف.

٢- أنه يظن أن كلام المؤلف غامض أو خاطئ - لانشغال فكره - فيصحح كلام المؤلف ويغيره على قدر فهمه،فيشوِّه الناسخُ المطلوب أو يمسخه،وقد يكون الناسخ ينسخ من كتاب غيَّر فيه ذلك الناسخ، فيصوِّب الثاني من عنده ما يتصور أنه غامض،فيقع في التركيب تغييران، فيتعثر النص، ويخرج عن المقصود الذي عناه المؤلف، عن غير عمد من الناسخ.

٣- **وأخطاء الناسخ نوعان**: نوع تعمدي، هدفه التصويب على قدر فهمه أو على هواه، ونوع يقع سهوًا، وهو اتفاقي،فالكاتب إذا كان على مذهب والناسخ يخالفه، فيضيف هذا ما يرضيه ويحذف ما يرتضيه إكرامًا للمذهب الذي

ينتمي إليه.

فالمسلمون جميعًا يقولون: «اللهمَّ صلِّ[1] على محمد وعلى آله وصحبه»،وهذا اعتراف منهم بجلالة قدر آل البيت وصحابة النبي معًا،فيأتي الناسخ ذو الهوى، فيسقط كلمة «وأصحابه»، كما يسقط «على»، ويُبقي على: «اللهم صلِّ على محمد وآله»،وهذا تصرف مشين يأتي من بعض الناسخين ذوي الهوى.

كما يسقط بعضهم اسم الشيخين والرضى عنهما، ويسقط آخر اسم أحد الأئمة رضوان الله عليهم، أو صفة «أمير المؤمنين» لعلي، ووضع «كرَّم الله وجهه» عوضًا عنها،وهذا كله من أخطاء النساخ عن عمد، وهو مرفوض قطعًا؛ لأنهم يجعلون المؤلف السنيَّ شيعيًّا، والشيعي سنيًّا.

ومن **أخطاء السهو** إسقاط حرف أو كلمة أو كلمات، أو حتى سطر، فيختل المعنى بذلك،فيعاني المحقق الدقيق الأمرَّين في تقويم الكلام،وقد يسهو الناسخ أكثر فيقفز سطرًا كاملًا، ولا سيما حين تتكرر كلمة في سطرين متتاليين؛ لأن الناسخ كان مشغول الفكر، ولم يدقق في ما كتب، ولم يراجع ما نسخ.

ويستطيع المحقق كشف هذا السقط ويتلافاه حين يقابل النسخة الأم بغيرها، أو من نصوص كتب يرجع إليها، أو بحصافته المعهودة،وإن تعذر ذلك كله أشار في الحاشية إلى وجود سقط من الناسخ لم يتمكن من تلافيه، وهذا كاف.

٤- قد يقفز بصر الناسخ في الأسماء المتشابهة؛ ففي تعريف شهاب الدين النجدي

---

(١) الصلاة هنا بمعنى الثناء.

في «النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل» للغَزِّي الغامري يقول المؤلف: «أحمد بن ذهلان بن عبد الله بن محمد بن ذهلان...»، فيقفز بصر الناسخ من ذهلان الأب إلى (ذهلان) بعده، فيقول: «أحمد بن ذهلان»، ويقفز عن «بن عبد الله بن محمد». ومثل هذا كثير، ولا يدركه إلا بصير بالرجوع إلى كتب التراجم.

٥- وقد يسقط الناسخ جملة يراها تفصيلًا لا لزوم له، أو إطنابًا في غير محله،فإذا عثر المحقق على نسخة أخرى، ولاحظ السقط أدرك أن الناسخ يتصرف بالمخطوطة بما لا يجوز له، فيضيف الساقط.

٦- وقد ينجم النقص والخلط من تدخل الناسخ بالنص؛ فعندما لا يدرك الناسخ معنى الجملة يُسقط منها شيئًا حتى تستقيم،وإن لم تستقم أسقطها كلها وارتاح،وهذا تصرف أرعن يُنزل من مكانة النسخة.

٧- وقد يُقحم الناسخ بعض كلمات من الهامش، ظنًّا منه أنها استدراك من المؤلف،في حين أنها «تعليقة» من أحد المالكين،فيدخلها في النص، فيختلُّ المعنى،ولم يكن الناسخ من الحصافة بأن يفرق بين كلام المؤلف في الهامش وكلام غيره، ولم يستوعب ضياع المعنى،وقد يكون الناسخ هنا أمينًا، ولكنه أمين غافل.

ومن عادة المؤلف أنه إذا نسي كلمة، وحين إعادته وتدقيقه يتنبه إلى النقص، فيستدركه بالهامش مع إضافة الرمز ¬ أي انظر الهامش.

كما في «الجوهرة»[1]، ففيها «من هذيل من ¬ بطن عبد الله بن مسعود»، ولو أن الناسخ تنبه إلى هذا الرمز ونظر إلى يسار الورقة لرأى بني حذيفة،

(١) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: ١/ ١٠٦.

لاستقام معه الكلام، وأجاد النسخ.

٨- لا يجوز أن نتسرَّع بوصف المؤلف بالجهل وعدم معرفته لأبسط المسائل النحوية، كما أشرنا إلى ذلك في عيوب النساخ،كما أننا لا نطالب الناسخ بأن يكون عالماً في النحو، ولا في العروض، ولا في ثقافات أخرى،لكننا نطالبه بألا يخرج عن النص، ولا أن يصوب ما يعتقده خاطئًا، فجهله بالبديهيات عيب، وخطؤه من غير عمد سهو مرفوض.

فمن غير المعقول أن يقع المؤلف في المنصوبات، والممنوعات من الصرف، والجوازم والنواصب، إلا إذا كان العالم يؤلف في مجال علمي،علماً أن بعضهم ـ من القدماء ـ كانوا على مستوى رفيع لغويًّا؛ فلقد كان حنين بن إسحاق سليم اللغة واضح العبارة، بعيدًا عن الهنات.

وإذا كانت هذه الأخطاء موجودة في نسخة وخالية من غيرها أدركنا أن الخطأ في تلك النسخة يُعزى إلى الناسخ لا إلى المؤلف.

وعلى المحقق أن يصوب هذه الأخطاء ـ مشكورًا ـ في الحاشية،ويفعل الأمر نفسه إذا كان الكتاب علميًّا؛ لأن العلماء يفكرون بالموضوع أكثر من الأسلوب، من غير أن يتهجم المحقق على المؤلف بتقصيره اللغوي؛ لأننا أيضًا لا نحسن ما يحمله من علم،وعمل المحقق هنا مجرد تصويبات لغوية في الحاشية.

وهذا يشبه ما تقوم به كليات الآداب من تشكيل لجان تدقيقية للكتب العلمية التي تؤلف في الكليات العلمية، مع ذكر اسم المدقق الذي يقوم بهذه المهمة حرصًا على سلامة اللغة العربية.

* * *

الآفات التي تعتري المخطوطات

الحديث عن الآفات التي تقع للمخطوطات مؤلم جدًّا، ويكوي الأفئدة المحبة للعلم، والمخطوطة هي الجزء الغالي من معتقدات العرب الذي يعتزون به، ويعدونه العروة الوثقى التي تؤلف قلوبهم،والمَعْلمة الصافية التي يتباهون بها على مر الأجيال،والتراث الذي تشَرَّبته عروقنا، وجعلته أرجوانيًّا حارًّا.

وهي الصفحة البيضاء ـ ولعلها الوحيدة التي في تاريخنا المجدي، والتي لم يستطع أحد أن يمحوَها؛ لأنها نباريس مضيئة، وفروع معرِّشة في أزهى وأغنى خزائنهم، والعالم الذي يسافر إلى الغرب يزور أول ما يزور خزائن المخطوطات التي صاغها أجداده، فيشمُّ عبق تاريخه حتى من وراء نوافذ المكتبات، بل حين يتحسس البطاقات التي يقلبها في أدراج المكتبات.

لقد خسر العرب والمسلمون بلادًا عريضة رسخوا فيها عروشًا كالأندلس، وفلسطين والخليج العربي الشرقي، والإسكندرية، وديار بكر ومضر.. وفي رأيي أن هذا كله بكفة والمخطوطات الموروثة بكفة أخرى،بل إن كل صفحة نقرؤها من تراثنا تذكرنا بالأمصار الفقيدة الغالية.

حتى هذا التراث وهو من صفحات مجدنا العربي أضعنا كثيرًا منه بالنكبات التي حاقت بنا، وبالوحشية التي داهمتنا شرقًا وغربًا، وبالجهل المطبق الذي عشناه إبانَ الحكم العثماني،لكن عين الرضا متفائلة، وشيء خير من لا شيء؛ فما بقي في مكتباتنا وفي سائر مكتبات العالم كفيل بأن يجعلنا نحيا بشموخ مما تركه الأجداد.

والنكبات التي داهمت مخطوطاتنا ـ غير ما ذكرنا ـ عديدة، نشير إليها

بعجالة واضحة، ومنها:

١- الخلل في المخطوطات:

نادرًا جدًّا أن نجد نسخة خطية خالية من العيوب، كنقص واهتراء، وتأكل ورطوبة،وبعض هذا النوع من الخلل يمكن رتقه وتصويبه، وبعضه لا يمكن. ولذلك نجد في المخطوطات المحققة المطبوعة إشارات إلى النقص الذي يعتريها، يقولها المحققون وهم متألمون،ولو أننا رأيناهم، وقد تلافوا بعضها لأدركنا مدى سرورهم وإحساسهم بنصرهم.

ويرجع سبب هذه العيوب إلى إهمال مالكيها قديمًا لجهلهم كيفية حفظها ورعايتها،ومع أن حفظهم لها دليل غيرتهم وحرصهم عليها، فإن هذا الحرص سبب في إصابتها بالتلف من الأَرَضة، والرطوبة، والاهتراء، والتآكل.

واستمرت حال المخطوطات تزداد سوءًا بهذا الحَجْر غير الصحي، حتى واتتها الظروف السيئة فنقلت إلى خزائن دول الغرب، حيث لقيت كثيرًا من الرعاية والتَرميم،ولا أظنني أفكر يومًا بشكر الغرب في شيء، سوى حفاظهم على مخطوطاتنا،وهذا الحفظ وإن كان مصيبة، فإنه أقل من مصيبة ضياعه،على أن ما فسد يمكن إصلاحه، أما ما ضاع فلا يمكن استرجاعه.

والرطوبة التي تهرئ الكتاب، إنما تفسد أطراف الورقات، وأوائلها وأواخرها. أما العثّ فإنه لا يترك أبيض ولا أسود.

وقد روى لنا شيخنا في إحدى محاضراته أنه دُعي لزيارة جامعة «عليكره» في الهند، فأطلعه العميد على مكتبة خطية فيها عشرات المخطوطات،وحين طلب من الموظف أن يفتحها له كي يشرح لهم مدى أهميتها قال له العميد:

واعلم أيها الشيخ العظيم، أن المكتبة لم تفتح منذ سنوات، ولم يمسسها بشر.

وفوجئ شيخنا بالمخطوطات جميعًا مثقوبة بخراطيم السوس، والتي استحال عليه أن يقرأ من واحدة سطرًا،وقال للعميد والحسرة قد جرحت الحَنْجَرَة:

ارموها للزبالة.. فالجدوى منها معدومة، واستفيدوا من الخزانة بما ينفع عدا العلم.

ومع ذلك علينا أن نحمد الله أن الأرضة لم تأكل كلَّ شيء؛ فبقي كثير من التراث في حالة حسنة،وهيأ الله لهذه المخطوطات علماء محققين استطاعوا - وما زالوا يستطيعون - تصويبها وتحقيقها ورتقها عن طريق مقارنة بعضها ببعضها الآخر،وليت المؤسسات الثقافية الحكومية تغيث هؤلاء العلماء ليبذلوا ما بوسعهم لإخراجها إلى النور بشكل يشرف.

والعُثَّة: جمعها العُثُّ والعُثَث،وهي سوسة تلحس الصوف وتأكله أفلا تمدُّ خراطيمها إليه؟ وهذه السوسة تهوى سواد الورق، ولا تخرج من الكتاب حتى تثقب حروفه السوداء، تمامًا كآلة التطريز، وشتان ما بين الآلة المزينة، والخراطيم والألسن المشوِّهة!

أما الرطوبة: فهي ترشُّح الجدران ببعض الماء، فيَنْدَى لها جبين الورق،وخوف القدماء ومالكي المخطوطات جعلهم يحفظونها بالكُتْبيات، والجهل أبعدهم عن تناولها للمطالعة، فسرى الماء إلى الورق الهشّ، فذاب الحبر، واهترأ الورق.

وكنا ذكرنا أن أغلب ما يُؤذَى من المخطوطات هي الورقات الأولى والورقات الأخيرة، وبعض الأطراف،ولحسن الحظ فإن أذى الرطوبة أخف

كثيرًا من أذى السوس؛ لأن الرطوبة قد لا تسري إلى سائر الورق كالسوس.

ويمكن للمحقق الصبور أن يرأب هذا التآكل بربط الكلام، وبالنسخ الأخرى. وإن مُحي بعض الاسم،فإن كتب الكتب وكتب التراجم تكشف سائر الاسم.

وإن كانت النسخة الخطية قرآنًا أو كتاب أحاديث نبوية أو شعرًا أمكن تلافي المهترئ بنسخ أخرى أو ببعض كتب الأدب،وإن تعذر ذلك -لا سمح الله به- وضع المحقق نقاطًا دليلًا على النقص، وأشار إلى ذلك في الحاشية الرحبة، وذكر المسافة المقدرة من التآكل.

والمحقق الذي يسهر على مثل هذه المخطوطة يجب أن يُشكر على الجهد الذي بذله،ومثله مثل من يعمل على ترميم قطعة من السيف الصقيل تساقطت بعض حجراته الثمينة وقد ضاع بعضها،وعليه أن يرمم هذه القطعة الفنية ويسهر عليها قبل أن يعرضها على الملأ.

٢- ترقيم الورقات:

قد تصل إلى المحقق مخطوطة مختلة الترتيب بسبب الأيدي المهملة،فإذا لم تكن النسخة مرقمة الورقات تعذر عليه إعادة ترتيبها، وبالتالي استحال عليه تحقيقها، وهذا مصيبة.

وعلى المحقق في هذه الحال أن ينظر في أقصى يسار أسفل الورقة، فسيرى كلمة مائلة تنقل من أول كلمة من الورقة التالية،وهذه الكلمات في أسفل الهامش هي بمثابة ترقيم للورقات،وكذا كانت عليه المصاحف القديمة، حتى أوائل المطبوع منها.

فإن وجد المحقق أن الناسخ لم يذكر الكلمات الرقمية صعب عليه الترتيب،ولا يتمُّ إلا بقراءة النسخة مرات ومرات، مستفيدًا من السياق،ولا نظن الأمرَ سهلاً حتى على الصبور.

وقد تغيب بعض الكلمات الرقمية بسبب الاهتراء أو النسيان،فيتبع المحقق ما ذكرناه فوق، لكن بعناء أقلَّ.

٣- الخرم:

هو الثلم والشق والفصم لغةً،وفي مصطلح المخطوطات: هو عيب يقع في المخطوطة يدل على النقص سواء في كلمة واحدة أو في عدة أوراق،ويقولون: في المخطوطة خروم أي: نقص متكرر، وهي مخرومة.

ويمكن تلافي خروم المخطوطة بمقابلة النسخة الأصلية بغيرها من النسخ المساعدة، فإن لم يكن فبالنصوص الأخرى من الكتب التي تعالج الموضوعات نفسها،وإن لم يكن فبحصافة المحقق وصبره.

وننصحه بأن يترك الخرم أيامًا، وكلما عنَّ إلى احتمال ذكره بقلم الرصاص، فيجيء إلى المخطوطة بعد حين، فيقاربُ الاحتمالات، ويرجح واحدة،وقد يرى سؤال من عنده خبرة في الموضوع، فيقرِّب له الرأيَ وقد يصيب.

وفي حال كانت الخروم كثرة، قد تمتد إلى صفحات أو عدة ورقات وليس بين يدي المحقق نسخة أخرى ترمم هذا الخرم الواسع، تجاهله وتابع تحقيقه ونقده. وعليه أن يذكر الخرم في الحاشية، ويبين محاولاته وعجزه،فقد يُعثر على نسخة أخرى مستقبلاً، فيرمم المحقق نفسه أو من يخلفه عليها فيرممه. المهم أن يبذل المحقق كل جهده مشكوراً في السليم من أوراق المخطوطة وفي المخروم منها.

٤- اختصار المخطوطة:

من المصائب المؤلمة ما يكون من يد الناسخ بقصد تجاري متعسِّف،ذلك أن الناسخ المتعجل للربح يُسقط فصلاً، أو ورقات أو يعمد إلى أسلوب الاختصار. فتهزل المخطوطة، فيبيعها الناسخ الماسخ على أنها كاملة، ويُغَرُّ الشاري بعنوان المخطوطة من غير أن يدري فعلة الماسخ المشينة.

والناسخ الماسخ غالبًا ما يكون جاهلًا أو متسرِّعًا، فيسقط من الكتاب عيون الأدب، كحذفه القصائد، أو حذفه بعض الأبيات من غير مراعاة لترابط المعنى، ويترك الباقي،وقد تعمُّ هذه النسخة المشوَّهة إذا وقعت بيد ناسخ آخر.

وقد طبعت مخطوطات عديدة بعد تحقيقها من غير علم المحقق ورجع إليها العلماء ونقلوا منها،كما فعل الشيخ راغب الطباخ في طبعة «دمية القصر» على نسخة مختصرة جدًّا في مطبعته بحلب، في حين أنها طبعت كاملة في دمشق، وشبه كاملة في مصر والموصل،وحجم نسخة الشيخ راغب أقل من حجم ربع النسخ المحققة الأخرى.

٥- الاقتصار على واحدة:

ومن المصائب التي تقع من أيدي المحققين عمدًا، اقتصار المحقق على نسخة واحدة، مع علمهم بوجود نسخ أخرى،فهم يكتفون بنسخة واحدة، مغترِّين بخبرتهم، أو متباهين بقدرتهم الكفيلة بنشر المخطوطة دون أن يرجعوا إلى أخرى غيرها،وقد يعمد المحقق إلى هذا التصرف من باب التسرع أو من باب الكسل.

وهذا التصرف مشين؛ لأنه قتلٌ للوقت، وهدر في نقد النصوص، واستبعاد لاحتمالات مفيدة للعلم.

وهو خطأ يعاب على المحقق الكسول ويوصم بصفة التكاسل والتقصير. والذي يحصل أن المحقق لا يجمع النسخ وينتقي أفضلها - مع أن هذا مرفوض أيضًا - بل يحقق أول نسخة تقع بين يديه.

ومهما كان المحقق بارعًا وذا خبرة علمية عالية، فإن عدم الرجوع إلى النسخ الأخرى كلِّها أو جُلها على الأقل، يجعل عمله ناقصًا، فقد تكون هذه النسخة ناقصة، أو مشوَّهة، أو مخرومة، أو متأخرة.

فقد نشر أحمد الجندي مخطوطة «قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور» لأبي إسحاق إبراهيمَ بن القاسم المعروف بالرقيق النديم (كان حيًّا سنة ٣٤٠هـ)، ونشرها بدمشق معتمدًا على نسخة واحدة محفوظة في المتحف البريطاني. علمًا أن قرابة عشر نسخ أخرى للكتاب محفوظة في الرباط، وتونس، وبرلين، وفيينة، ومدريد، ولايبزيك، وغيرها، وكلها مشهورة،وهذه إحدى مصائب التحقيق.

ولو أن المحقق طلب من المجمع العلمي بدمشق أن يؤتى له بهذه النسخ أو ببعضها لما قصَّر،لكن المجمع قصَّر إذ وافق على نشر الكتاب كما قدمه المحقق، ربما لدالَّة المحقق على رئيس المجمع،ولابد أن يأتي يوم يعاد تحقيق «قطب السرور» وسيشار إلى تقصير المحقق، مع مكانته العلمية المرموقة.

ومثل هذا جرى لديوان الأعشى الذي حققه المستشرق جاير، على ما توصل إليه المستشرق،وجاء بعده م. محمد حسين فنقل الكتاب كما هو، حريصًا على ما بذله المستشرق جاير في نشر الديوان، لكنه لم يكن حريصًا على رأب الصدع والخروم التي اعترت الديوان، وكان المحقق الكريم مقصرًّا جدًّا، إذ كان من السهل عليه سدّ الثغرات ولكنه مع الأسف لم يفعل.

والناظر إلى الديوان يرى بياضًا، ونقصًا في المتن،وكأنه وضع نصب عينيه

الديوان المحقق لا الديوان الأصلي،وسيأتي يوم يعاد تحقيق ديوان الأعشى، وسيذكر تقصير المحقق العربي على مكانته وأمانته.

٦- زيفُ اسم المؤلف:

قد يتسرَّع المحقق بنشر المخطوطة من غير تثبت من اسم المؤلف،وهذا خطر كبير، ومصيبة تحلُّ بالمخطوطة،والجدير بواجب المحقق التثبت والتأكد من اسم المؤلف، وليس عسيرًا مطلقًا.

ففي تونس مخطوطة عنوانها «ريُّ الظما في مَن قال الشعر من الإما»[1]، وكتب اسم المؤلف «ابن الجوزي»،وانشَدّ جليل العطية إلى هذا الكتاب،وحين طالع النسخة الخطية شك باسم المؤلف؛ فقد ورد اسمه في البطاقة بناء على الأصل -من خطأ الناسخ- ابن الجوزي،شك لورود ما يثبت غير ذلك في المخطوطة.

وشرع يبحث عن اسم المؤلف الأصلي، وانتهى إلى احتمال زيف وقع لعنوان الكتاب أيضًا،وبعد جهد وطول بحث امتدت يده الكريمة إلى كتاب اسمه «الإماء الشواعر»، فرأى النسختين واحدة باستثناء عنوان الكتاب واسم المؤلف. وهكذا توصل إلى أن المؤلف هو أبو الفرج الأصفهاني (العربي الأموي)، فاشتغل بتحقيقه مطمئنًا، ونشره في بيروت عام ١٩٨٤م. فاستطاع المحقق أن يتلافى مصيبة كاد أن يقع بها،ويشكر.

ومثل هذا حصل لكتاب «نقد النثر» الذي نشره طه حسين وعبد الحميد العبادي على نسخة محفوظة في مكتبة الأسكوريال، معزوَّة إلى ابن قتيبة، وطبع عدة مرات على مكانة اسم المؤلف واسم المحققين،لكن الأدباء منذ ظهور

---

(١) لم يرد ذكر هذه النسخة في كشف الظنون ولا في ذيله.

الطبعة الأولى شكوا بنسبة الكتاب إلى ابن قتيبة،وظل شكهم سائدًا، وظلت الطبعات تتوالى.

إلى أن قيَّض الله لهذه النسخة علي حسن عبد القادر، الذي كشف زيف اسم المؤلف، وتبين له أن اسم المؤلف الصحيح هو إسحاق بن إبراهيم الكاتب،كما كشف زيف عنوان الكتاب، والذي هو «العنوان في وجوه البيان»، معتمدًا على نسخة «جستربتي» في دبلن بإيرلندة ونشره في بغداد عام ١٩٦٧م، بعد أن أزال زيف اسمي الكتاب والمؤلف.

وزيف اسم المؤلف يتبعه زيف اسم كتابه،واحترامهما واجب، والتلاعب بأحدهما مرفوض،وبالتالي لا يجوز التدخل في تغيير عنوان المخطوطة بحجة أنه لا يجذب القارئ ولا المقتني تجاريًّا، فيشجعه الناشر على تغييره لهدف هو يقصده، وهو الربح المالي، كما حصل لكتاب «البيطرة» الذي طبع باسم «الجواد العربي»؛ لأن الناشر يحب الخيل.

كما لا يجوز أن يضاف على عنوان الكتاب كلمة محددة للقصد السابق،مثل كتاب «البرهان في متشابه القرآن» لبرهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥هـ)، فأضاف المحقق كلمة «توجيه» فصار العنوان «البرهان في توجيه متشابه القرآن»[1] ، وهكذا طبعه بحجة التسويق التجاري،ومثل هذا التصرف من قبل المحققين تشويه ومصيبة لا يغتفران.

٧- أخطاء العلماء:

وأعني بالعلماء المستشرقين وعلى رأسهم بروكلمان،فما من محقق إلا سيعود أولًا إلى كتاب المستشرق الألماني العظيم بروكلمان،وقد وقع هذا العالم بأخطاء

---

(١) ورد ذكر الكتاب في «أسماء الكتب»: ٧٠، وفي بروكلمان: ١/ ٥٢٤ من غير إضافة.

متعددة في نسبة بعض المخطوطات إلى غير أصحابها، وأخطاء أخرى في عناوين الكتب. ومع أن أخطاءه قليلة نسبة إلى حسناته الكثيرة، ولكن هذه الأخطاء تصب أولًا وأخيرًا في قناة المصائب التي تعتري المخطوطات.

فقد ذكر بروكلمان في تاريخه أن مؤلف «الأنيس الجليس في التجنيس» وهو شُمَيْم الحلي النَّحوي (ت ٦٠١هـ)[1]، وتبعه في هذا الزيف مفهرس مخطوطات دار الكتب المصرية.

لكن هلال ناجي كشف هذا الوهم الذي وقع فيها المصدران الكبيران، وذلك حين توصل إلى كتاب «أنيس الجليس في التجليس» لمؤلف مجهول بالموصل، وعزا هذا الوهم إلى تشابه العنوانين، فبعد صبر وجهد اكتشف هلال ناجي أنه المؤلف هو الثعالبي صاحب «يتيمة الدهر»، وأن العنوان حصل فيه تصحيف، وأن الصواب هو «الأنيس في غرر التجنيس»، وشتان ما بين المعنيين!

ونغفر خطأ بروكلمان وفهرسة دار الكتب، ولا سيما بعد أن تُلوفي الوهم، وعاد الحق إلى نصابه، والعلماء بشر يصيبون ويخطئون؛ فهذا أبو علي القالي على كفاءته العلمية أخطأ كثيرًا في كتابه «الأمالي»، مع أن الكتاب من الكتب الأساسية في الأدب عند العرب.

فألف أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) كتابه الشهير «التنبيه على أخطاء أبي علي في أماليه»، وطبع التنبيه ذيلًا على الأمالي، وغدا جزءًا لا ينفصم عن الأصل.

٨- التصحيف والتحريف:

هما قضية حساسة جدًّا ومهمة جدًّا، من شأنها أن تعمل على تدقيق النصوص الموثقة.

---

(١) لم يرد اسم الكتاب مَعْزُوًّا إلى شُميم في معظم تراجم الأعلام.

وسبب وجودهما: تقصير المحققين في قراءتهم وخلطهم للحروف المتشابهة مثل: تدخر وتذخر.

وسبب آخر هو أن باحثًا يحمل على محقق ولا يريد له الخير، فيدَّعي أنه صحف لقصر نظر منه أو جهالة في إدراكه للمعنى،في حين أن المحقق نسخ صوابًا ولم يخطئ.

فالتصحيف: هو الخطأ في نقط حروف الكلمة، أو في شكل حركاتها، مع المحافظة على شكل الكلمة،وقالوا: المُصحِّف والصَّحَفِيّ: الذي يروي الخطأ عند قراءة الصحف بأشباه الحروف. وفي القاموس: الصَّحفي: الذي يخطئ في قراءة الصحف، والتصحيف: الخطأ في الصحيفة.

وصحَّفَ الكلمةَ: أخطأ في قراءتها وروايتها، أو حرَّفها عن موضعها. وتصحَّفَ القارئ أخطأ في القراءة.

ومن طرائف التصحيف في القرآن ما رواه النديم في كتابه، أنه كان شيخ يقرأ: «ولله ميزابُ السماواتِ والأرض»،فسمعه الرَّوَندي، فسأله عن معنى «ميزاب»، فقال الشيخ: هذا المطر الذي ترى،فقال له الروندي: ما يكون التصحيف إلا هذا! إنما هو﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، فقال الشيخ: اللهمَّ غُفرًا، أنا منذ أربعين سنة أقرؤها، وهي في مصحفي هكذا.

فسبب التصحيف تشابه الحروف،وهو مشكلة كبرى عانى منها القدماء قبل المحدثين، ولبسٌ أمثلته منتشرة في معظم كتب الأدب.

فالحروف: ب ت ث، ج ح خ، ف ق... وعدم تنقيطها تولد عندهم التصحيف،ولكثرة التصحيف فضلوا الأخذ عن أفواه الشيوخ لا من كتبهم خوفًا من اللبس،وقد عبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله:

من يأخذِ العلم عن شيخٍ مشافهــةً يكن عن الزيف والتصحيف في حَرَمِ
ومن يكن آخذًا للعلم من صحفٍ فعلمُه عند أهل العلم كالعَــــدَمِ

فأسرعوا بالضبط وإعجام الحروف بالنقط والشكل كي يزيلوا هذا الإبهام، وهم لم يكتفوا أحيانًا بالتنقيط، بل رأيناهم أحيانًا يكررون رسم الحروف القابل للتصحيف تحته أو فوقه بشكل أصغر، أو يضعون رموزًا أخرى تنبه القارئ على احتمال التصحيف.

وحين ازداد التصحيف والتحريف، ألفوا فيه كتبًا، من ذلك:

١- تصحيف العلماء، لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وهو مفقود لم يبق منه سوى اسمه.

٢- التنبيه على حدوث التصحيف،لحمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ)، مخطوط.

٣- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف.

٤- تصحيفات المحدِّثين، وكلاهما لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٨٢هـ)، وهما مطبوعان.

وكثير من الكتب توالى تأليفها عبر القرون.

والواقع أن العلماء كانوا يخلطون بين التصحيف والتحريف، أو يجمعونهما معًا في التأليف، فيختلط الأمر على المطالع.

وهذا يعني أن التصحيف لم يكن يقع من النساخ وحدهم، ولا من العامة بل إن التصحيف وقع به عدد من العلماء.

بل إن المؤلفين أحيانًا كانوا يتوهمون في قراءتهم وكتابتهم، أو يتسرعون في

تأليفهم، فيسهون عن نقط بعض الحروف أو عدم نقطها.

وقد يصحف الناسخ كلامًا، ولا سيما إذا كان جديدًا عليه، أو غير واضح في النسخة التي ينقل منها،وقد يقعون في تصحيف المصحَّف أيضًا،ولا يكشف التصحيف إلا خبير حصيف.

ولذا يفترض بالمحقق أن يدرس أسلوب خط المؤلف، وكيفية نقطه للحروف المعجمة، والمواضع التي يُنزل فيها الشكل،والمعروف أن الحركة يجب أن توضع تمامًا حيث يمكن وقوع اللبس في نطقها، لا قبلها، ولا بعدها.

والتصحيف علة في اللغة العربية دون غيرها من اللغات، والخطأ في النقط أكثر من الخطأ في الضبط،وهو شكل أدهى من التحريف نفسه،فقد يجد المحقق كلمة «قبل» من غير تنقيط، أو «عرنيب»، فعليه التحلي بالصبر أولًا، ثم يعمد إلى احتمالات التنقيط مع متابعة المعنى، مثل: قبل، قيل، فيل.. أو عربيب، عرنيب، غربيب.. فإذا ناسب المعنى في النص واحدة من المعجمات أثبتها، وذكر في الحاشية مكان التصحيف. ومثل ذلك: مزاح، مزاج، مراح..

فقد أورد ابن المعتز شاهدًا له في «فصول التماثيل في تباشير السرور» يقول:

أهلاً وسهلاً بالناي والعودِ وشربِ كأسٍ من يد معدودِ

ففي العجز تصحيف، والصواب هو: من كفٍّ مقدودِ[1]، فقد لاحظ محقق الكتاب أن «معدود» لا تتناسب والمعنى،ولعله توقف أولاً عند كسر البيت في لفظ «يد»، ثم تنبه إلى الكلمة التالية،وهذا يدل على حصافة المحقق وخبرته بالعروض وبتساوق المعنى.

---

(١) بينما رواية عجز البيت في ديوان ابن المعتز: ٢٢٠.
وكأسِ ساقٍ بالغصنِ مقدودِ

وقد يكون التصحيف عسيرًا جدًّا، ويحتاج إلى أناة وثقافة، وما كل المحققين يجمعون هذه الصفات معًا.

فقد لاحظ أحمد زكي في أثناء تحقيقه لكتاب «الأصنام» أن ياقوتًا أورد أبياتًا لأبي خِراشٍ الهذلي يمدح فيها دُبَيَّةَ السمليَّ آخر سَدَنة «العُزَّى»، ومنها:

يقابلُ جوعَهم بمكـــلاتٍ من القربيِّ يُرَعِّبُها الحميــلُ[1]

وتوقف عند تصحيف العجز الذي وقع محقق معجم البلدان[2]، فقال: والصواب هو:

من الفُرْنيِّ يَرْعَبُها الجميلُ[3]

فالتصحيف هنا في الشكل والنقط،وقال: لأن «الفرنيَّ»بالفاء هو اسم خبز غليظ مستدير، من باب النسبة إلى الفُرن،وقول الشاعر: «يرعَبُها الجميل» معناه أن المكلات ـ وهي الجفان ـ قد كللها الشحم وملأها؛ لأن «الحميل» هنا معناه الشحم والوَدَك.

فلم يتنبه محقق معجم البلدان إلى الضبط والإعجام، ولم يقابل ما أمامه بالمعنى. ولولا تثبت المحقق الأخير من وضع النقاط على الحروف -كما يقولون- لانساق مع تصحيف كتاب ياقوت.

على أن التصحيف في الأعلام أسهل من التصحيف في المفردات؛ لأن

---

(١) معجم البلدان -مادة العزى. ونقل أحمد زكي كلمة «القربيّ» مصحفة منه في الحاشية كذا: «القربَى».

(٢) اعلم أن أبيات الهذلي أغلب كلماتها مصحف. وشواهد معجم البلدان الشعرية في معظمها تصحيف فاحش.

(٣) الأصنام: ٢٣. ونشير إلى أن تاج العروس أورد البيت سليماً. ولعل أحمد زكي أفاد منه.

الترجمة تكشفه، كما بين الفالي والقالي، وبَشير وبُشير، وشَميم وشُميم.

ومن الطريف أن بعض الشعراء استخدم التصحيف في الهجاء، مما يدل على انتشاره بين العامة والخاصة، وشيوعه في الأوساط.

فقد هجا أبو نواس أبانًا اللاحقي، ومصحِّفًا باسمه، فقال[1]:

صَحَّفَــت أمُّك إذ سَمْــ	مَتْك في المهد أبانــــا
صَيَّرت «با» مكان «التْــ	تاء» تصحيفًا عِيانــــا
قد علمنا مــــا أرادت؛	لم تُرِدْ إلا «أتانــــا»

وقد ينقل الناسخ المشرقي مخطوطة مغربية، من غير أن يعرف رسم بعض حروفها وكيفية إعجامها،فهم يضعون نقطة واحدة للقاف من فوق، ونقطة واحدة للفاء من تحت، فيكتبون «الدَّورقي» مثلاً هكذا «الدورفي»، ويرسمون «من فوقهم» الفاء بنقطة تحتية، والقاف بنقطة فوقية.

ولا يجيد نسخ الكتب المغربية والأندلسية إلا المغاربة أنفسهم، أو المتمرسون من المشارقة،ولا نريد الخوضَ في المقارنة بين الألف باء المشرقية والألف باء المغربية، فحديثها يطول، وشرحها هنا يخرج عن الأصول، ولها وقفة أخرى.

لكن المهم أن هذه الألف باء تصعب على السادة المحققين، ويقفون دون هذه الحروف طويلاً،وبشيء من التدرب بالقراءة، ووضع جدول خاص برسم حروفهم وتنقيطها يحل لهم المشكلة.

وخط المغاربة منبثق عن الكوفي، والكوفيُّ في بدئه غير منقوط، وهم الذين اخترعوا تنقيطه في بلادهم النائية،ولهذا وجد هذا البون الشاسع بين الأقصَيَيْن.

---

(١) ديوان أبي نواس: ٥٣٩.

أما التحريف: فهو خطأ في هيئة الحروف، أو زيادة في الكلام الأصلي، أو نقص منه بسقوط قسم من كلام المؤلف، أو تبديل بعض كلماته وتغييرها.

وجاء في لسان العرب[١]: حرَّف الكلام: غَيَّره عن موضعه.

والتحريف في القرآن الكريم والكلمة: تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها.

وقد ورد «التحريف» في القرآن في أربعة مواضع، منها:

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦][٢] أي: يميلون عن مواضعه التي وضعها الله.

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥][٣]، أي يجعلونه يحتمل وجهين.

وكأني بالتحريف عن عمد والتصحيف عن خطأ،وهو كثير عند النساخ.

وقد يحصل التحريف من نقل خط إلى خط، أي من الكوفي مثلاً إلى النسخي أو إلى الديواني،أو عندما ينسخ الناسخ كتابًا قديمًا، كتب قبل أكثر من قرن أو قرنين، فيختلُّ معه جسم الحرف بين العصرين[٤].

كما قد يقع التحريف في تشابه رسم بعض الحروف، مثل «استظلَّ» فرسمها الناسخ «استكلَّ» لتشابه الكاف المائلة بألف الظاء المائلة بحسب الرسم الكوفي؛

(١) في مادة- حرف.

(٢) الآية: ٤٦/ النساء: ٤.

(٣) الآية: ٧٥/ البقرة: ٢.

(٤) انظر الورقة ١/ ٢١٧ السطر الرابع من تحت من مخطوطة الجوهرة، أو أي مخطوطة كوفية أو مغربية.

فهم يكتبون «عبد المطلب» مثل «المكلب»،وكذا الأمر بالعكس إذا كان يرسم بالخط الكوفي عن خط مخالف.

ومن أخطاء تحريفات الناسخين جهلهم ببعض رموز المؤلفين والخطاطين القدماء؛ فقد كانوا يرسمون رموزًا على بعض الحروف ليبينوا أنها مهملة، وأن هذا الحرف كذا،فيظن النساخ هذه الرموز تصويبات لكلام المؤلف، فينزلونها مكان الحرف، فينحرف اللفظ عن معناه،وهذا من عسير ما يقع به الناسخ،وأين هو المحقق الذي يستطيع إرجاع الحروف إلى أصلها، والكلمات إلى مواضعها؟

التحريف مِن موضوعات الخط العربي، والخطُّ العربي مرتبط بالمخطوطات ومازال لم يَلْقَ دراسة وافية،وهو بحث مهم في معرفة الخطوط، وتاريخ النسخ، وأشكال التحريف والتصحيف ومشكلاتها العديدة والعويصة.

«وقد تنبه القدماء (على قلة) إلى هذه المسألة، فأشاروا إليها إشارات خاطفة كما في أدب الكاتب لابن قتيبة، والألفاظ الكتابية لابن دُرُسْتويه، وصبح الأعشى للقلقشندي،كما نبه إليها بعض علماء الاستشراق من أمثال «موريتز- Moritz» و«هوداس- Houdas»، ومن (المحدثين) العرب حفني ناصف في كتابه « تاريخ الأدب» أو «حياة اللغة العربية»، ثم عبد الفتاح عُبادة في كتابه «انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي»[1]، غير أن مجمل ما قالوه لا يشفي الغليل في خدمة تحقيق النصوص، وتلافي التصحيف والتحريف.

٩- كساد سوق المخطوطات:

لو وزن ما ذكرناه من مصائب بالقسطاس، لرجحت كِفة كساد سوق المخطوطات فمنذ قرابة عشرين عامًا أخذ ألق نشر المخطوطات يخبو،ربما كسدت

---

(١) المنهاج: ١٨٠.

سوق الكتب بشكل عام، وعزف المثقفون عن شراء الكتب وتأسيس المكتبات الخاصة، منذ هاجمتنا حضارة الاتصالات الغربية،فترى الفتى أو الفتاة يحمل بيده الهاتف النقال (ونسميه الشيطان)، بعد أن كانا يتزينان بحمل الكتب.

كيف يخرج الشاب وليس في يده كتاب؟ كيف تزور الصبية صديقتها من غير أن تتأبط الكتاب؟ ولا بد من أن يتسوق الرجل بعض الكتب،وفي مطلع كل شهر يقدم المعلمون والموظفون على شراء الكتب، ويتباهون بما اشتروا.

كان الأب يشتري قصص الأطفال لأولاده حتى يثقفهم ويعلمهم قيمة الكتاب في الحياة... حتى يؤسسوا لأنفسهم مكتبة صغيرة خاصة؛ تكون عونًا لهم على خوض مضمار الحياة،كان الناس يتهادون الكتب الثمينة بالمناسبات، ويزورون معارض المكتبات.. ويحملون.

إلى أن ظهر هذا الجهاز القاتم الزاهي الصور، وهو التلفاز، فألهى نصف الأسرة عن المطالعة،وإلى أن ظهر هذا الشيطان الذي غدا مفخرة الشباب، ومسند أيديهم في مجالسهم ومماشِهم أنهى كل شيء مرتبط بالكتاب،وتحول حديثهم من طه حسين وجبران والرافعي والكواكبي.. إلى ما يشاهدونه من لذائذ المشاهد في الانترنيت، وصارت أجيال الهواتف منطلق أحاديثهم ومفتخراتهم،حتى المكتبات تقلصت، وقل روادُها، وتحول بعضها إلى معرض شاشات الكمبيوتر، وتحولت نوافذها العارضة إلى هذه الهواتف النقالة المتطورة اللمَّاعة.

ولئن حلت المصيبة بالكتاب بعامة، لقد كانت الداهية القاصمة في الكتاب المحقق؛ فقد عزف الناشر عن نشر الكتب الخطية المحققة، وتحوَّلت المراكز والمؤسسات التي تعنى بنشر المخطوطات إلى مؤسسات إدارية بحتة، تتبجَّجُ بالحديث عن المخطوطات ولا تفعل، تزين أرفف مكتباتها بما قد نشر، ولا تقدم على النشر.

وتوقف معين المحقق، فجفت عروق أنامله وتعطلت عن العمل،حتى الناشر الذي كان يتباهى بنشر الكتب المحققة، صار يرجو الأدباء ألا يقدموا له كتبًا تراثية حتى لا يخجلهم بعدم نشرها.. روايات جنسية، كتب سياسية، كتب متطرفة دينية أو لا دينية لا مانع.. يمكن أن تلقى لها شاريًا.. أما التراث فلا يوجد له سوق.

حتى المعارض الكبرى للكتب، إن جال بها الزائر (لا الشاري) يرى ألوانًا زاهية من الكتب من غير مضمون، يرى الحداثة ولا يرى التراث.

لقد زال ألق جيل فحول المحققين، والتفت تلامذتهم عن مسارِهم إلى مسارات أخرى، ربما حتى عن مسار التعامل مع الكتاب نفسه.

لقد كان علماؤنا الأقدمون يشكون سوء كساد العلم، فنعزو شكواهم هذه إلى كثرة طموحاتهم، وضيق نفوسهم من الأمراء المقصرين عليهم، أو مبالغاتهم في وصف كساد سوقهم،حتى ابتلينا بأضعاف ما كانوا يشكون منه.

وتذكرنا كتب تاريخ الأدب كم من الشعراء كانوا فقراء؟ وكم من السادة العلماء والأدباء لا يملكون قوت يومهم،وهذا الجاحظ مفخرة العرب كان يبيع السمك المشوي حتى يعيش وذاك صار حماميًّا، وذاك غزَّالًا، وآخر طباخًا، وآخر بائعًا متجولًا (الوأواء)، وشاع قولهم: «فلان أصابته حرفة الأدب»، وقولهم: «خبز وماء طعام العلماء».

وقد بقي قليل نادر من طلاب الدراسات العليا يقبلون على تحقيق المخطوط في رسائلهم، لا حبًّا بالمخطوطات، ولكن لجفاف أدمغتهم وأدمغة أساتذتهم عن ابتكار الموضوعات الجديدة،وكان الأستاذ يقول لتلميذه بكل بساطة وعجز: إذا لم تجد موضوعًا تشتغل به، فابحث عن مخطوطة تحققها! ويقبل التلميذ العرض

وهو يعلم أن سنواته ستضيع هباءً؛ لأن ما يحققه سيبقى معدوم الحياة.. وكأنه لم يحيِ موات التراث!

وزاد الطين بلة تهاونُ بعض المشرفين، بموافقتهم على رسائل لمخطوطات من أعصر متأخرة، وهم يعلمون أن علومها مجمَّدة، ونتائجها غير محمَّدة.

وأحجم كبار الناشرين عن نشر كتب كبار المحققين، من غير سبب سوى كساد سوق التراث،وأذكر أن ناشرًا صديقًا لي في إحدى دول الخليج، حين عرضتُ عليه واحدة من المخطوطات الثمينة المحققة كتب إلي: أعتذر عن عدم نشرها يا صديقي، ومستعد لنشر أي كتاب آخر.

إن كساد سوق طبع التراث وإحجام المؤسسات التخصصية الحكومية، وإحجام كبريات دور النشر، وحتى توقف المستشرقين عن نشر التراث -في رأيي- مصيبة المصائب،وصار علينا أن نُحيي العقول النيرة، ونغرس في أصحابها حب الكتاب، وعشق التراث، حتى نعيد صفحات أمجادنا إلى الوجود... فوا مصيبتاه!

إن جائحة الجهل في الأرض العربية أقسى من انتشار الطاعون، ومن هجمات الجراد.. وليتَ المعنيين يعون ما يتألم له المحققون.

* * *

الفصل الخامس

المحقق والتحقيق

في ميدان التحقيق نحن أمام ثلاثة رجال؛ أولهم هو المؤلف، ولولا وجوده لما برز الرجلان الآخران،فهو الرجل العالم الذي قدَّم للبشرية جمعاء عصارة تفكيره وابتكاره بكتاب أو بعشرات الكتب،وعلى قدر علمه وفضله يبرز الرجلان الآخران.

والرجل الثاني هو الناسخ الذي يتتبع الكتب القيمة، فينسخها على حسب طلبها،وقد يكون الناسخ معاصرًا أو متأخرًا،والناسخ هو الذي يُبرز الكتب، ويبذلها للقراء على شتى مستوياتهم.

أما الرجل الثالث فهو المحقق الذي يتعهد خدمة الكتاب التراثي؛ ليظهره بالقالب المعاصر، تمامًا لو كان المؤلف حيًّا في هذا الزمان،وهو يستفيد من فضل الناسخ الذي هيأ له النسخة التي سيشتغل عليها.

والمحقق اثنان: عالم جليل لا يقل علماً عن المؤلف نفسه، وهو في كثير من الأحيان أرفع مقامًا من المؤلف نفسه،والمحقق الآخر هو الجاهل المتنطع الذي يسعى إلى الظهور من وراء تحقيق الكتب.

المحقق:

هو الرجل العالم المثقف ثقافةً عالية، والمتضلع من عدد من العلوم والمعارف، والذي يسعى إلى نشر الكتاب التراثي، ويحيطه بما آتاه الله من المعرفة والصبر.

ولا يكون المحقق متمكنًا من عمله إلا إذا سبق أن درس وتخصص وتأدب على أدباء عظام في الجامعات أو في الحياة،ودرج في عالم التأليف والنشر، واستوعب تاريخ الأدب وتاريخ العلوم، وأثبتَ جدارة كبيرة في تفهم الحياة الأدبية.

بمعنى أن التحقيق يستند إلى الأدب، ولكنه ليس مرحلة أعلى؛ فكثير من أعلام الأدب والعلم، بلغوا مراحل سامية في إنتاجهم الفكري والعلمي، ولم يخوضوا بحار التحقيق،وإن كانت مرتبتهم الرفيعة هذه تسهِّل عليهم هذا الميدان مثل عمر فروخ وصبحي الصالح والرافعي.

صفات المحقق:

هو الرجل العالم المتفرغ لعلمه التحقيقيِّ الرصين، والذي يأخذ من عمره مَدَدًا، ومن بصره نورًا، ومن أيامه أحلاها، ومن ساعاته أهمَّها.

هو الذي وهب وقته وماله في معايشة نسخة خطية، يحاول من خلال مجهوده ومما آتاه الله من صبر وحكمة أن ينقذ إحدى المخطوطات من سجنها، ويحررها من ربقة الإهمال، ويريها النور الذي حُرمت منه مئاتِ السنين، غيرةً منه على تراث أجداد أمته الثمين.

وتراه يغرق في متاهات الظلام والعناء؛ ليشدَّ المخطوطة من غرق القرون، ويحط بها على شاطئ المعرفة لأجياله الحاضرة والمستقبلية ويتيه بين ورقات صفراء عفّى عليها الزمان، مكتوبة برعاف حبر أجداده الأسود، أو بورقات سوداءَ مصورةٍ كلماتُها بالبياض (حسب نوع التصوير)، ويشتغل فيها حرفًا حرفًا، وكلمة كلمة، فيفكُّ رموزها، ويحل أغلال غامضها.

ولو شئنا أن نعدد بعض صفات المحقق العالم لعجز قلمنا عن الوصف،لكن

البحث يقتضي أن نذكر جانبًا من هذه الصفات:

١- **الصبر**: هو صفة عامة وهامة لكل من يجتهد في عمله، أيًّا كان هذا العمل. والصبر مرٌّ حنظلٌ أولُه، وحلو عسل آخره،لكن صبر المحقق عظيم وعنيد؛ لأنه قد يفقد به بعض صحته وكثيرًا من نور بصره،فقد يُمضي ساعة من الزمان كي يتمكن من قراءة كلمة مطموسة، أو بحثًا عن معنى لكلمة عويصة في المعجمات القديمة، أو متابعة لعلم نصف مجهول.

ومن دون هذا الصبر لا يتمكن من فهم معنى جملة غامضة، أو حرف أكلته العثَّة أو قضمت نقطته، أو كلمة ساقطة.

وقد يسخر أحدهم منه لإضاعته الوقت في تفاهات الأمور حسب ظنِّه، وعلى حدِّ تفكيره القاصر،ولو أنه أمضى هذا الوقت الثمين في عمل آخر لغنم مالًا كثيرًا،لكن ما يفكر به المحقق يختلف تمامًا عما يدّعيه الآخرون.

لكن الصبر وحده لا يكفيه، بل يحتاج إلى التحلي بالأناة؛ حتى كأن يطعِّم ميناءً مطبوخًا بفسيفساء خبرته؛ لأن أي خطأ يحسب عليه، والنقاد المتصيدون كثير، وإن أي حسنة في المخطوطة يحسبها له المحبون عشر حسنات،وبالصبر والأناة يظفر بما يسعده، وينال ما ينشُدُه.

فالصبر الأساس الأول في تحقيق النصوص، ومن لا صبر له لا نجاح له، وبلوغ الأماني لا يأتي إلا بالصبر.

٢- **العزلة**: هي صفة لا يكاد يحسنها كلُّ محقق،ولا أعني بالعزلة عزلة المتصوفة التي يسمونها الخلوة، حيث يقيمون أربعين يومًا محرومين من نور الشمس أو الشمع يمضونها في العبادة،بل أعني التفرغ الكامل للمخطوطة.

فهو سيخلو إلى نفسه مع هذه الورقات، بعيدًا عن لذة ضجيج الأولاد

والأحفاد، وعن متعة محادثة الحليلة ومجالستها، وعن لقاء الأصحاب والأحبة. وسيتنازل كذلك عن لذائذ العيش إلا بما يسدُّ الرمق من غير نفور أو تأفف ونزَق.

وسيبتعد عن كل ما يلهيه من وسائل الإعلام والاتصال كالراديو والتلفزيون والهاتف ما دام قابعًا في مكتبته وأمامه العُهدة التي عاهد نفسه على إنجازها،فإن توقف عن العمل بعد عناء وملالة فله أن يريح نفسه بما يحب، ويتصل بمن يحب.

٣- الأمانة: الأمانة عهدة غالية، يجب أن تردَّ إلى أصحابها من غير عبث أو انتقاص،والمخطوطة التي يعمل بها المحقق أمانة في عنقه، ولا يجوز له أن يُنقص منها شيئًا، ولا يزيد فيها ما ليس له.

وما دام المحقق أعدَّ نفسه للعمل بها فعليه ألا يهملها، وأن يراعيها حق المراعاة، ويجعل همه ووكدَهُ الحفاظ عليها،ولا يتم هذا له إلا إذا قرأها وأقرأَها، وضبطها، وعلق عليها بكل إخلاص،ومثله مثل الوصي على اليتيم، يجوز له أن ينميَ ماله، ولكن لا يجوز له أن يتصرف به، ولا أن ينقص منه.

٤- النأي عن الهوى: هي صفة غالية، والعالم العالم هو الذي يترفع عن الميل وعن الهوى،ومثلُ هذا النأي من شيم العلماء والعظام.

ونرى بعضهم يُقحمون آراءهم في النص مذهبيًّا، بأن يحذف من النص ما لا يراه، ويضيف عليه ما ليس فيه،وهذا التصرف من قبل بعضهم يدل على خيانة الأمانة، والتلاعب المخادع لآراء الآخرين. إذ إنه لا يحق له أن يجعل المؤلف المسيحي مسلمًا، ولا الشيعي سنيًّا مثلاً.

وللمحقق أن ينتقد المؤلف في المقدمة على رأيه، وعلى مذهبه، وعلى كل ما

يريد، ولكن لا يجوز له أن يتلاعب بكلمة واحدة من النص،فالعالم ليس خائنًا ولا يمكن أن يكون، والعالم ليس سارقًا، ولا يمكن أن يكون.

وما ذكرناه هنا إشارة لتصرف بعض الناشئة المتهورين في ميدان التحقيق المشرِّف،وكنا أشرنا في مكان آخر من الكتاب جانبًا من تصرف بعض المحققين بإدخال أهوائهم في ما لا يحق لهم ذلك.

٥- **الكرم**: هي صفة مهمة جدًّا مما يحسُن أن يتصف به المحقق،والكرم الذي أعنيه ليس بالولائم، ولا بتوزيع الأموال والسخاء به على الآخرين إنما الكرم هنا متعدد الجوانب والأطراف.. يتكرم المحقق العالم بوقته الثمين جدًّا لنقد النص وإخراجه، يتكرم بالمال لتأمين مراجعه التي تخدمه في إبراز المخطوطة التي يدرسها، وبالورق الذي يكتب به، وبأنواع الأقلام والأدوات الأخرى؛ فلا يضغط على الأسطر ويلزّ الكلمات ليوفر بالصفحة سطرًا أو سطرين، ولا يكتب على الطرف الآخر من الورق أو على البطاقات،فما يوفره هنا لا يعدو أن يكون قروشًا زهيدة.

يتكرم على المخطوطة بعمله؛ فبين الإقدام والإحجام، بين الهمة والتواني ساعات ليس غير، وجهد يحمد عقباه، هذا هو كرم العلماء.. كرم العطاء مما منحهم الله من معلومات ليبذلوها قدر طاقتهم، لا ليدفنوها بين أضلاعهم، فيحرموا القارئ المتعطش إلى إشارة خاطفة منهم.

وليعذرنا السادة المحققون على حديثنا النابع من القلب، وهم ليسوا المعنيين حتمًا، إنما المعنيون قلة لا تحترم النص ولا تمنحه حقه،فمن يحب عمله يخلص له، ومن يخلص لشيء يعمل كل مستحيل لرفع شأنه.

* * *

مهمة المحقق

تمهيد

هي مهمة نبيلة جدًّا؛ لأنه يخرج التراث من الظلام إلى النور،وهو الذي يصقل معدن المعرفة ويُذهبه،وهو العقل المدبر أمرَه في نشر أوراق العلم المخبوء والمعرفة المطويَّة؛ ليقدمها سهلة طيِّعة مستساغة، وكأنها الماء الزلال يرتوي به عشاق المعرفة.

هي حرفة ثمينة مهمتها مسح غبار النسيان عن تراث الأعيان، مهمة صادقة الوجدان تعمل فيها الأنامل وإشراقات العقول.

وتنحصر مهمة المحقق العلمية في إخراج المخطوطة بشكل يُرضي المؤلف الأصلي القديم، بشكل لو أنه كان حيًّا لقام بمستلزمات تحقيقه، وتحليله، ووضع حواشيه الضرورية، وتعليقه بشكل يناسب العصر الذي نحن فيه، تمامًا كما يفعل أدباؤنا وعلماؤنا اليوم في نشر مؤلفاتهم.

فما كتبه الجاحظ، وثعلب، والمبرد، وأبو الفرج كان يناسب كل واحد منهم حسب عصره،وجاحظ اليوم غير غافل عما يلزم عصرنا، ولا الفارق بين ثلاثة عشر قرنًا واليوم.

فمهمة المحقق اليوم إعادة إخراج مظهر الكتاب بما يناسب عصرنا،وليس ببعيد أن يأتي يوم تتغير فيه مفاهيم التأليف، وتصبح مؤلفاتنا بحاجة إلى من يعيد إخراجها من جديد، تَبَعًا لحاجة جيل الزمان الآتي.

فالمحقق لا يمتلك الكتاب حتى يتصرف بمحتواه وإنه يتناول النص مكتوبًا من صفحة التاريخ ليقدمه لنا مطبوعًا مقروءًا، مشكولًا بما تسهل

قراءته، وموثَّقًا لنصوصه، وموثِّقًا لشواهده القرآنية والشعرية،وبمعنى دقيق: **يعتني بالنص عناية فائقة من شرح، وتعليق، وتعريف.**

ونعتقد أنّ المؤلف لو عاصرنا، سيفعل أكثر مما يفعل المحقق،بل إن بعض المؤلفين سيدهشون مما يقوم به بعض المحققين، وسيشكرونهم، ونحن واثقون من أن عددًا من المحققين الأساتذة أعلى مقامًا من المؤلفين الذين يُخرجون كتبهم،وهذه هي مهمة إحياء التراث.

كما تنحصر مهمة المحقق بذكر ما يراه ضروريًا، سواء ما ناسب العصر أو أن المؤلف قصَّر في خدمة كتابه، ومثل هذا كثير،لكن الإصابة لا تكون إلا في الحاشية،ولكن قبل كل شيء يحدد المخطوطة التي سيحققها.

وإن البحث عن مخطوطة تستهوي المحقق عسير، وأحيانًا يكون البحث شبه عقيم؛ إذ ما كل مخطوطة تحقق، وما كل محقق ينشغل بتحقيق مخطوطة تقع تحت يده،فالمخطوطة التي تستحق التحقيق ذات شروط،وقد يكون للمحقق ميل إلى نوع دون آخر، وهذا حقه وخير للعلم؛ إذ لا بد أن تكون من دائرة اختصاصه ومما يرغب فيه، ويرى فيها إمكانية للعمل والإبراز.

وإذا كان المحقق طالبًا بالدراسات العليا، يُفرض عليه موضوع معين، وعدد أوراق محددة، وشروط أخرى تستوجبها الجامعة.

فإذا ظفر المحقق بنسخة ما، متكاملة الشروط، وموضوعها مناسبًا لعلمه وطموحه، أقدم عليها بشوق ومتعة،وإذا كانت صفة البكرية واجبة في البحث، فإن كمال المخطوطة وعدم تشوّهها هو الأساس أيضًا.

ومع صعوبة العثور على المخطوطة أحيانًا، فإن الأمر يظل سهلًا؛ فخزائن المخطوطات في العالم حافلة، تنتظر من يتناول واحدة، والمراسلات سهلة أيضًا

على ما سترى.

ونصح المحقق الحديث الخبرة بعدم إقدامه على مخطوطة كبيرة أو عسيرة الخط، أو صعبة الموضوع، أو كانت من غير اختصاصه؛ فهذا يجره إلى الوقوع في المتاهات والعثرات، ويُربكه في خطواته.

فالجديد يختار ما يناسبه، حتى إذا جرب وخَبر فلا مانع من أن يغامر في النسخة الأصعب، **فالتجربة مدرسة المحققين الأولى والأخيرة.**

وهناك خطوات عديدة يجب متابعتها، أهمها:

١- مرحلة ما قبل البدء بالعمل.

٢- مرحلة العمل بالمخطوطة.

قبل البدء بالتحقيق:

قبل أن يبدأ المحقق بالتحقيق، عليه أن يثقف نفسه بما يساعده على فهم الكتاب؛ لأنه يعلم أن لكل مخطوطة ثقافة مناسبة، ثم يستعد للتحلي بالصفات التي ذكرنا ضرورة أن يتحلى بها المحقق، وأن يُقبل على عمله بحب وإخلاص. وإذا كان عمله هذا الأول في ميدان التحقيق فليطلع على بعض الأعمال المحققة لأعلام خاضوا هذا المضمار؛ فخبرة القدماء مدرسة عالية الثقافة.

وعليه في البدء أن يجرب نسخَ عدة ورقات من نسخ مختلفة الخطوط، حتى يدرب بصره وبصيرته وقلمه على العمل،وإذا كان لمؤلف المخطوطة كتاب مطبوع رجع إليه ليتعرف إلى أسلوبه ومنهجه في التأليف،فهذا يعينه كثيرًا على تذليل الصعاب التي قد تعترضه في المخطوطة التي يزمع تحقيقها.

ويقرأ المخطوطة قراءة أَولى ليكشف طريقة الكتابة، وميزة الناسخ أو

المؤلف في رسم الحروف،وإذا وجد الأمر عسيرًا عزف عن المتابعة قبل الخوض، فهذا أسلم له وللمخطوطة،ولا يجوز أن يتابع مكرهًا حتى لا يوصف بالتقصير ولكن إذا كان صاحب عزم وصبر، ومصمماً بأن يبلغ الكمال، ويريد مخطوطة تناسبه، فننصحه بأن يتبع مجموعة خطوات، هي -وإن كانت كثيرة- تساعده في تخطي الصعاب، وتسرِّع في إنجاز مهمته.

ومهمته الأساسية هي البحث عن مخطوطة بعينها، ويتساءل: هل هي موجودة؟ وفي أي المكتبات في العالم؟ ولعله يبحث أولاً إذا كانت مطبوعة أو غير مطبوعة،فإن عثر عليها مطبوعة فلا ييأس، بل يقرأ مقدمة محققها، فإن كانت كاملة التحقيق مخدومة علميًّا عزف عنها وبحث عن أخرى غيرها.

وإن كانت الطبعة ناقصة، وأشار المحقق إلى نسخ أخرى لها، لكنه استصعب الوصول إليها، أو رأى أن المخطوطة غير محشاة وفيها ثغرات، وأحسَّ بقصور المحقق الأول لها نصحناه بإعادة تحقيقها، فيجمع نسخها كلها، ويعتبر المطبوعة واحدة من النسخ التي سيقابل عليها وينتقدها،وله عندئذ أن يرمز لها بحرف خاص مثل (ط) كما فعل خير الدين الزركلي في أعلامه، أو يقول في الحاشية: «وفي المطبوعة».

عارفو الكتب:

وننصحه كذلك بالرجوع إلى خبراء الكتب المطبوعة،ويسمى الواحد من هؤلاء (الخبراء) بلفظ عربي، واستخدام عثماني وإيراني هو «عارفِ كتاب»، وهم كثيرون في المكتبات العامة من الموظفين العريقين في خدمة الكتب.

وقد كان «الشيخ يونس» في دار الكتب بحلب خير خبير فيها، وكنا نسأله فيجيب على البديهة إذا كان الكتاب التراثي مطبوعًا وأين طبع، وهل هو موجود

في الدار أو لا، وكنا نبحث عن عارفي الكتاب حيث كنا في البلاد.

وهناك علماء معروفون في الآستانة، وفي إيران، وفي دار الكتب المصرية،وكان شيخنا يحثنا على الاتصال بهم إذا حَزَبنا أمر كتاب، ويقول: هي هبة ربانية، يوصف بها فئران الكتب المحبون للمطالعة واقتناء الكتب.

وذكر شيخنا أن في مصر محمد محمود شاكر والطناحي، وفي الشام صلاح كزارة ومروان العطية، وبعض موظفي معهد المخطوطات[1].

ولا شك أن بعض المكتبات الوطنية والجامعات تفتقر إلى مثل هذه الخبرة،ومن المفروض أن يكون في المكتبات مسؤول بصير يقدم العون للباحثين ولطلاب الدراسات العليا في مجالات البحث والتحقيق،وهو الذي يسهِّل لهم التواصل مع المؤسسات الثقافية والمكتبات العالمية.

وبعد أن يُتم اتصاله بعارفي الكتب، إن تيسَّر له، يعود إلى التنقيب والبحث عن بغيته في ما ندعوه بـ:

دليل المطبوعات للمحقق والذي يتمثل في:

١- **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**: جمعه المستشرق «إدوارد فنديك»، وما أضاف عليه محمد علي الجبلاوي، وطبعه في القاهرة ١٨٩٨م،وهذا يدل على الكتب المطبوعة في عصر متقدم، ولم يكن التحقيق قد نضج بعد.

٢- **معجم المطبوعات**: ليوسف إليان سركيس، في أحد عشر جزءًا بمجلدين ضخمين، وطبع في القاهرة ١٩٢٨م.

٣- رسالة ماجستير لعائدة إبراهيم نصير، ونشرتها عام ١٩٦٦م، واستكملت

---

(١) من إحدى محاضرات الشيخ في معهد التراث بحلب في ثمانينات القرن الماضي.

فيها المعجم السابق وزادت عليه.

٤- **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، وهو يخدم الباحثين حتى عام ١٩٦٧م.

فهو يذكر مؤلفات العالم المشهورة، وأحيانًا يضيف الحرف خ بعد اسم الكتاب المخطوط، أو يضع الحرف ع للمطبوع، فهو حين يعرف بمنصور السمعاني (ت ٤٨٩هـ) يذكر اسم كتابه «تفسير السمعاني» خ ثلاث مجلدات، و«القواطع» (خ)، وحين يعرف بأختري مصطفى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ) ويذكر اسم معجمه التركي العربي واسمه «أختري كبير» يضع الحرف (ط) أي مطبوع.

وقد لا يكتفي الزركلي بذكر الكتاب أنه مخطوط، بل يحدد مكان وجوده؛ فللأختري «مختصر في اللغة» فيقول: «مرتب على الأسلوب الحديث، رأيته في الفاتيكان» أي فيه نسخة خطية.

ونحن –معشر المحققين– نعتمد الزركلي ثقة ومهمًا حتى عام ١٩٦٧–١٩٦٨م، تاريخ صدور الطبعة الثالثة.

٥- **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحالة،وهو نافع لكنه دون كتاب الأعلام.

٦- فهارس الكتب المطبوعة في دور الكتب الوطنية، مثل دار الكتب المصرية، ومكتبة الأسد بدمشق، وغيرهما.

٧- قوائم الكتب المطبوعة في دور النشر العربية والإسلامية،ولم يعد الأمر صعبًا؛ فإن جهاز الحاسوب يخدم الباحث كثيرًا؛ لأن دور النشر كلها تذكر أسماء مطبوعاتها وسنة النشر.

فإن لم يجده مطبوعًا، شكر الله، وشَحَذَ الهمة للبحث عن المخطوطة في:

دليل الكتب الخطية، والذي يتمثل فيما يلي، مرتبة بحسب الأهمية:

١- **تاريخ الأدب العربي**: تأليف بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م)، وهو أوسع كتاب في عالم المخطوطات،وقد طبع كتابه بالألمانية عام ١٨٩٨م بجزءين، ثم ذيَّلهما بجزءين ملحقين عام ١٩٣٧م،ثم نقح كتابه وأضاف عليه وأعاد طبعه بين ١٩٤٣- ١٩٤٩م.

وجاءت خطته بأن يذكر المخطوطة بالأحرف اللاتينية، ثم اسم مؤلفها، ومواقع وجودها في مكتبات العالم، ورقمها الخاص بها،وقد يضيف بعض المعلومات المفيدة للمحقق.

وقد كان البحث فيه صعبًا؛ لأنه مكتوب الألمانية،لكن عبد الحليم النجار ترجم قسماً منه وطبعه بمصر بين ١٩٦٢- ١٩٦٤م،وأكمل الترجمةَ والنشر يعقوب بكر وعبد التوَّاب بين ١٩٧٥- ١٩٧٧م.

٢- **تاريخ التراث العربي**: لفؤاد سيزكين،وكتابه استكمال لعمل بروكلمان الناقص،وهو في عشرين جزءًا صدر بالألمانية عام ١٩٧٧م،وقد اشتغل فيه سيزكين بضع سنوات في معهد التراث العربي بحلب،وتُرجم منه أجزاء عديدة، وربما صدر كاملاً، أو في طريقه إلى الكمال.

٣- **فهارس خزائن المخطوطات** في العالم، ومع صعوبة الوصول إليها فإن الكتابين السابقين يسهلان على المحقق كثيرًا من العناء، إضافة إلى دار الكتب المصرية، ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ومكتبة الإسكندرية الحديثة، ومعهد التراث بحلب ويضم معظم فهارس المخطوطات، وهي مبذولة للسادة المحققين والباحثين.

وللعلم فإن مجموعة خزائن العالم تقدر بأربع مئة خزانة، معظمها في

مكتبات أوروبة، وأقلها في البلاد العربية،وحين نقول: خزانة نعني: قاعة كبيرة مجهزة للمطالعة، فيها هذه الخزانة وجميع مستلزمات القراءة.

٤- **دليل الباحث في التراث العربي**: تأليف بسام الجابي،وقد جمع في دليله أسماء مكتبات العالم التي تختزن المخطوطات، مع ذكر اسم المكتبة بالعربية وبالأجنبية، وختمها بعنوان كل مكتبة لمن يرغب بمراسلتها.

٥- **المجلات** التي تعنى بالمخطوطات وبمكانها، ومضمونها،وهي أكثر من ستين مجلة في العالم.

٦- ولعل أهمَّ الفهارس وأكثرها فائدة وتنظيماً، والتي تسهل العمل للباحثين عن المخطوطات هو الفهرس الكبير لدار الكتب البروسية في برلين، والذي أعَدَّه «و. أهلورد - W.Ahlwardt» والمطبوع بعشر مجلدات،ونذكر للسادة المحققين عنوانه للمراسلة:

Verzeichniss der Arabichen Handschriftender Koniglischen Bibliotek zu Berlin.Bd,110-‹Bearlin‹1887- 1889.[1]

فإذا عثر المحقق على بغيته، فعليه أن يكون دقيقًا جدًّا في نقل اسم الكتاب، واسم مؤلفه، واسم المكتبة الحافظة، ورقمه (حسب وروده في المصدر)، ويفعل الأمر نفسه إذا عثر على أكثر من نسخة.

وعليه أن يجمع النسخ كلها ولا يدع واحدة؛ فقد تكون هذه الواحدة مهمة،ثم يبدأ بمراسلة المكتبات المعنية، ويبدي للمسؤول رغبته بالحصول على نسخة من المخطوطة المذكورة (ويذكر له اسمها واسم مؤلفها ورقمها عندهم).

---

(١) المنهاج: ١٦٠- ١٥٣.

ولكل مكتبة شروط وقواعد على المحقق مراعاتها، علمًا أنها كلها تستجيب للطلبات، على أساس تحويل القيمة التي سيحددونها، ولكنه سيلقى عنتًا من المكتبات العثمانية؛ فقلما يتجاوبون مع الأفراد،إضافة إلى أن بعض المكتبات التركية غير دقيقة في تدوين الأسماء والأرقام،كما أن بعض أرقام المخطوطات وأرقام المطبوعات تداخلت فيما بينها في بطاقاتها،وقد حصل مثل هذا بدار الكتب المصرية على قلة.

وهذا خطأ طبعًا؛ لأن فهارس المخطوطات وبطاقاتها يجب أن تختلف كليًّا عن فهارس وبطاقات الكتب المطبوعة،والبطاقات عادة مقسمة إلى الموضوعات: تاريخية، لغوية، فلسفية، أدبية، علمية...

وبشكل عام فإن كثرة الطلبات على التصوير، وحرص المكتبات على النسخ الخطية من الوقوع بالعبث أو التجارة، فإن المكتبات اشترطت أن يكون ذلك باسم محقق كبير، أو عن طريق الجامعة مع توقيع المشرف على الطلب.

كما تشترط بعض المكتبات الخطية أن يتمَّ نشر المخطوطة المطلوبة في زمن هم يحددونه، وفي حال تأخر المحقق عن المدة المعنية باعوها لطالب آخر؛ لأنهم يحبسون المخطوطة لصالح الطالب الأول ضمن هذه المدة،وهذا فضل عظيم لصالح المحقق الجادّ.

البدء بالعمل:

حيث تصل النسخ الخطية إلى المحقق، يبدأ في المرحلة الثانية من العمل، بأن يتفحص مضمون المخطوطة ومدى قدرته على نقدها وتحقيقها وإبرازها.

ويجب أن يتأكد من أن النسخ التي وصلت إليه كلها تحمل اسم المخطوطة المعنية، وأذكرُ أن زميلاً لي طلب نسخة من إحدى المخطوطات المحفوظة بدار

الكتب المصرية، فأخطأ برقم واحد؛ فجاءته غير التي أراد، ودفع ثمنها وأضاع وقتاً طويلاً في المراسلة.

وحين استعراض النسخ قد يجد المحقق نسختين متطابقتين تمامًا، فيعلم أن المكتبة تحتفظ بنسختين، فأرسلتهما بناء على طلبه،فيستبعد واحدة، ويذكر ذلك في المقدمة، حتى لا يتهمه ناقد بالتقصير،وقد تصل إليه المخطوطات على الميكرو فيلم، أو مصورة على ورقات بحجم الكتاب الأصلي،وهذه أفضل له في العمل من الميكرو فيلم.

وبعد أن يستقر رأي المحقق على النسخة التي سيعتمدها أساسًا لعمله، عليه أن يقلب الورقات خشية أن تكون إحدى الورقات نقلت خطأً إلى غير موضعها، ولا سيما إذا كانت النسخة غير مرقمة ولا مجلدة، كما حصل مع شيخنا في تحقيقه لكتاب «الجوهرة»،ثم تلافى ذلك في الطبعة الثانية من الكتاب، بعد أن نبهه إلى خطئه أحد النقاد،وكاتبَ من أهداهم من الطبعة الأولى، وبيَّنَ لهم موضع زحف الورقة، والموضع الذي يجب أن تكون.

وبعد ذلك يباشر المحقق بنسخ المخطوطة الأم،وقد يعاني من جهل الناسخ الذي يشوّه النثر والشعر، فيتساهل معه بتصويب النص، على أن يشير إلى قصور الناسخ لا المؤلف في الحاشية، ويذكر مواضع التشويه.

وعندما يُجري المحقق مقارنة النسخة الأم بإحدى النسخ الفرعية، ويجد في النسخة الأخرى جملة لم ترد في النسخة الأم، أو شاهدًا ضروريًّا، يعلم أن الناسخ أسقطها عمدًا أو سقطت منه سهوًا، فيمكنه إنزالها في مكانها من النسخة المعتمدة في التحقيق بين هلالين (...)، ويشير إلى ذلك في الحاشية،وقد يجد المحقق هذه الإضافة مذكورة في نسخة ثانية، فيذكر المحقق في الحاشية: «إضافة من النسخة كذا والنسخة كذا» بشكل موجز جدًّا، وعن طريق الرموز.

وإن وجد المحقق أن هذه الإضافة لا تخدم النص، أو أنها خارجة عنه، اعتبرها مقحمة في تلك النسخة، واكتفى بذكرها في الحاشية.

وإذا صادف بياضًا في الأصل، ولم يجده في النسخ الأخرى، وأحسَّ بوجود ما يُشعر بسقط كلمة أو تركيب، فعليه أن يبحث عنه في المظان، فإن وجد النص نفسه مذكورًا في ذلك الكتاب، وفيه ذكر للناقص، فله أن ينزل الساقط المضاف بين [...] ويشير إلى ذلك، ويذكر اسم المصدر الذي وجده فيه، مع الجزء والصفحة.

ومن مهام المحقق أن يكشف ما اقتبسه المؤلف من غيره عن طريق المشهور من الأقوال، أو عن طريق أسماء من يرد ذكرُهم مع أقوالهم، كأقوال سيبويه في النحو، أو الأخفش في القراءات، أو المبرد في اللغة،...

وثقافة المحقق تكشف له ذلك بسهولة،وكلما كانت ثقافة المحقق واسعة وجامعة كان أمر معرفة النصوص المنقولة أسهل عليه،علمًا أن بعض الأقوال معروفة جدًّا في كتب أخرى، ومن التقصير بمكان ألا يبحث المحقق عنها.

وتمتاز الكتب الأولى بقلة النقول، والكتب المتأخرة بكثرتها كثرة فاحشة، كنقول ابن أبي أصيبعة من حنين بن إسحاق، والنديم من كتب عديدة متداولة؛ نظرًا للموضوع الخاص بالكتاب.

ولكن لا يجوز للمحقق أن يقحم اسم صاحب القول أو تصويب قوله داخل المتن،وله مطلق الحرية في الحاشية من تعليقات وإشارات،ويدخل في الحظر أخطاء المؤلف في النقل،وقد يكون الخطأ من الناسخ لا من المؤلف، ولا يتغير شيء،وغفروا - ونحن معهم - تصويب الخطأ بذكر الآية، مع أن هذا نادر جدًّا.

ومن مهمات المحقق -وهو ينسخ- تخريج الآيات، وتخريج الأحاديث وضبط النص،على أن يذكر ذلك في الحاشية، ويشير إليه في مقدمته تحت عنوان «عملنا في التحقيق».

أما رواية الشعر الواردة شواهدَ في الكتاب، فإن المحقق يعتمد رواية المؤلف أساسًا، ولا يجوز له تصويبها إذا وجدها مخالفة للديوان أو لأحد الكتب الأدبية، في حين أن واجبه أن يشير إلى اختلاف الروايات في الحاشية بإيجاز،**وتغيير الشعر كثير في كتب الأدب، وله أسبابه، منها:**

كثرة رواياته، وتباين اللهجات بين القبائل،كما أن للنحاة دورًا في اختلاف الروايات؛ فقد يغيرون لفظة - وهذا مرفوض - كي يلائموا بين البيت الشاهد والقاعدة التي يذكرونها،فهم كلما تعثروا بالبحث عن شاهد بدَّلوا بعض البيت ليصبح شاهدًا مناسبًا لما يذهبون إليه.

ومن مهمات المحقق التدقيق في أسماء الأعلام: أشخاصًا وأماكن؛ والتأكد من ضبطها سليمة وتشكيلها، مثل:

ابن خَلِّكانَ مؤلف وَفَيَات الأعيان- عَبيد بن الأبرص- أبو الفرج الأصفهاني (بالفاء) - العماد الأصبهاني (بالباء)- ابن عُنَين (بضم العين)- ابن دَرّاج القَسْطلِّي- النديم (بلاابن)- ابن نفيس (من غير تعريف)- إفْريقيَّة- قبرس (بالسين لا بالصاد) .. ومثل هذا كثير.

وعليه وهو ينسخ أن ينزل علاماتِ الترقيم في مواضعها من النص بدقة،ولعل هذه العلامات هي الوحيدة التي يسمح للمحقق بأن يتدخل في النص، مع مراعاة أنواع الأهِلَّة والأقواس.

وإذا كانت النسخة مكتوبة من غير تنقيط وتشكيل، ثم وقع له نسخة متأخرة منقوطة ومشكولة، يستطيع الاستفادة منها لتصويب النسخة الأم.

وليتنبه فإن التنقيط والشكل ليسا دائمًا صحيحين،فعليه أن يدقق تمامًا، ولا يذكر إلا الصحيح،فأخطاء الضبط والتنقيط من أوهام الناسخين لعدم إدراكهم المعنى المقصود،ومثل هذا نجده كثيرًا في الكتب العلمية كالطب والبيطرة، ويشترك في الخطأ المؤلف والناسخ معًا.

ولا يجوز للمحقق أن يتدخل في مخطوطة ديوان مشروح بحجة تهذيب المعنى وتصويبه، ذلك أن الشارح غير الشاعر،وللمحقق أن يوجه إلى خطأ الشارح في الحاشية حصرًا.

وقد يقع المحقق على كتاب تراثي يراه مهمًا، ويندفع لتحقيقه ونشره، لكن عنوان الكتاب ساقط أو ممحوّ منه كلمة أو أكثر، فإنَّ كشف السقط هنا سهل؛ إما من ذاكرته، أومن نسخة أخرى، أو من ترجمة المؤلف، أو من كشف الظنون. ويسهل الأمر عليه إذا كان العنوان مسجوعًا، أو موزون الكلمات، مثل: المطرب من أشعار أهل المغرب، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص...

والأمر نفسه، ولكن يصعب قليلاً إذا كان عنوان الكتاب كله مفقودًا، والنسخة لا أخت لها،فسيقرأ مقدمة الكتاب، وسيجد أن المؤلف يقول: «وسميته..»،وإذا لم يذكر فعليه البحث في كتب المفاتيح، أو كتب الموضوعات المشابهة لموضوع الكتاب، أو من التعريف بالمؤلف.

ومن المهم أن يدرس المحقق الكتاب بإمعان، ويعرف اتجاه المؤلف الفكري، أو العلمي، أو المذهبي، وهل هو من المغرب أو من المشرق، وكوفي هو أو بصري، عراقي أو شامي،فستخدمه هذه المعرفة على فهم بعض الكلمات الغامضة أو الأفكار التي تعترضه، إذا كان المعنى يناسب الاتجاه أو المذهب.

* * *

نَسخ المخطوطة

مرحلة الاستعداد:

على المحقق أن يستعين بالله، ويستعدَّ نفسيًّا، ويتفرَّغ تمامًا، ويفرِّغ طاولته من أي شيء يعيقه في عمله ونسخه،ونعرف بعض الأساتذة يخصصون طاولة عريضة خاصة للنسخ، بحيث تتسع لورقات المخطوطة، وللبطاقات، ولورق التبييض، ولأدوات النسخ اللازمة.

ولا يضعنَّ فنجان القهوة أو الشاي أو كأس الماء على طاولته لئلا تصاب المخطوطة بما يشوِّهها، أو الورق المبيض مما يضطره إلى إعادة التبييض.

ولا ننصحه بأن ينقل إلى الحاسوب من المخطوطة مباشرة، فهذا عمل تجاري متسرِّع، وهو الذي يعتمده النسَّاخ المأجورون اليوم،فتراهم يُسقطون كلامًا، أو أسطرًا، وكثيرًا ما يهملون الأقواس وعلامات الترقيم.. ثم إن عامل الطبع غير عالم التحقيق.

فلينسخ كما كان شيوخنا العلماء ينسخون، والورق والقلم سلاح العالم المتَّئد. ومع أن حديثنا عن عدة الباحث يأتي لاحقًا فإننا هنا نوجز ليبدأ المحقق بالعمل.

فالورق يجب أن يكون مسطرًا وسميكًا، والقلم يجب أن يكون حبرًا سائلًا أسودَ لوضوحه في التصوير والطبع، والمكبرة لتحديد نقاط الحروف لمعرفة هل الحرف: صاد أو ضاد، راء أو زاي.

ولا يقومنَّ عن عمله حتى يقف عند لفظة بارزة؛ عنوان أو اسم علم، أو عند نهاية الورقة، حتى تسهل عليه متابعة النسخ،ويجب أن ينال قسطًا من

الراحة بعد كل ساعة أو ساعتين،وخير أوقات النسخ ضوء النهار الرباني؛ فالأنوار الكهربائية الباهرة قد تشوِّه إمكانية القراءة بوضوح.

عملية التبييض:

قد نجد بعض السادة المحققين ينسخون المخطوطة نسخًا أولَ، تخوفًا من الوقوع في الخطأ، ثم يعمدون إلى تبييض ما نسخوا،ومع أن تخوّفهم في محله، فإننا لا ننصح به، ونفضل عليه دراسة المخطوطة جيدًا ومن ثم ينسخ المحقق مباشرة على المبيضة بخط كبير واضح مقروء، مع مسافة متباعدة بين السطرين للتصحيح (انظر أدوات المحقق) ولوضع علامات الترقيم في مواضعها الصحيحة، وإنزال الحركات بدقة.

وليكتب مباشرة على ورق مصقول سميك بالحبر، وعلى وجه واحد من الورق،وليتخذ صفة الأناة بين عينيه؛ لأنه عندما يسوِّد قد يقع بأخطاء عند التبييض.. من قفز سطر، أو كملة،وقد يعتريه الملل من التسويد والتبييض فيسرِع في كتابته.

وعوضًا عن الوقت المهدور في التسويد، يستفيد منه للتأكد من منقوله بالمراجعة.

وإذا شك بكلمة كتبها بالقلم الرصاص؛ ليتأكد منها في نسخة أخرى،ولا حاجة إلى ترك جزء من الورقة للحواشي، فلنا رأي آخر سنوضحه قريبًا،وأي ملاحظة يراها ضرورية لنقد النص عليه أن يعمد إلى تدوينها على البطاقات مع ذكر رقم الصفحة،ويستمر المحقق على عمله المتقن في التبييض حتى نسخ آخر سطر من المخطوطة.

وليتنبه المحقق إلى المصطلحات والرموز التي يتبعها المؤلف ويسجلها

على البطاقات الخاصة برموز المؤلف،وكلما انتهى من نسخ صفحة ذكر رقمها ورمزها يمين، يسار، أو إذا انتهى من الورقة كاملة، فلا حاجة إلى اليمين واليسار، فيضع قوسًا كبيرًا عند أول ورقة أو صفحة من أول ما ينسخ [١]، أو [١/ أ] و[١/ ب].

وبعد ذلك يبدأ بعملية المقارنة،ولكن قبل ذلك يعود إلى الورقة الأولى التي كتب عليها عنوان الكتاب واسم مؤلفه، فيتأكد منه،كما يتأكد من نقل أسماء المالكين وأختامهم، وكل ما يراه ضروريًّا، فيكتبه على ورقة إضافية منفصلة عن المخطوطة.

تاريخ نقد النصوص:

وهو فن مقارنة النسخ الخطية فيما بينها،للوصول إلى الرواية الصحيحة،وهو فن عَرَفَهُ العرب قديمًا، **قال الأخفش**: «**إذا نُسخ الكتاب ولم يعارَض ثم نسخ ولم يعارض خرج أعجميًّا**».

وقد بدأ العرب بنقد النصوص وتوثيقها في رواية الحديث، وكان عمر ﷺ أول من كان يأمر المتحدثَ بإتيان شاهدين على الحديث المرويّ،وانتشر هذا الفن في مرحلة تدوين الأحاديث النبوية لكثرة تعرضه للوضع، وكان الوضع على النبي ﷺ منذ زمانه وفي حياته، لقوله: «**من كذبَ عليَّ متعمدًا فليتبَوَّأ مقعده من النار**».

كما كان النبي ﷺ نفسه يعرض القرآن على جبريل كل سنة مرة، وفي سنة وفاته عرضه عليه مرتين،كما كان العرب يوثقون كلامهم، فيقولون: «أخبرني الثقة»، أو «وهو موثوق به».

ثم انتقلت فكرة النقد والتوثيق إلى كتب الأدب واللغة، حتى في الكتب

المترجمة،وكانوا يتأكدون من صدق الرواة، ويستبعدون المنحول والموضوع والروايات المشكوك فيها،وكانوا يطبقون القواعد القاسية التي وضعها رواة الحديث على رواية الأدب واللغة والشعر،لذا كانوا يتهمون خلفًا الأحمر وحمادًّا الراوية، ويستبعدون رواياتهما، ويقدمون روايات الأصمعي والمفضل الضبي لصدقهما،إضافة إلى أن الأدباء والنقاد كانوا يعرفون الرواية الصحيحة والرواية الجريحة بحصافتهم.

وغدا بديهيًّا في القرون الأولى أن نرى كثيرًا من المؤلفين يذكرون أسماء رواتهم ومصادرهم، كي يُبعدوا الشبهات عما يروون،ومهمة المحقق في هذه الروايات أن يتابع المصدر الذي ذكره المؤلف ليتثبت منه أولاً، ويذكر في الحاشية اسم المصدر والصفحة، ومدى صحة النقل،وأمثلةُ ذلك كثيرة عند كبار المحققين، والمصادر المعينة أيضًا مبذولة.

لكن الغرب أول من اخترع فن نقد النصوص في مرحلة طباعة الكتب التراثية، فقد كانوا حين يطبعون الكتاب يقابلونه بنسخ أخرى، فإذا وقع الخلاف اختاروا أفضل الألفاظ المناسبة للمعنى العام، ثم ذكروا في الحاشية الروايات الأخرى. وكانوا يستنتجون اصطلاحاتِهم من تجاربهم عن طريق المقابلة من غير قاعدة ناظمة.

وظل المستشرقون المشرفون على طبع الكتب العربية يقترحون ويختارون أكثر من قرنين،حتى إذا حلت مرحلة أواسط القرن التاسع عشر ثبتوا ملاحظاتهم وقيدوها، وجعلوها أصولاً علمية في نقد النصوص – Text Criticism.

ولم تكن هذه القيود والإشارات خاصة بطبع الكتب العربية، بل بكل كتاب تراثي قديم يونانيًّا كان أو غير يوناني، المهم أن يكون الكتاب الخاضع لهذه القيود من كتب الآداب القديمة.

وكلما تجمعت ملاحظات واصطلاحات لأحد المستشرقين من خلال عمله نشرها في إحدى المجلات، كي تأخذ مكانها في نقد النصوص من قبل مستشرقين آخرين.

ثم خضعت هذه المصطلحات كاملة إلى ترتيب دقيق، لتدخل ميدان نقد النصوص العربية ونشرها،وذلك كله نابع من همة المستشرقين وجهدهم في توحيد الأطر الدقيقة في عملية النقد العلمي،فأخذها العرب المحدثون، وأضافوها إلى خبرة العلماء السلف مع الحاجة الجديدة إلى التجديد، كي يقوموا بنقد الكتب التي يحققونها وينشرونها.

نقد النصوص التراثية:

إذا كانت المخطوطة نسخة واحدة وفريدة، فالمحقق أمام عمل واحد، هو قراءتها، ودراستها، ونقدُها، وتبيُّنُ عمل المؤلف، ومعرفة نوع الخط الذي كتب به كتابه، ولن يجري النقد إلا من النصوص المنقولة والشواهد الشعرية والنثرية التي استخدمها المؤلف،أما المجهود الآخر كالحواشي والتعريف والفهارس فلا يختلف الأمر بعد ذلك.

وإذا كانت المخطوطة متعددة النسخ فإن المحقق يكون محظوظًا؛ لأن تعدد النسخ يعينه على نقد النص والوصول به إلى الكمال، ما لم تكن النسخ تبلغ عشر نسخ فصاعدًا، فإن المحقق سيرهق كثيرًا،وعلى أي حال فإن نقد النص يكون عسيرًا في مقارنة النسختين الأوليين، ثم يصبح ما تبقى عملًا آليًّا وسهلًا.

وقبل أن يباشر في مقارنة النسخ نرى أن يرمز لكل مخطوطة برمز؛ لأن الاختصار واجب، فيسمي كل نسخة بالحرف الأول من البلد الذي وصلت منه النسخة؛ فالحرف (ف) رمز لفرانسة، و(ب) رمز لبرلين، و(ت) لتونس، وهكذا.

وإن حصل على أكثر من نسخة من برلين، أسمى الأولى (ب١)، والثانية (ب٢)، وقس على ذلك،ويمكن تسمية النسخ بالأرقام، أو بغيرها.

ويبدأ بالمقارنة مع أول نسخة يختارها، ويسير في عمله وحده، أو مع من يقرأ عليه، ويُنزل خلافات النسخ في الحاشية إلى نهاية النسخة،ولا يجوز أن يقارن بين نسختين معًا فيحصل في عمله اضطراب وتداخل، ويتعرقل عمله المتوالي،ثم يتنقل إلى نسخة ثانية، ولا يضع في الحاشية إلا ما خالف النسخة الأم وطابق أو خالف النسخة الأولى، فيقول في المطابقة: كذا في ب١ وب٢،وفي المخالفة يقول:

كذا في ب١، وفي ب٢: كذا..

ويعدُّ إلى جانبه بطاقة يسجل عليها توصيف النسخة الأم من حيث اكتمالها، ووضوحها، وعيوبها وملاحظاته عليها،وكذا يفعل حين يُجري المقارنة.. وليجعل لكل نسخة بطاقة أو أكثر؛ لأن هذه البطاقات ستعينه على التعريف بهذه النسخ التي قارن بها النسخة الأم.

ويمكنه أن يجعل النسخ (الكثيرة) ثلاث فئات: الأُولى هي الأَولى والأفضل والأقدم، والثانية هي المتأخرة أو التي فيها خلل قليل، والثالثة هي القليلة المنفعة لنقصها، أو جهل ناسخها، أو صعوبة قراءتها،ويفضل أن يرافق المحقق تلميذ خبير أو شخص ذو كفاءة وإخلاص.

وللمحقق أن يضع في المتن الرواية الأمثل، ويُنزل إلى الحاشية الرواية الأضعف وإن كانت الأضعف هي من النسخة الأم، وفي هذه الحال يقول في الحاشية: كذا في ب١، وفي م: كذا، أي يقلب الآية.

ولأن المحقق نسخ مخطوطته بفراغ سطر بين كل سطرين، فإنه يستطيع

بسهولة وضع الإضافات بين الأقواس على السطر الفارغ الأعلى،ويمكنه حصر الساقط بين هلالين والإشارة إلى مكان السقوط المحصور من النسخة الفلانية،وقد يجد أن إحدى النسخ ساقط منها بضع ورقات، وهذا كثير، فيضع رقمًا ويشير إليه في الحاشية، ويذكر أن النقص يمتدُّ من الرقم حتى... كذا

وقد كنا ذكرنا أن أوراق النسخة الأم يجب أن تُرقم، ونشير هنا إلى أن النسخ الأخرى لا تحتاج إلى ترقيم؛ لأن الرقم يوضع على النسخة الأصلية، إلا إن رأى المحقق أن يذكر رقم الورقة حين الضرورة والتوجيه.

وقد يسألنا سائل: ولماذا نقد النصوص؟ وما الجدوى منه؟ فنقول له: إن نقد النصوص، وذكر اختلافات النسخ ضرورة تؤدي بالمخطوطة إلى مرحلة التكامل قدر الإمكان،وهذه المقارنات أشبه بمقارنة الترجمات،ولهذا نتمنى أن يشارك المحقق زميلٌ حتى تتم العملية العلمية بدقة.

وفي الهند، في الجامعة العثمانية يحقق العالم نسخته، وحين إجراء مقارنة النسخ يأتي زميله وهو محقق أيضًا، فيساعده،وتنقلب الآية بعد حين، حين يحقق الزميل الثاني، فيأتي الأول ليشاركه في نقد النص،ولهذا نجد الكتب الهندية المحققة في غاية الدقة، على قصر باعهم ماديًّا.

وقد يكتفي المحقق بنسخ النسخة الأم، ثم يعمد إلى مقارنة النسخ الأخرى عن طريق الفانوس السحري، أو جهاز الإسقاط،قد يفيد هذا الجهاز كثيرًا بتكبير الصفحة عدة أضعاف بهدف فك غموض بعض الكلمات، أو عند نقلها من الميكروفيلم إلى الطبع،غير أننا نرى هذا العمل في المقارنة مضنيًا للبحث، ومتعبًا لبصره ونورُ بصر المحققين غال جدًّا ويفيدنا.

ونحن نفضل في حال الرغبة بالتكبير، أن تصور النسخة الصغيرة حجم

الكلمات بحجم أكبر عن طريق التصوير الفوتوكبي: وننصح به؛ لأنه أقل تكلفة وأكثر راحة في العمل على طاولة التحقيق.

وننصح المحقق بأن يراقب بدقة هوامش المخطوطة.. ورقة ورقة، ومن أطرافها الأربعة خشية أن يكون المؤلف ذكر في الهامش ما سقط منه عند التأليف أو النسخ. وقد تكون هذه الإضافات الهامشية تعليقات من الناسخ أو المالك،فإن كانت بخط المؤلف نفسه مع الإشارة إليها، أنزلها المحقق في مكانها من المتن، وإن كانت لغيره، ورآها ضرورية ذكرها المحقق في الحاشية،وغالبًا ما يكون هذا النوع من التعليقات مرموزًا له بالحرف (ح) أي حاشية، وقد يذكر المحشِّي اسمه، وقد لا يذكره.

وللمحقق أن يضيف أسماء فصول، أو عنوانات فرعية، إذا رأى ذلك ضرورة، ولا سيما إذا كانت معلومات المخطوطة متواصلة، والمؤلف نفسه لم يفعل هذا. ولكن بشرط أن يضع العناوين كلها بين قوسين كبيرين [..]، ويشير في مقدمته إلى أنه فعل هذا لأسباب ملحَّة لفهم مضمون المخطوطة.

ونحن إذ نختم كلامنا هنا في نقد النص علميًّا، وهو جزء مضنٍ من مهمة المحقق، نقدر ما يقوم به المحقق من مجهود عظيم، ونثني على عمله الوطني الغالي في خدمة لبنة غالية من لبنات تراثنا العزيز.

نقد النصوص أسلوبيًّا:

نضيف هنا على علم «نقد النصوص» كل ما يقتضي ذكره حول أسلوب المحقق في فهمه اللغة، وأسلوب المؤلف الذي ألف فيه كتابه. فنقد النصوص أسلوبيًّا توسع في الموضوع، ونراه ضرورة، وليس مرتبطًا بعلم نقد النصوص، بقدر ما هو مرتبط بأسلوب الكاتبين.

فلابد للمحقق من معرفة اللغة العربية بكل أبعادها، وشتى فنونها وعلومها، ليس على مستوى العلم الدقيق التخصصي؛ لأن علوم العربية لغة وأدبًا بحر واسع صعبٌ خوضه والوصول إلى مجمل أبعاده،إنما نقصد الإلمام الكافي باللغة، والأدب، والبلاغة، والنقد، والعروض، ومعرفة تاريخ الأدب العام، وخصائص أسلوب كل عصر، على الأقل حتى زمان تأليف هذا الكتاب التراثي المعنيّ.

وإن حرصنا على هذا الاطلاع العميق خشية أن يصوِّب المحقق المبتدئ الخطأ ويخطِّئ الصواب، أو أن يتسرَّع المحقق بإصدار أحكام يتهم فيها المؤلف بالتقصير، فتنقلب عليه هذه الأحكام، ويقع في وزرها.

فبعد أن يتقن اللغة، ويحيط باللازم منها يمكنه أن ينتقد أسلوب المؤلف ويقرِّظه، ويشير إلى أنه لم يخالف أسلوب عصره، وأن مقدرته اللغوية ساعدته على توظيف اللغة توظيفًا مناسبًا لموضوع كتابه، وهل تمكن من جذب القارئ، وإقناعه بأسلوب المعالجة؟

ونحن نعلم أن أسلوب الأديب غير أسلوب العالم، وأسلوب المؤرخ يختلف كذلك عن أسلوبيهما؛ فالأول أسلوب رصين، ومفردات جزلة، وصور واستعارات تخدم الموضوع وتقربه إلى الأذهان بإعجاب، بينما العالم يؤدي الفكرة التي يعالجها بمفردات سهلة طَيِّعة، تؤدي الرسالة المنوطة بها،بينما أسلوب المؤرخ واضح وجلي، ومفرداته تاريخية معبرة.

وعلى المحقق أن يعتاد الرجوع إلى المعجمات دومًا، ويتأكد من صحة الألفاظ التي يشك بها، ويستوثق من كيفية ضبط بعض المفردات من غير تكاسل، ولا يعتمد على الذاكرة؛ فقد تحتفظ بالخطأ الذي لصق بها في مرحلة زمانية قديمة. فالتثبت واجب، وخير المعجمات لسان العرب، ويليه تاج العروس،وإن كان

للفظ استخدامات حديثة فعليه بالوسيط،وإذا شرح المحقق لفظة تحتمل الشك في الحاشية يذكر مصدره الذي اعتمده (لسان العرب ـ مادة كذا) ولا يحتاج في المعجمات إلى ذكر الجزء والصفحة إلا إذا كانت المادة طويلة، والرغبة في التحديد ملحَّة.

نماذج أسلوبية:

ونذكر فيما يلي أسلوبًا أدبيًّا من البيان والتبيّن[١]:

يقول الجاحظ: «جهمُ بن حسانَ السَّليطيُّ قال: قال رجل للأحنف: دُلني على حمد بلا مَرْزئة،قال: الخُلُق السَّجيح، والكفُّ عن القبيح،ثم اعلموا أن أَدْوَا الداء اللسانُ البذِيء والخلق الرديء».

فانظر إلى الكلام الأدبي الفني، والسجع الرقيق، القريب إلى النفس الذي يرتاح له الفؤاد، وأنت بحاجة إلى التثبت - مثلاً- من صواب ضبط «مرزئة»؛ لأنك إن قرأتها مضمومة العين صارت اسم فاعل،كما تحتاج إلى معنى لفظ «سجيح».

وهذا أسلوب علمي لابن أبي أصيبعة[٢]:

«وينبغي أن يكون (المتعلم للطب) متحملاً للشتيمة؛ لأن قومًا من المُبَرْسَمين وأصحاب الوسواسِ السوداويِّ يقابلونا بذلك،وينبغي لنا أن نحتملهم عليه، ونعلم أنه ليسَ منهم، وأن السبب فيه المرضُ الخارجُ عن الطبيعة».

نلاحظ وضوح العبارة العلمية، وحسن استخدامه للمصطلحات العلمية.

---

(١) البيان والتبين: ٢/ ١١٥.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٦.

فالمحقق محتاج إلى فهم «المبرسمين» ومعناها: المصابون بالبرسام (بكسر الباء)، وهي علة يهذي المريض بها، وإلى فهم «أصحاب الوسواس السوداويِّ» وهم المصابون بداء حديث النفس والشيطان، بما لا نفع فيه ولا خير،ويتنبه المحقق إلى أن المؤلف يخطئ في استخدام الفعل «يقابلونا»، ولم يعبأ ابن أبي أصيبعة، أو لم يعرف أنه من الأفعال الخمسة، والصواب أن يقول: «يقابلوننا».

واخترتُ من كتاب مفاكهة الخلان لابن طولون[1]:

«وفي يوم الجمعة مستهلَّ المحرم منها، وقع بصفد مقتلة عظيمة، سببها أن بعض العِيَّق بلغه كسرُ ملك الروم، فحمل السلاح ودار في البلد يفتش على العثمانية ليقتلهم، فصدف شخصًا منهم فقتله فثارت الفتنة بين العثمانية والعيق، وفرَّ نائب البلد الرومي إلى قلعتها بمن معه، وتحصَّنوا بها».

يلاحظ المحقق أنه أمام نص تاريخي أشبه بأسلوب العامة، وهو الأسلوب السائد في العصر العثماني، والذي يمثله ابن طولون صاحب الكتاب،فقد حدد المؤرخ اليوم والشهر، وذكر الحادثة التي جرت في صفد بفلسطين، وأشار إلى الفتن،وهو بحاجة إلى شرح معنى «العيق» هل هي محوَّلة من عُوَّق فالعائق؛ هو الذي لا خير فيه، أو الذي يعوِّق الناس عن عمل الخير،أم أنها من عاق يعيق. لكن المعنيين لا يناسبان النص؛ لأنها لفظ عامي تدووِل بمصر والشام بمعنى المتباهي والمتبختر.

ولا يتصورنَّ المطالع أن المقصود من «ملك الروم» الروم؛ وهم القوم الغربيون، بل هم سلاجقة الروم الذين كانوا يحكمون بلاد الروم تركيا قبل العثمانيين، وأن العثمانية هم العسكر العثماني من رجال سليم خان.

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان: ٢/ ٤١، أحداث سنة ٩٢٣هـ.

كما أن الكتب التي ترجمها الأعاجم والسريان كانت ضعيفة الأسلوب؛ لأن معظمهم غير عرب أولاً، ولأن الموضوعات التي ترجموها علمية، ولأن الحاجة الماسة وحاجة السوق تستدعي السرعة،لكن المترجمين العرب، إضافة إلى بعض الغيورين الحريصين على سلامة اللغة كحنين بن إسحاق.

أما الكتاب الذي بين يدي المحقق فيدرس أسلوبه ليرى إذا كانت ألفاظه قوية جزلة، عويصة صعبة، أو سهلة طيعة، مسجوعة متوازنة؟ هل تطول جمله ويكثر من جمل الشرط، أو تقصر وتبتعد عن الأساليب المعقدة؟ هل يكثر من الألفاظ المعربة؟ وهل يستخدمها لحاجة الموضوع؟ أيعتري أسلوبه وهن أسلوبي، وقصور في التعبير؟ أعنده مخزون لغوي كاف كي يوصل معلوماته للآخر؟ أيقع في عثرات لسانية وأخطاء لغوية، وما سببها؟ أأسلوبه تقريري بشكل عام؟ أيستخدم الاستطراد، والتكرار، أم يوجز في تعبيره؟ وهل يكثر من تصاويره وتشابيهه؟ وهل يحالفه التوفيق فيها؟ وألها ضرورة؟ أللمؤلف أسلوب يتميز به، كالجاحظ وبديع الزمان؟ وإذا قرأ امرؤ له نصًّا في مكان آخر أيحسُّ بتشابه بينهما؟ كأسلوب المبرد والقالي مثلاً.

وهل أتى أسلوبه في هذا الكتاب مطابقًا لأسلوبه في كتب أخرى؟ وهل هذا الأسلوب نابع من واقع عصره ومن أسلوب معاصريه؟ أم أنه متميز مختلف؟ وهل هذا الأسلوب أدنى من أساليب معاصريه أم أعلى؟ وهل هو متأثر؟ أو مؤثر؟

أعنده قدرة على الإقناع؟ أيُلبِسُ إقناعه الثوب الأسلوبي الملائم لغرضه؟ أو في أسلوبه جفاء الأعراب أم طراوة أهل المدن؟ أهو متواضع في أدائه أم متكبر؟

أيكثر من السجع؟ وهل سجعه هذا سجية كالجاحظ، أم مصنوع كالحريري؟ أتبرز شخصيته في أسلوبه، أم أنها منعدمة الظهور؟

ولو شئنا لأطلنا الحديث عن أسلوب المؤلف وميزاته أكثر،وما هدفنا إلا أن يُفهم أسلوبه الذي يعالج فيه مراده، وندرك التصحيف الذي يقع فيه ناسخ كتابه.

وعندما ندرس أسلوب المؤلف، ونعرف ميله إلى السجع أو التوازن أو السرد نحلُّ غموض بعض الكلمات، ولا سيما إذا كان يركز على أوزان خاصة في مفرداته مثل الارتزاق، والاعتراض على وزن الافتعال، فالإيقاع الرتيب يسهِّل قراءة كلامه، ويريح المحقق الذي هو هدفنا أولاً وأخيراً.

نقد الشروح:

الشرح نص تراثي، ولكنه شرح على نص، بمعنى أن المحقق قد يقع على مخطوطة نثرية، أو ديوان، أو مجموعة شعرية، قد تناوله شارح فقام بشرح معانيه، أو حشَّاه، أو علق عليه، فتكون المخطوطة مؤلفة من اثنين؛ الأول يدعى المؤلف، والآخر يدعى الشارح أو المعلق، وغالبًا ما يكون المؤلف أعلى مرتبة من الشارح، ونادرًا ما يكون الشارح ذا مقام أسمى من مقام المؤلف.

كما قد يكون الشارح لغويًّا أديبًا يشرح ديوانًا لشاعر كبير، كالخطيب التبريزي الذي شرح ديوان أبي تمام، أو كالعكبري الذي شرح ديوان المتنبي[1]، ومثل هذا تحفل به المكتبة العربية.

---

(١) أثبت د. مصطفي جواد في أماليه أن شرح ديوان المتنبي إنما هو لأبي الحسن عفيف الدين بن عدلان الموصلي (ت ٦٣٦هـ)، بينما نفى (التبيان) عن العكبري وابن عدلان د. عبد الرحمن بن إبراهيم الهليل في منشور.. له في مجلة الدراسات اللغوية المجلد ٣ العدد ٢ ربيع الأول - جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ يوليو - سبتمبر ٢٠٠٢ م.

فالمحقق أمام كتاب ألفه اثنان، فيعدُّهما كتابًا واحدًا في مجال نقد النصوص، وكتابين في موضوعات أخرى،ويتعامل المحقق مع الكتاب بشكل عام في مقارنة النسخ ومقاربة الروايات إذا كان عنده أكثر من نسخة.

ولا يجوز للمحقق أن يباشر بنقد النص علميًّا وأسلوبيًّا إلا بعد أن يفهم النص الأصلي، والشرح عليه، ومعرفة الموضوع الذي يُبحث، إذ لا ارتجالية في هذا الموضوع؛ لأن الموضوع مركب، وربما يكون معقدًا،فعلى المحقق أن يدرس كل نص على حدة، ليدرك الموضوع الأصلي، ونوعية الشرح؛ هل الشرح لغوي بحت؟ فلا بد له عندئذ من دراسة اللغة التي تؤهله لفهم الشرح،وكذا الأمر في الشرح النحوي، فيدرس نوع الموضوعات النحوية التي يركز عليها الشارح.. أهو شرح الأدوات والحروف؟ أم هو شرح المشتقات أو المصادر؟ أو.. وكذا الأمر في شرح النصوص الفقهية أو الطبية.

وقد لا يكون المحقق متخصصًا اختصاصًا يناسب موضوع الشرح، ولكن كفاءته كفيلة بأن تؤهله للعمل بعد شيء من المطالعة،وهو أشبة برتبة أستاذ في الجامعة، الذي تُفتح أمامه جميع الاختصاصات للإشراف على رسائل الجامعة. والمحقق الخبير، الشيخ الذي قضى رَدَحًا من الزمان يحقق ويعالج النصوص ليس عسيرًا عليه تحقيق شرح المعلقات إذا كان لغويًّا، أو شرح الألفية إذا كان أديبًا. فالشيخ أحمد شاكر أحد فطاحل شروح الفقه والحديث سهل عليه نقد نص شرحي في الأدب، وشوقي ضيف الأديب ببساطة يحقق شرحًا لنص نحوي أو لغوي.

وقد يكون هناك تفاوت بَيِّن بينَ تخصص المحقق والشرح، فبالإمكان إشراك متخصص آخر ذي دراية، فيعمل كل واحد في ميدان ويصدر الكتاب باسمهما. وربما كان الأمر لا يعدو مجرد استشارة في بعض الأمور الاستشارية،

فيكون ذلك فضلاً من المستشار،فعلى المستشير في هذه الحال أن يذكر اسمه في صفحة الشكر، وهذا من آداب العمل العلمي.

وربما كان ذكر اسمه وشكره لصالح المحقق، وإلا اتُّهم المحقق بالادِّعاء،فإذا كان الكتاب المحقق في الطب، والمحقق طبيب، وكان هذا الكتاب مشروحًا بأسلوب أدبي، أو أن الشارح ذكر مجموعة من القصائد، أو مجموعة من الأحاديث النبوية،فإن قام المحقق الطبيب بشرح الشعر،أو تخريج الأحاديث وتوثيقها عاتبه النقاد وجرَّحوا عمله،فالأجدر في هذه الحال من أن يَستعين بأديب أو لغوي أو فقيه في الحديث، ويشير في صفحة الشكر أو في المقدمة إلى أن العالم الفلاني شاركنا في التعليق على الشروح التخصصية.

هذا التصرف العلمي يعفي المحقق من المسؤولية، بحيث إذا وقع في هذا القسم من الكتاب خطأ أو تقصير لا يوجه إليه، إضافة إلى الأمانة العلمية.

وأذكر أن المجمع العلمي نشر كتابًا حققه الدكتور عمر موسى باشا، وكان الكتاب في أدب العصر العثماني، وهو حافل بالمعرَّبات،ولفت نظرنا أن المئة الأولى من صفحات الكتاب شُرحت فيها المعربات بدقة متناهية، بينما سائر الكتاب لم يُشرح فيه لفظ،وحبًّا منا بمعرفة الحقائق العلمية تبينَ لنا أن أستاذ الفارسية كان يشرح له الألفاظ،وعندما طالبه بذكر اسمه في المقدمة امتنع عن ذلك، فامتنع الأستاذ عن المتابعة،ونحن نعلم أن أهل الذكر يجب أن يُحمدوا حتى يتفضَّلوا علينا بما علمهم الله.

فالمحقق أمام الكتاب المزدوج التأليف، يراعي فيه العملَ مزدوجًا.. فالمتن ينقد على أصوله والشرح ينقد على أصوله، ويشرح ويعلق كلًّا على حدة، أما نقد النص علميًّا فينقد على أنه نص كامل.

وإذا أخطأ الشارح في شرحه، أو توهَّم، أو تعثَّر، فلا يجوز للمحقق أن يتدخل في شرحه داخل المتن، بل ينتقده أو يصوب له في الحاشية وفي هذه الحال يرمز بالحرف (م) لمتن المؤلف، وبالحرف (ح) للشارح.

تدخل المحقق بالنص:

مرَّ عَرَضًا بنا المواضع التي يجوز للمحقق أن يتدخل في النص،ولكن متى يتدخل؟ وكيف يتدخل؟ وما الحدود المسموحة له؟

صار معلومًا أن المخطوطة عمل مؤلف وأن المحقق هو الذي يبرزها إلى النور. فلا يجوز له أن يصوب للمؤلف، ولا أن يُعمل قلمه على قلم مؤلفها،وإلا اختلط فعل هذا بفعل ذاك.

وقد يعتري المحققَ الزهوُّ - ولا سيما الذين يجربون حظهم لأول مرة أو لثانيها - فيظن أنه قادر على إعادة تقويم الكتاب، فيعمد إلى التدخل وتصحيح ما يظنه تقصيرًا من المؤلف، على قدر معرفته العلمية طبعًا،ومن يتدخل في النص لم يطلع على قواعد شروط نقد النصوص، ولم يتتلمذ على محقق عالم، ولم تمتدَّ يده إلى كتب محققة يتدرب عليها.

فنراه يقصُّ بعض الجمل، ويقدم بعضها على بعض، ويحذف تراكيب، ويسقط حروفًا وكلمات وجملًا مما لا يعجبه، أو قل مما لا يفهمه، ويغير ويبدل وكأنه مهندس معمار يصوِّب عمل البَنَّاء،وهو في هذا أسوأ من الناسخ الماسخ الذي يتصرف بنسخه على ما يرتئي.

وقد يظن أن من واجبه أن يسقط الجمل المسهبة، أو يختصرها، وأن عليه أن يقيل الاستطرادات من مكانها؛ لأنها تخرج عن المعنى المقصود،كما قد يبدل المفردات الصعبة بأخرى سهلة، أو يستعيض عن الألفاظ المعربة بأخرى عربية.

للمحقق أن يفعل وأن يضيف ما يشاء في الحاشية؛ لأن المتن ملك للمؤلف، والحاشية ملك للمحقق،ولكن يجوز له أن يقسم الكتاب إلى فصول، والفصول إلى فروع إذا كانت المخطوطة مسرودة سردًا متواصلًا، ولم يعمد المؤلف إلى تقسيم الكتاب، كما في العناوين الفرعية للأغاني.

وفي هذه الحال له أن يضع العناوين الضرورية في وسط الصفحة، أو على جانبها الأيمن، على أن يضع كل عنوان بين قوسين كبيرين [..] دلالة على الإضافة، ويذكر في مقدمته ماذا فعل؟ وما السبب الذي دفعه إلى هذه الإضافات؟ وكذلك نحن نفعل وغيرنا كذلك يفعل،وقد يستعيض بعض السادة المحققين عن العناوين الجانبية بوضع خط تحت كلام المؤلف البارز، أو يطبعه بحرف غامق، مما يدل على الموضوع الجديد؛ وكل ذلك مقبول.

وللمحقق أن يضيف علامات الترقيم، وينتقل إلى أول السطر إذا كان المعنى يقتضي ذلك، وله أن يستخدم المسافات اللازمة في النسخ والطبع، فما مثل هذا كان معروفًا، وهذا كله يسمى «إبراز الكتاب».

وقد يرى بعضهم أن المؤلف أوجز كلامه في شرح فكرة ما، فيرى أن من واجبه أن يبسطها؛ فإذا كانت «الشعوبية» في العصر العباسي معروفة جدًّا، فإنها في نظره اليوم باتت بحاجة إلى شرح، فيترك لقلمه الإسهاب على قدر ما يعرف أو على مقدار ما ينقل،وهذا مرفوض حتى وإن وضع ما أضاف بين هلالين ...، واعتداء على حرية الكاتب.

والأسوأ من هذا أن يتدخل المحقق بإعادة إخراج الكتاب،وهذا غير مقبول، لكن بعضهم أجاز ذلك بصورة محددة، إذا كانت النسخة المراد تحقيقها مسوَّدة المؤلف، والوحيدة في العالم.

وقد يسألنا سائل: وماذا نفعل ببعض الكتب العسيرة الوصول إلى المبتغى منها، ولا سيما إذا كانت ضخمة؟

إن أمامنا مثل هذا أمثلة كثيرة، منها:

١- **ثمار القلوب** في المضاف والمنسوب للثعالبي: والثعالبي علم في تاريخ الأدب، وعلم في مؤلفاته،صحيح أن المؤلف قسم الكتاب تقسيمات دقيقة كي يسهِّل على المطالع تناول مطلوبه منه،غير أنه صبَّ تراكيبه داخل هذه التقسيمات من غير نسق.

فتراه في الباب الأول وهو باب الاستشهاد يعرض تراكيبه من غير ترتيب هجائي، فهو يعرض على التوالي: أهل الله، فبيت الله، فرسول الله، فكتاب الله، فخليل الله، فروح الله، فأرض الله.. إضافة إلى الأبواب نفسها.

٢- **مجمع الأمثال** للميداني: يعد هذا الكتاب مصدرًا أساسيًّا في الأمثال العربية، ولعله أجمعُ ما ألف في موضوعه،غير أن الميداني اعتمد الحرف الأول في ترتيب الأمثال، لكنه لم يراع في الترتيب الحرف الثاني فالثالث،فانظر إلى ترتيبه في الأمثلة التالية[1]:

- إياكم وخضراءَ الدمن.
- إنك لعالمٌ بمنابت القصيص.
- إنه لأحمرُ كأنه الصَّرْبة.
- أنْ تردَ الماءَ بماءٍ أكيسُ.
- إنما أخشى سيلَ تَلعتي.

---

(١) مجمع الأمثال: ١/ ٣٢- ٣٣.

- أخذه برمته.

٣- كشف الخفاء ومزيل الألباس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجرَّاحي ت١١٦٢هـ : يضم مؤلفه فيه ما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.

وهو يثبت الحديث للنبي ﷺ، أو ينسبه إلى أحد الصحابة ﷺ، أو يعزوه إلى أقوال مشهورة بين الناس. من ذلك[1] :

- أكرموا عمتكم النخلة.

- أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء.

- أكرموا الغرباء.

- أكرموا طَهورَكم.

- أكلتان في يومٍ سرفٌ.

- أكل الطين حرام على كل مسلم.

لا جرم أن هذه الكتب الثلاثة نافعة جدًّا لأهل العلم والمحققين، لكن الثلاثة قصروا في ترتيب موادِّ كتبهم، مما صعَّبَ على المطالعين الوصول إلى المثل أو القول المشهور،وقد أدرك الباحثون هذا العناء.

والواجب بالمحقق أن مُبرز الكتاب ـ في نظرهم ـ أن يعيد ترتيب الكتاب على أساس التسلسل الهجائي في الحروف الثلاثة الأولى،وإن شئنا الدقة أن تراعى الكلمة الثانية مع التسلسل السابق.

لكن هذا التدخل مرفوض قطعًا؛ لأن بعض الباحثين يريد دراسة مناهج

---

(١) كشف الخفاء: ١/ ١٩٥-١٩٨.

المؤلفين، وبهذا التصرف يقطع عليه طريق العمل العلمي،لكن واجب المحقق في الوقت ذاته أن يفعل شيئًا، والمؤلف نفسه لو كان حيًّا اليوم لرتبه على حسب رغبة الباحثين.

فماذا يفعل المحقق حتى يؤديَ واجبه العلمي في سبيل خدمة الباحثين؟

فلو أن المحقق رغب في تحقيق مثل هذه الكتب، لتابع عمله من غير تدخل أو تصرف، حتى يتمَّ نسخ الكتاب، ونقده، وإخراجه كاملاً،وبعد ذلك يصنع فهرسًا للتراكيب، والأمثال، والأقوال على طريقته الحديثة، وذلك بأن يكتب كل مثل على بطاقة، ثم يعيد ترتيبها من جديد على الطريقة الهجائية الدقيقة، ويضع بحذاء كل مثل رقم وجوده في الصفحة المطبوعة،لكن هذا العمل المضني الذي يحمد المحقق عليه لا يجوز له أن يبدأ به إلا بعد أن ينتهي من طبع الكتاب تمامًا،عندئذ يدفع ما رتب إلى الطبع على أساس الجداول، ويجعل ما أعدَّه (ملحقًا للأمثال مرتبة ترتيبًا علميًّا دقيقًا)، فيرجع المطالع إليها أولًا فيرى رقم الصفحة بحذاء المثل، فينتقل إلى أصل الكتاب.

ولما كنا بحاجة ماسّة للاستفادة من تراكيب «المضاف والمنسوب» منذ عشرين عامًا فقد أعدنا ترتيبه بكراس خاص مرافق للكتاب،ورتبنا ما ذكرناه من الأمثلة كما يلي:

أرض الله، أهل الله، بيت الله، خليل الله، رسول الله، روح الله، كتاب الله... إلى آخر الكتاب.

وعلى نسقه يمكن ترتيب أمثال الميداني، علمًا أن الزمخشري في كتابه «المستقصى» كان دقيقًا في ترتيبه،وربما لاحظ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تقصير الميداني (ت ٥١٨هـ) فعمد إلى الترتيب الدقيق.

ونحن مع الأستاذ المحقق أن هذا العمل مُجهد وصعب، وسيضطره إلى مضاعفة وقته وإضافة عشرات الصفحات على الكتاب، لكننا نراه في النهاية قام بعمل نافع للكتاب وللباحث، فهو تدخل ولكن من غير تدخل.

وهذه النماذج التي ذكرناها نوع من أنواع تدخل المحقق التجديدية، لعلها تفتح أبوابًا ابتكارية في معرض تدخل المحقق بالكتاب عن طريق التجديد، ولكن من غير تدخل في المتن الأصلي،علمًا أن لكل موضوع سبيلًا في الابتكار، ومنهج مختلف عن غيره،ألم يفعل هذا ناشر كتاب «جمهرة اللغة» لابن دريد؟ فقد أدرك أن الفائدة من الجمهرة تكاد تكون معدومة، فصنع جزءًا رابعًا، خصَّ القسم الأعظم من الجزء[1] لفهرسة الألفاظ في الأجزاء الأولى، ورتبه على جدول دقيق ذكر فيه اللفظة، ورقم الجلد، والصفحة، والعمود، والسطر.

فإذا أراد أحدهم أن يبحث عن لفظه (سَباطة) مثلاً رجع أولاً إلى المجلد الرابع فيقول المحقق له: هي في م١، ص٢٨٤، ع٢، س٧،وهذا غاية في الدقة العلمية. ولم يفكر المحقق في تخريب المعجم وإعادة بنائه من جديد، ومثل هذا التخريب جهل مطبق لو أن المحقق فعله لا سمح الله.

وقد كنا ذكرنا أن علماء الهند خدموا التراث العربي أكثر مما خدمه العرب أنفسهم،وهم الذين طبعوا الجمهرة في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن[2]، منذ أكثر من سبعين سنة،ولم نفعل نحن سوى أننا سرقناه وصوَّرناه.

وشبيه بهذا العمل الجبار ما قام به العلامة عبد السلام محمد هارون في معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بأجزائه الستة الضخمة في خاتمة المعجم، خدمة لقراء العربية.

---

(١) وذلك في ٧٣٠ صفحة مزدوجة.

(٢) الدكن: يعني الجنوب، لوجود غيرها في الشمال.

أرأيت كم يحتاج المحقق إلى صبر ووعي إذا تصدَّى لتحقيق كتاب ما؟ وكلما امتدت أيدينا إلى مثل هذه الأعمال العظيمة أكبرنا صبر المحققين العلماء وحلمهم. فإن كان عندك صبر العلماء والباحثين فأقدم رعاك الله وأثابك، أو أحجم وأرِح نفسك؛ لئلا ينعكس قلة صبرك على خدمة الكتاب وإنجاحه، وعليك بما تنأى آذانك عن سماعه من النقاد.

شروط التوثيق:

التوثيق هو التدقيق في النصوص والأقوال، والرجوع إلى مظانها الأصلية، والتأكد من صحتها، ثم تسجيل المصادر التي رجع إليها الباحث أو المحقق في الحاشية في غاية من الدقة، بأن يذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء ورقم الصفحة، من غير أن تذكر اسم المؤلف والطبعة، إلا إذا تشابه اسمان لمصدر واحد، أو رجع المحقق إلى إحدى الطبعات حينًا، وإلى غيرها حينًا.

وللتوثيق شروط دقيقة يجب مراعاتها، وأهمها:

١- إذا استخدم الباحث أكثر من مصدر أو مرجع في الحاشية الواحدة، فعليه أن يراعي التسلسل الزمني؛ الأقدم أولاً، فالذي يليه زمانيًا، إذ لا يجوز أن يُذكر متأخر على متقدم؛ فكتاب الأغاني مثلاً يذكر العقد الفريد، ويتيمة الدهر قبل دمية القصر، وهذا قبل خريد القصر، وكذا طبقات فحول الشعراء لابن سلام (ت ٢٣٢هـ) يذكر قبل الأغاني لأبي الفرج (ت ٣٦٢هـ).

٢- التأكد من أصالة المصادر وقدمها، إذ لا يجوز أخذ نص شعري قديم من كتاب حديث، حتى وإن كان المؤلف الحديث من خير المؤلفين كشوقي ضيف أو طه حسين.

٣- يتم توثيق الشعر من الدواوين الشعرية المحققة والمجموعات الشعرية

الموثقة قبل غيرها، ويذكر ذلك في الحاشية،وللمحقق أن يذكر أوجه الخلاف بين ما جاء في المخطوطة وما جاء في الديوان، على أن يكون أساس النص من المخطوط، ثم يوثق صحة الرواية أو خلافها عن الديوان في الحاشية،وله أن يرجح ما يراه من الروايات، بشكل موجز، حتى يخفف من حجم عدد المصادر في الحاشية.

ونجد بعض المحققين ـ من أجل رواية بيت ـ يتباهَون بكثرة المصادر، حتى تبلغ الأسماء بضعة سطور،والرأي أن يوثق البيت من الديوان، ويحيل المُراجِع إلى المصادر الأخرى لاختلاف الروايات، بأن يقول في نهاية التوثيق: (وانظر... للاختلاف).

ويجري المحقق تسجيل البيت على سطر وحده قبله مسافة وبعده مسافة، وبين الشطرين مسافة، ويكتب تحته على اليسار أو في الحاشية اسم بحره،وإذا كان البيت مدوَّرًا أضاف الحرف (م)، أو قسمَ البيت على وزنه،ومع أن هذا خارج عن التوثيق، فإن الشيء بالشيء يذكر كما يقول المبرد.

٤- كما لا يجوز التعريف بالأعلام القدماء من كتب المحدثين كمعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، أو من كتاب «الأعلام» للزركلي، أو التعريف بحركة فكرية أو فرقة مذهبية إلا من مصادرها كالملل والنحل للشهرستاني.

فإن اقتطف تعريف الشريف الرضي من الأعلام، أو المرجئة من الموسوعة الميسرة دل على أن المحقق متسرع جدًّا، يبحث عن التعريف بأسهل السبل.

إلا إذا كان العلم من المتأخرين كإبراهيم هنانو أو عبد القادر بدران، فمصدرهما الأعلام مقبول.

كما أن بعضهم يستهل الأمرَ أكثر فيرجع إلى «المنجد» ليعرف بالمقريزي أو

بتبريز،فهذه الأعلام في المنجد وضعت للاستئناس لا كمصادر،ولكن يقبل من المنجد أحيانًا التعريف ببعض النصارى ممن لم يذكروا في المصادر كأسماء بعض المطارنة.

ويعرِّف بعضهم الأعلام من كتاب «كشف الظنون»، وهو خاص بأسماء الكتب واسمه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»،وله أن يقارن رواية الكشف برواية المصدر الموثق.

الحواشي:

هي المكان الرحب للمحقق، وله أن يضيف فيه ما يستوجب شرحه وتعليقه وهي غذاء وسم للمخطوطة،فإضافةً إلى عملية نقد النص بإضافة اختلافات النسخ هناك: تخريجات، وتعريفات، وتراجم، وشرح مفردات غريبة ومغربة.. وهذا كله يقع في حَيِّز الحاشية، ولكن بإيجاز،كما يذكر السقط، والغموض، والإضافة، والبياض...

وإذا استشهد المؤلف بآيات قرآنية لزم ذكر رقم الآية من السورة ورقمها؛ وبعضهم يضع اسم السورة أولاً وهذا خطأ،وذكر رقم السورة يوفر على المطالع الوصول إلى موضع الآيات بيسر. وانظر في ختام «الحواشي» أرقام السور مع ترتيبها هجائيًّا.

ولا نرى ضروريًّا ذكر خلاف النسخ إملائيًّا، ولا للاختلافات البسيطة، ويُقتصر على ما هو ضروري علميًّا.

ونرى بعض المحققين والمؤلفين المحدثين يتباهون بطول حواشيهم من غير طائل.. فترى سطرًا في المتن يتبعه صفحة كاملة حاشية وبحرف صغير.

يريدون بذلك إظهار معرفتهم، ومعرفتُهم هذه منقولة من الكتب، فلماذا

لا يقول في الحاشية: انظر الكتاب الفلاني وكفى؟

إن إطالة الحواشي تُقلق المطالع، وتُضيعه الأرقام والمعلومات الإضافية وتُشتت أفكاره؛ لأنه اقتنى الكتاب للمتن لا للحواشي.

كما لا يجوز الطعن بالمؤلف أو الموضوع في الحاشية،وللمحقق أن يفصل ذلك في دراسته قبل استعراض الكتاب.

فنحن لا ندعو فقط إلى اختصار المعلومات في الحواشي، بل ندعو أيضًا إلى استخدام الرموز بهدف إيجاز حجم الحواشي، ولا سيما الآن في عصر صار للورق ثمن باهظ،والبراعة في الإيجاز لا في الإسهاب.

وقد ينقل المحقق أو المؤلف حاشية من كتاب آخر مطبوع،فهذا يدل على تكاسل المحقق الثاني،وقد شهدنا معركة عنيفة جرت بين مؤلفين في الأدب الأندلسي، إذ اتهم المتقدمُ المتأخرَ بالسطو على حواشيه،فادعى الثاني أن نقله من المصدر نفسه،وضحك المتقدم قائلاً: إنني أخطأتُ بين القالي والفالي، وأنت تبعتني على خطئي،ومثلُ هذا السطو كثير في هذا العصر.

ومما يطيله بعضهم في الحواشي تعريفهم بالأعلام،إن التعريف بالاسم ضروري مثل ثعلب ونصير الطوسي، على أن يُقتصر التعريف به على اسمه الكامل، ولقبه وكنيته وسنة وفاته، وأهم مؤلفاته، بما لا يتعدى السطرين.

لكننا نجد من يعرف بعمر بن الخطاب، وعبد الملك بن مروان، والرشيد، والمأمون وهذا لا يجوز، ثم إن ذكرهم بهذا الإيجاز إهانة لهم لمقامهم الرفيع.

وقد أهداني أحدُ الأدباء المعاصرين كتابًا له في الأدب، وأراني افتخاره بطول الحواشي،ففوجئت بأنه يعرف بأبي تمام،والبحتري، وأبي نواس والمتنبي، وجاء تعريفه لكل واحد أكثر من خمسة أسطر أحيانًا،فقلتُ له: أتعبتَ نفسك،

وأرهقت قارئك، وضخَّمتَ كتابك بحواشيك هذه! فهم أعلام يعرفهم طالب المدارس الثانوية. ضحك وقال: هذا دعاية لكتابي، حتى يقال: إنه حافل بالحواشي.

إن هذا يدلُّ على أن المؤلف مخادع، ولا يجوز الأخذ بكتابه،ومثلُ هذا نراه عند بعض المحققين وغيرهم.

وكذا الأمر حين يعرف بعضهم بمكة، والمدينة، والقاهرة، ودمشق،فهذا مما لا يحتاج إلى تعريف، ويدل فاعله إما على أنه جاهل، أو أنه مخادع.

ونجد بعض أساتذة التحقيق يضعون حواشيهم طبقتين: الأولى لاختلاف النسخ ونقدها، وهي التي تهم العلماء، والثانية للشروح والتعريفات، وهذه تهم المطالعين وطلاب الجامعات،وهو عمل يدل على خبرة وصبر، ونرى أن يتبع في حال تزاحُم نقد النصوص، والشروح والتعليقات.

أما **ورق الحواشي** فالسائد -قبل الطبع طبعًا- أن يترك نصف الورقة الأسفل بياضًا لإنزال الحواشي،وكم كنا نعاني من تزاحم الحواشي وتداخل بعضها في بعض أحيانًا، في حين أن بعض الصفحات لا تحتاج إلى سطرين أو ثلاثة.

وتأتي معها مسألة ترقيم الحواشي في المتن والحاشية،فكثيرًا ما يقع رقم متأخر قبل متقدم،وكنا نشطب، ونصحح أسطر الحواشي،حتى اهتدينا بأخرةَ إلى ملء صفحات المتن كاملة،وحين نباشر بعملية الحواشي كنا نضيف صفحة خلف صفحة المتن؛ فالصفحة ذات الرقم (٧) مثلاً، نضع خلفها (٧ح) ونضع الأرقام بالرصاص كيفما اتفق، وفي النهاية نبيض فقط صفحة الحواشي، بعد تحبير الأرقام بحسب تسلسلها، وبذلك نستريح في عملنا، ويستريح الطابع في عمله،ويمكن استخدام ورق الحاشية بلون آخر.

فهرسة سور القرآن هجائيًّا

من يعمل في مجال التحقيق يضطر للرجوع إلى القرآن الكريم كل ساعة، وكلما مرت به آية.. لتوثيقها والتأكد من صوابها وضبطها،وفهرستُ القرآن الكريم مرتب بحسب تسلسل السور،فإذا أراد سورة الأنبياء أو يونس بحث عنها، وسيُضيع من وقته دقائق مع كل آية وسورة.

وحتى يصل الباحث إلى السورة فورًا، فإما أن يحفظ أرقام السور غيبًا، وهذا واجب ديني وعلمي معًا، أو يرجع إلى ترتيبنا الذي سنذكره فيما يلي. وننصحه -وهذا جزء من عمله- بأن يضيف في أقصى القسم الوحشي من ورقات نسخته القرآنية الخاصة رقم السورة على كل ورقة، فإذا أراد سورة إبراهيم (ورقمها ١٤) ذكر هذا الرقم على صفحات القرآن التي فيها سورة إبراهيم، ورآها في الفهرست بعد الهمزة والباء.

فإذا فعل المحقق ما ذكرنا أدرك الفرق في سرعة الوصول إلى السورة المقصودة، والآية فيها[1].

السورة	رقمها	رقم الصفحة	السورة	رقمها	رقم الصفحة
آل عمران	٣		الأحقاف	٤٦	
إبراهيم	١٤		الإخلاص	١١٢	
الأحزاب	٣٣		الإسراء	١٧	

(١) يذكر المحقق رقم الصفحة حسب نسخته الخاصة.

الأعراف	٧		الحديد	٥٧	
الأعلى	٨٧		الجاثية	٤٥	
الأنبياء	٢١		الحشر	٥٩	
الإنسان	٧٦		الدخان	٤٤	
الانشقاق	٨٤		الذاريات	٥١	
الأنعام	٦		الرحمن	٥٥	
الأنفال	٨		الرعد	١٣	
الانفطار	٨٢		الروم	٣٠	
البروج	٨٥		الزخرف	٤٣	
البقرة	٢		الزلزلة	٩٩	
البلد	٩٠		الزمر	٣٩	
البيِّنة	٩٨		سبأ	٣٤	
التحريم	٦٦		السجدة	٣٢	
التغابن	٦٤		الشرح	٩٤	
التكاثر	١٠٢		الشعراء	٢٦	
التكوير	٨١		الشمس	٩١	
التوبة	٩		الشورى	٤٢	
التين	٩٥		ص	٣٨	
الجمعة	٦٢		الصافات	٣٧	
الجن	٧٢		الصف	٦١	
الحاقة	٦٩		الضحى	٩٣	
الحج	٢٢		الطارق	٨٦	
الحجر	١٥		الطلاق	٦٥	
الحجرات	٩٣		طه	٢٠	

الطور	٥٢		القيامة	٧٥	
العاديات	١٠٠		الكافرون	١٠٩	
عبس	٨٠		الكهف	١٨	
العصر	١٠٣		الكوثر	١٠٨	
العلق	٩٦		لقمان	٣١	
العنكبوت	٢٩		الليل	٩٢	
الغاشية	٨٨		المائدة	٥	
غافر	٤٠		الماعون	١٠٧	
الفاتحة	١		المجادلة	٥٨	
فاطر	٣٥		محمد	٤٧	
الفتح	٢٨		المدثر	٧٤	
الفجر	٨٩		المرسلات	٧٧	
الفرقان	٢٥		مريم	١٩	
فصلت	٤١		المزمل	٧٣	
الفلق	١١٣		المسد	١١١	
الفيل	١٠٥		المطففين	٨٣	
ق	٥٠		المعارج	٧٠	
القارعة	١٠١		الملك	٦٧	
القدر	٩٧		الممتحنة	٦٠	
قريش	١٠٦		المنافقون	٦٣	
القصص	٢٨		النازعات	٧٩	
القلم	٦٨		المؤمنون	٢٣	
القمر	٥٤		الناس	١١٤	

النبأ	٧٨		النور	٢٤	
النجم	٥٣		الهُمَزة	١٠٤	
النحل	١٦		هود	١١	
النساء	٤		الواقعة	٥٦	
النصر	١١٠		يس	٣٦	
النمل	٢٧		يوسف	١٢	
نوح	٧١		يونس	١٠	

أدوات المحقق:

لا شك أن أساس نجاح المحقق في عمله هو ثقافته، لكنه يحتاج كذلك إلى أدوات تسهل عمله وتعينه على التحقيق المباشر، كما تعين الباحث في أبحاثه.. وسنعدد نماذج من هذه الأدوات من خلال تجربتنا ومدى احتياجاتنا؛ ومن نصائح من سبقونا وتفضلوا علينا بالنصح.

وسيدرك المحقق المبتدئ بعد حين أن الحاجة أم الاختراع، وأنها التي ستدفعه إلى وجوب وجود أدوات لا يمكنه أن يستغني عنها في إنجاز عمله، وهي كثيرة الشبه بأدوات الطبيب الجرّاح، والمهندس، والميكانيكي وكل حرفة يدوية، فلكل واحد ثقافة في موضوعه وأدوات في عمله.

ولا شك أن أولى هذه الأدوات هي المصادر الأساسية التي لا يستغني عنها محقق أو باحث،ونعتقد أن نجاح المحقق في سر صناعته والتي تتمثل في بعض الأدوات البسيطة، والتي منها:

١- **أنواع الورق**: وهو الأداة العظمى في عمله، ولا يقوم التحقيق -ولا

التأليف- بدونه،ولا يأخذنَّ الأخ المطالع أن هذه الأداة شيء بديهي، ومبذول في كل مكان،ومع أن كلامه سليم، فإن ما يميز ورق التأليف والبحث يختلف كليًّا عن أنواع الورق الأخرى،وهو أنواع:

أ- ورق نسخ المخطوط والدراسة الأدبية والتأليف: يجب أن يكون من الورق السميك (غير المقوَّى) المصقول الناعم غير ورق السحب الذي يُطوى من الطرفين حين الكتابة،ويشتريه المحققون من المطابع، ويطلبون قصه على أحجام واحدة، ثم يسطرون صفحة بالتسطير المناسب من حيث المسافات بين السطور،ويصورون الورق بناءً على الصفحة التي سُطرت،وغراماج ورق الكتابة ٨٠٪ ولا مانع من ١٠٠٪.

وإن الورق المسطر الذي يباع في المكتبات لا يصلح مطلقًا للتحقيق ولا التأليف؛ لأنه ورق رقيق سريع الانحناء عند الكتابة عليه، والمسافة بين أسطره ضيقة تنفع تلاميذ المدارس، وتضر بالتبييض،ولا يجوز تصغير الكلام المكتوب بحجة أن الورق غدا مكلفًا؛ لأن الكرم مفروض في الورق لتوضيح الكلمات، وضبطها، ووضع علامات الترقيم،وهذا كله (أعني الكرم) يعود عليه بالربح المجزي الذي يجنيه من الناشر حين يدفع بكتابه إلى الطبع.

ب- ورق البطاقات: وهو نفسه من نوع ورق الكتابة الذي اشتراه وقصه في المطبعة،ويطلب من البائع قص ورق البطاقات بالأحجام المناسبة له، والسائد هو (١٠×١٤) طولًا وعرضًا.

ولا يجوز للمحقق أن يقطع ورق البطاقات بالمشرط؛ لأن المسافات تختلف، ويفضل قصه بالسكين الكهربائية كي يكون ذا حجم واحد دقيق، سهل الرجوع إليه، والنقل منه.

ويستخدم هذه البطاقات لتسجيل خواطره، أو ملاحظاته، أو تعليقاته، أو حتى أفكار مقدمته، أو نقل نص، أو آية، أو شاهد شعري أو نثري، أو تعريف بعلم أو غير ذلك.

وكررنا بأن الواجب أن يكون المحقق أو الباحث كريمًا باستخدام البطاقات، وألا يكتب على الطرف الآخر من البطاقة، خوف ضياع ما سجل، وأن يكتب كل فكرة على بطاقة لا أكثر، حتى تتم عملية فرزها حين التعليق أو الدراسة،وإذا كان ما سجله على البطاقة منقولًا من مصدر أو مرجع وجب عليه توثيقه بذكر اسمه والصفحة المنقولة منه،وإن سها عن ذكر المصدر سقطت قيمة البطاقة علميًّا وأهملت.

وستكون هذه البطاقات سندًا له في مرحلة وضع الحواشي، أو كتابة نقد النصوص، أو الدراسة الفنية،ولا ننصحه بشراء بطاقات من الورق المقوَّى الجاهزة للبطاقات؛ لأن هذا مكلف جدًّا، ويأخذ حيزًا كبيرًا في صندوق البطاقات.

ج- **ورق المصادر والمراجع:** هو من نوع الورق الذي ذكرناه، ويسجل عليه أسماء مصادره ومراجعه التي اعتمدها،وله الخيار إما أن يستعمل البطاقات نفسها، أو نصفها.

ويكتب على كل بطاقة: اسم المرجع أو المصدر الذي رجع إليه، واسم المؤلف، واسم المحقق إذا كان تراثيًّا (ورمز له بالحرف ت، أي تحقيق)، أو اسم المترجم إذا كان مترجمًا، واسم دار النشر، والبلد، وسنة الطبع، الهجري أولًا ثم الميلادي إن أراد أن يذكرهما جميعًا[1].

---

(١) وانظر (المصادر والمراجع).

وكذلك لا يجوز له أن يكتب على بطاقات المراجع أكثر من مرجع واحد على كل بطاقة لتسهل عليه عملية ترتيبها هجائيًّا، سواء بحسب عنوان الكتاب، أو بحسب اسم المؤلف.

د - **ورق الحواشي**: وضحناه في حديثنا عن «الحواشي».

٢- **أنواع الأقلام**: الأقلام مبذولة في كل مكان وفي الأسواق، يكتب بها كل من أراد، كما يكتب بها المحقق مسوَّداته.

لكنه يحتاج إلى نوعين أساسيين من الأقلام، حبرُ كليهما أسود لا أزرق؛ لأن اللون الأسود مناسب للتصوير أفضل من الأزرق.

النوع الأول هو قلم ناشف يستخدم للمسوَّدات، والبطاقات،أما النوع الآخر فيخصص للنسخ والتبييض، ويكون مما يملأ حبرًا أسود سائلًا (باركر).

ولا ننصح المحقق المبتدئ المتسرع بأن ينقل المخطوطة على جهاز الحاسوب مباشرة، ذلك أن التحقيق لا يناسب هذا الجهاز؛ لشدة تنقل العين من المخطوطة إلى الجهاز؛ لأن بعض الكلمات والحروف والجمل يستغرق وقتًا لإدراكها،ثم إن الحواشي لا يمكن نقلها مباشرة، والأمر نفسه في مقارنة النسخ، ثم الكهرباء إن قطعت توقف العمل.

والأهم من ذلك كلِّه أنَّ عقل المحقق موجه كليًّا إلى المخطوطة وحل عقدها لا إلى الأزرار المركبة على الجهاز،ونحن لسنا ضد الحداثة ولا معاندين للتطور الحضاري؛ لأن للقلم الدور الأول في العمل، ودور الحاسوب يأتي في النهاية. فبعد أن ننتهي تمامًا من التحقيق والتحشية والنقد، سنتجه -آليًّا- إلى الجهاز لنصبَّ ما قمنا به فيه، كي نعدَّه للإخراج والإبراز.

ثم إن ضبط الكلمات وإنزال علامات الترقيم يتطلب جهدًا آخر، لا

يستطيع الجهاز أن يساعد في مرحلة النسخ،وما نقدمه هنا لا يعدو أن يكون تجارب عديدة لنا وتوجيهات لطلابنا.

٣- **العدسة المكبرة**: قد يجد المحقق المخطوطة التي بين يديه واضحة ومقروءة، وقد يفاجأ بسطر مشوه أو كلمة شبه مطموسة، فيحتاج إلى عدسة مكبرة توضح له الغموض.

والعدسات المكبرة أنواع: بعضها ضوئي، وبعضها غير ضوئي، بعضها يدوي، وبعضها يعلق على عمود،وهناك عدسات في أسفلها عدسة صغيرة تكبر كلمة واحدة أو حرفًا منها،فيتوقف أمام الغامض المشوَّه، ويصبر عليه بالتكبير حتى يحلَّ كله أو بعضه.

ولن ننسى أن علماء التحقيق أمضوا سنوات طويلة من عمرهم في العمل بالمخطوطات؛ وهنَ فيها العظم، وكلَّ البصر -حماهم الله- وننصحهم بأن يستعينوا بالعدسات المكبرة؛ خوفًا من أن يضل البصر عن حرف، فينهد له النقاد والمتصيدون فيهاجمونهم على زلة بصر، غير مقدِّرين ما فعل بهم القدر.

٤- **قارئة على الكهرباء**: قبل ربع قرن من الآن وربما أكثر كانت المخطوطات ترسل إلى المحققين على شريط ميكروفيلم،وهذا يتطلب تحميضه وإظهاره على ورق التصوير عند مصور،لكن ظلت المشكلة قائمة؛ لأن حجم ورق التصوير كان أصغر من حجم صفحة الكتاب المتوسط الحجم،وكانت الصفحة مشوَّهة من الأصل أو من التصوير، أو كانت بعض الأسطر متراكبة، أو ذات حبر خفيف واهٍ، أو ذات حبر كثير مطموس فاضطررنا إلى قارئة كهربائية، أو ساقط ضوئي - وهو قليل الوجود - نستطيع به تكبير الصفحة على الشاشة أو على الجدار الأبيض أكثر من عشر مرات من حجم الصفحة.

وقد يسهل علينا في هذه الطريق فك الرموز والغامض من الكلمات،وقد تيسَّر وجود قارئات حديثة في المعاهد والمكتبات تخفف من عناء القراءة،إضافة إلى أن المكتبات الخطية ترسل الصفحات مصورة على الفوتوكبي، وبإمكان المحقق أن يكبر الورقة أو بعضها بالحجم الذي يريحه في عمله.

٥- مادة التصحيح: لم يكن قبل عشرين سنة وجود لمادة التصحيح والتي تسمى «كوريكتور – Corrector» أي المصحح،فكنا نشطب أو نعيد كتابة الصفحة، أو نقصُّ القسم المشوَّه، ونرقعه بورق أبيض لنعيد كتابة ما أخطأنا به.

ومع أن هذا المصحح مفيد جدًّا، ومن أدوات المحقق الأساسية، فإن الاستفادة منه محدودة، ومحصورة في نقاط، وحروف، وحتى بضع كلمات، فماذا نصنع إذا اضطررنا إلى تغطية السطر والسطرين أو أكثر؟

في ذلك الزمان المعطاء كان في شعب البريد موظفون لبيع الطوابع البريدية، فكنا نرجو البائع أن يعطينا الورق اللاصق المحيط بالطوابع فنقصُّ منه ما نحتاج إليه، ونلصق على ما نريد إعادة كتابته، وكان هذا الاختراع فوزًا كبيرًا لنا.

وفي مطالع الثمانينات بدأت المطابع باستيراد صفحات من الورق الأبيض الذي يُقشع عنه الورق الأصفر الحامي، ليلصقوه في أعمالهم.. فاهتبلنا الفرصة، واقتنينا هذا النوع العظيم، وقصصناه في المطبعة على شكل شرائط ضيقة أقل من عرض السطر. وكنا ـ ومازلنا ـ نقص ونلصق ما نريد إخفاءه،وللعلم إن هذه اللصاقات لا تبدو في التصوير مطلقًا،وننصح باستخدامها وهي مبذولة في المطابع والمكتبات الورقية.

والهدف منه توفير احتياج المحقق إلى شطب أسطر عند الحاجة،فهو إن تخطى الشطب تشوَّهت الصفحة، وإن أعاد كتابتها أضاع وقتًا ثمينًا،فليلصق

وليكتب ما يشاء مطمئنًا، ويتلافى إعادة التبييض والعودة إلى الخطأ.

ولم نكن في أدوات التحقيق والتأليف اليوم مبدعين؛ فمنذ بدء مرحلة التدوين، والعلماء والأدباء كانوا يُعملون الفكر بطرقٍ لتصويب كتاباتهم، حتى إن بعضهم كان يغسل الورقة ويجففها ليعيد الكتابة عليها.. وكان غسل الورق عصرئذ ممكنًا.

ومنذ مطلع القرن الثالث ظهرت كتب تنبه على أهمية هذه الأدوات؛ فأبو القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي له كتاب في «كتاب الكُتَّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها»،وألف غيره كتبًا وفصولًا في أدوات الكتابة.

وكثر هذا النوع من التأليف بعد ظهور دواوين الإنشاء في الدولة واحتياج الكتَّاب إلى من يرشدُهم إلى استخدام أدوات الكتابة،وكان خير من كتب لهم القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى»، ولا سيما في الفصل: «فيما يحتاج إليه من الأمور العملية».. وفي ذكر آلات الخط.. والدواة.. وآلاتها.

* * *

ثقافة المحقق

المحقق والمصادر:

جرأة غير مهذبة حين أطالب المحقق بضرورة متابعة المصادر والكتب المفاتيح، لأن هذا الأمرَ بديهي عنده، ومن صلب واجبه العلمي،وأنا واثق أن ثقافته أعلى مما نحن بصدد الإشارة إليه.

لكنني أوجه خطابي لمن يريد خوض ميدان التحقيق، ولطلاب الدراسات العليا من الباحثين والمحققين،فالطالب في المرحلة الجامعية لم يكن يتناول المصادر تناولًا علميًّا، إلّا من أجل نقل بعض الأسطر لكتابة حلقات البحث البدائية. وليس الخطأ خطأه، بل خطأ طرق التعليم الفصلية الحديثة التي تعتمد الأمليات وزَرْقَ المعلومات السطحية زرقًا.

ويكتفي طالب اليوم بما يقدمه المعلم من أملية مطبوعة في إحدى المكتبات التجارية، فيريح طلابَه من عناء البحث! لكنه يسيء إليهم وإلى الوطن بعدم دفعهم إلى المصادر التي تحفل بها أرفف المكتبات الجامعية، إضافة إلى الكتب البيضاء والصفراء،فقد عوَّدنا أساتذتنا -رحمهم الله- تناول المصادر والمراجع الرئيسية والكتب المفاتيح، بأن كانوا يعطوننا المنهج المطلوب، ويملون علينا أسماء المصادر التي علينا تتبعها ودراستها، ونسل المطلوب منها بأنفسنا،ولم يكن يأتينا شيء في الامتحان مما كان يدرسه الأستاذ.

لذا كان سهلاً علينا خوضُ تحقيق المخطوطات؛ لأن ثقافتنا حافلة بهذه المصادر،بينما نرى طلابنا اليوم، ومنذ قرابة عشرين عامًا يعانون كثيرًا في التعامل مع المصادر؛ لأنهم يسمعون بأسمائها لأول مرة، وإذا تناولوها تناوُل الجاهلين.

لكن اليأس لا يجوز أن يعتريهم، فما في الدنيا شيء صعب إلا الكسل، ومن سار على الدرب وصل، ومن جَدَّ وجَدَّ نال ما يتمنى،ولهذا سيكون جهدهم في تثقيف أنفسهم مصدريًّا مضاعفًا في المرحلة الأولى، ثم يستقيم الأمر معهم بإذن الله.

وقد يحتاج المحقق المبتدئ إلى تثقيف نفسه بمعلومات هو أدرى من غيره بنقصها عنده، كالنحو والصرف، والبلاغة والعروض، وبعض المعلومات التاريخية، أو رتق معرفتهم لتاريخ الأدب،وكذا المحقق في الاتجاهات العلمية يحتاج إلى ما يلزمه ليطمئن إلى مباشرته بالتحقيق بشكل ناجح.

ثقافة المحقق المكتبية:

لا نعني بكلامنا هنا الحديث عن المصادر والمراجع، فله موضعه، إنما نعني كيفية دخول المكتبات العامة، ومعرفة طريقة الرجوع إلى أرفف المكتبات،وهذه ثقافة مهمة لا نظن كثيرًا يحسنونها بالدقة المطلوبة، وينتظرون العون من صغار القائمين على المكتبات لمساعدتهم.

والمكتبة بالنسبة إلى المحقق هي النَّسْغ الذي يرتوي منه لعمله في التحقيق،ولا يمكن أن يتصور باحث أو محقق أن يباشر عمله العلمي من غير الاعتماد الأكبر على المكتبات العامة ولهذا يُتطلب منه بادئ الأمر الاطلاع على أسماء المكتبات التي سيرودُها، ويعيش في رحابها، ويتجول في أروقتها.

فمن المهم جدًّا أن:

١- يكونَ المحقق مطلعًا على نظام كل مكتبة يزورها ويستعد للعمل على مناضدها،فلكل مكتبة أنظمة مرعية لا يجوز أن يخالفها، ولا أن يتخطاها. ولعل الواجب العلمي يحدوه لأن يتعرف إلى المسؤول، ويعرفه بنفسه وبالمهمة

التي أتى من أجلها، ويسأله عن شروط المطالعة، وشروط الاستعارة، وتناول الكتاب، والطريقة المتبعة في التصنيف.

ومن الضروري أن يعقد صداقة مع أحد موظفي المكتبة، كي يستعين به إذا وقع في مشكلة، ويسأله عن كل صغيرة وكبيرة تعترضه، ولا حياءَ في طلب المعرفة. وسيلقى من الموظف رحابة صدر في مساعدته وإرشاده، مادام المحقق لم يخرج عن قانون المكتبة.

٢- يكونَ ملمًّا بأصول تصنيف الكتب من المكتبة قبل أن تمتدَّ يده إلى أحد أرففها. وخبرته ستؤهِّله لمعرفة طريقة التصنيف: أهي على أساس الموضوعات؟ أم على أساس عناوين الكتب؟ أم على الأساسين معًا؟

هل هي على طريقة «دِيوي - Dewey» العشرية العالمية؟ وهي التي تضع رقمًا خاصًّا وثابتًا لكل علم من علوم المعرفة، وتفهرس الكتب معتمدة الأحرف الثلاثة الأولى حسب الترتيب الأبتثي الدقيق، ثم يضاف حرف رابع على الأرقام الثلاثة السابقة من أول حرف من اسم الكتاب، وهو التصنيف الشائع في معظم المكتبات العامة الصغيرة والكبيرة.

أم أن التصنيف جرى على طريقة مكتبة الكونغرس الأمريكية، والتي تعتمد حجم الكتاب ومساحته، ومكانه الثابت برقمه على رف معين.

أم أن المكتبة مرتبة على حسب الموضوعات، ويجري التصنيف العام بحسب الموضوع الأساسي، وفي داخل هذا الموضوع تصنيفات فرعية، فلموضوع التاريخ أرفف خاصة، وفيه: تاريخ العالم، التاريخ الجاهلي، تاريخ صدر الإسلام، فالأموي، فالعباسي.. وهكذا.

وبعد أن يستعلم من الموظف المتخصص عن طريقة تصنيف الكتب،

يختار أقرب منضدة توصله إلى الجناح الذي سيخدمه في بحثه،وسيتغير المكان طبعًا بتغير الموضوع الذي يعالج.

٣- وقد يضطر المحقق للسفر إلى بعض بلاد الغرب إذا كان الموضوع محددًا ولا يجد مراجعه إلا هناك، فلا بد من السفر ليستعين بالمكتبة المنشودة كالمتحف البريطاني في لندن؛ ليطلع على مخطوطات معينة أو مطبوعات كتبها المستشرقون أو حققوها باللغة العربية، وغدت نادرة جدًّا.

وسيفاجأ المحقق بقواعد مخالفة، ونظم مرعية لم تمرَّ به، وسيلقى تصنيفات مختلفة وسيفاجأ بمصطلحات ورموز وضعها المستشرقون،وهو إن عرفها سهل عليه الوصول إلى بغيته،صحيح أن الموظفين معتادون على تقديم العون، ويتحملون تساؤلات المراجعين، لكن المحقق يريد أن يخوض خبرته بنفسه، فلذلك لذة متميزة؛ فالمكتبات الغربية عالم مختلف كثيرًا عن عالم مكتبات العربية. لكن الأساس الأول في التعامل معها هو المصطلحات والرموز بما يخص المخطوطات والمراجع العربية.

ثقافته الجامعة:

إن عالم التحقيق بحر رحب الشواطئ، يتطلب من يخوضه أن يكون سباحًا وغواصًا في كثير من أنواع المعارف العلمية،ولذا لا يجرؤ أن يغوص في خضم التحقيق إلا من كان أستاذًا في الفنون، خبيرًا في مناهج البحث.

وهو بحاجة إلى ثقافة جامعة لبعض العلوم التي تُنجيه من المجاهل والمتاهات. وهي ثقافة ثابتة تنمو مع الأيام ومع توالي الأعمال العلمية،ويحتاج كذلك إلى ثقافة خاصة يفرضها موضوع المخطوطة:

أ- الثقافة العامة:

لا يجوز للباحث أن يباشر عمله العلمي بالتحقيق فهذا خطر على اسمه الذي يغار عليه، وعلى عمله الذي نغار عليه،والأفضل له أن يعمل في مجال البحث والتأليف، ويجرب قلمه وخبرته بكتابة مقالات قصيرة، ثم بأبحاث موسعة في مجال اختصاصه، حتى يلمَّ بأمور الكتابة على الورق والطباعة والنشر، ويدرك أبعاد صناعة الكتابة والكتب.

ويتعرف بالتالي إلى المصادر والمراجع، وكيفية تناولها، ونسل المعلومات منها، ويمضي أوقاتًا ذات بال بين رُدَهات المكتبات، ويشمَّ عبق غبار الكتب القديمة والحديثة، ويتقن منهج البحث خبرة ودراسة، وأصوله، واتباع مصادره.

ومعنى هذا أن المحقق يجب أن يكون باحثًا منتجًا أولًا، ذا تجارب عدة، حتى إذا أزمع خوض معركة التحقيق حقَّ له هذا الخوض،وهذا هو الذي اتبعه شيوخ التحقيق في القرن الماضي،فهم لم يبرعوا بالتحقيق إلا لأنهم كانوا باحثين علماء أصلًا، ومن أمثال: أحمد شاكر، ومحمد محمود شاكر، وشوقي ضيف، وخليل مردم، وسعيد الأفغاني.

وعليه أن يقرأ عددًا من المخطوطات المطبوعة والتي حققها أعلام من العرب ومن المستشرقين،وهو في الوقت نفسه يروِّض قدراته النفسية على العمل.

ومن المؤسف المؤلم أن نرى من يهجمون على أسوار تحقيق المخطوطات وأسلحتُهم بدائية لا تُجدي منفعة،ونزداد أسفًا وألمًا حين نراهم في مقدماتهم يتنَطَّعون ويتباهون، ويطعنون ويجرحون أعمال شيوخ كان الأجدى به أن

يعدُّوهم أمثولات له.

على أننا نتسامح مع طلاب الدراسات العليا بأن تكون تحقيقاتهم باكورة أعمالهم لوجود أستاذ مشرف ذي خبرة يتتبع خطاهم، ويوجههم سواء سبيل التحقيق، ويقوِّم اعوجاجهم،ثم إن رسائلهم لا تكون قاصرة على المخطوطة المحدودة وحدها، بل عليهم أن يدرسوا عصر المؤلف، وحياته، ومؤلفاته، ويعقدوا فصولًا في بحث مضمون المخطوطة وموضوعها،فهم يعملون عملًا مزدوجًا وموثقًا بالإشراف اليقظ.. البحث والتحقيق معًا.

وكلما ازدادت ثقافة المحقق وتشعبت توسَّع أفقه العلمي العام، وساعده على سهولة تناول التحقيق. ومن ثقافته العامة:

١- **الاطلاع على المعجمات اللغوية الأصلية**، ومعجمات المعاني القديمة، ومعرفة ميزة كل معجم، ومدى الفائدة منه،وتدخل المعجمات العلمية التخصصية في هذه الثقافة.

٢- **كتب فقه اللغة** مثل «الخصائص» لابن جني، وكتب النحو والصرف، فهي تعلمه سرعة الوصول إلى المفردات الغامضة والعويصة،وبالنحو تُدرك سلامة الجملة؛ جملة المحقق وجملة المؤلف،وبالصرف قد تفكُّ عقدة غامضة عن طريق الأوزان والاشتقاقات.

٣- **كتب لغوية تخصصية** تكون له دليلًا، مثل مفردات النبات للأصمعي وللدِّينوري،وكتب المشترك اللفظي، مثل «فيما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي، و«المنجد في اللغة» الكراع النمل الهنائي،وكتب المترادفات مثل كتب الأصمعي، وابن السكِّيت، وقدامة بن جعفر، والرمَّاني، وكتب الفروق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد (وسيأتي).

ومثل ذلك كتب الخيل، والمثلث اللغوي...

٤- **كتب تقويم اللسان من الألحان**، وكتب لحن العامة، ولحن الخاصة، وهي كثيرة.

٥- **كتب البلدان**: مثل «معجم البلدان» لياقوت، و«معجم ما استعجم» للبكري.

٦- **كتب تراجم الأعلام**: وهي أكثر من أن يحاطَ بها، والعرب أول من ألف فيها وأوسعهم في كتب التراجم،والمحقق إذا أراد أن يُعرف بعَلَم، يجب أن يعرف طبقته، واتجاهه، وعصره، ونوع مؤلفاته، فيصل بسرعة إلى مبتغاه:

أ- فإذا كان من الصحابة رجع إلى كتبهم مثل «الاستيعاب» لابن عبد البر، و«الإصابة» لابن حجر العسقلاني، و«أسد الغابة» لابن الأثير.

ب- أو أراد تراجم المفسرين نظر في «طبقات المفسرين» للسيوطي، ومثله للداودي...

ج- أو تراجم المحدثين فعنده العشرات، مثل «التاريخ الكبير» للطبري، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي...

د- أو كتب أصحاب المذاهب الأربعة، فعندنا كتب في طبقات الشافعية، وكتب للحنفية، ومثلها للمالكية، والحنبلية...

هـ- أو أراد تعريفًا لرجال الشيعة، فعندنا «الرجال» للكشي، والنجاشي، والطوسي، و«معالم العلماء» لابن شهر آشوب، و«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين، وهو حديث.

و- أو تراجم القراء، فمنها «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعمار»

للذهبي، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري...

ز- أو تراجم اللغويين والنحاة، فهناك «مراتب النحويين» لأبي الطيب اللغوي، و«أخبار النحويين البصريين» للسيرافي، و«بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي.

ح- ومن كتب رجال التصوف: «طبقات الصوفية» للسلمي، و«صفوة الصفوة» لابن الجوزي...

ط- وكتب تراجم الشعراء كثيرة، وموزعة تاريخيًّا وأدبيًّا، ومنها «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام، و«معجم الشعراء المحدثين» لابن المعتز، و«المؤتلف والمختلف» للآمدي، و«معجم الشعراء» للمرزباني، و«الأغاني» لأبي الفرج...

ي- ومن كتب الأدباء والأعيان «معجم الأدباء» لياقوت، و«وَفيات الأعيان» لابن خلكان، وذيليه...

ك- وإن شئنا كتب الأنساب، فهناك: «المؤتلف والمختلف» لابن حبيب، و«الإكمال» لابن ماكولا، و«الأنساب» للسمعاني، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير...

ل- كتب أصحاب القراءات: وثقافة المحقق تتطلب منه معرفة القراء السبعة، والعشرة، والأربعة عشر، ومعرفة أصحاب القراءات الشاذة،ومن هذه الكتب: «شواذ القراءات» لابن خالويه، و«المحتسب» لابن جني، و«إعراب القراءات الشواذ» للعكبري...

فقد يذكر المؤلف آية فيها قراءة شاذة لغرض يتطلبه النص، فقد يتسرع المحقق فيصوِّب ما ذكر المؤلف، ويبدي إعجابه من المؤلف، ويعيب عليه

عدم حفظه للقرآن،في حين أن هذا التصرف يُفقد المحقق الهدف الذي قصد إليه المؤلف.

والأمر نفسه إذا رأى المؤلفَ يذكر حديثًا على رواية يحفظ المحقق غيرها فيصوِّب رواية المؤلف،وثقافته تطالبه بمعرفة وجود روايات عدة أحيانًا للحديث الواحد،وقد سميت أقوال النبي «حديثًا»؛ لأنه يروى شفاهًا، ويسمع سمعًا،فقد يُنقل بعض ألفاظ الحديث بناء على ما يُسمع.

وعليه في هذه الحال ـ في القراءة الشاذة، وفي الرواية المخالفة ـ أن يثبت ما قاله المؤلف في المتن، ويعلق في الحاشية على ما شاء،وإذا لم يجد لرواية المؤلف ذكرًا يشير إلى أن هذه الرواية أو القراءة غير مذكورة في المظان.

م- ولتوثيق الأحاديث النبوية، خير المصادر كتابا الصحيحين للبخاري ومسلم، ثم كتب أصحاب السنن: النَّسائي، وأبي داود، وابن ماجه والترمذي،وإذا وقع الشك أهو حديث نبوي أو غيره فكتاب «كشف الخفاء ومُزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» للعجلوني.

وإن كان الحديث موضوعًا استخرجه من مظانه مثل: «تذكرة الموضوعات» لمحمد بن طاهر المقدسي، و«الموضوعات» لابن الجوزي، و«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي.

ن- ومن كتب غريب القرآن كتاب «غريب القرآن وتفسيره» لليزيدي، و«غريب القرآن للسجستاني»، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة، و«مفردات غريب القرآن» للراغب الأصبهاني،أما كتب غريب الحديث فخيرها «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، و«الفائق» للزمخشري.

س-ومن ثقافته بالكتب أن يدرك الفروق بين الضاد والظاء، وهي من اللهجات

السائدة عند العرب،فقد يختلط الأمر عند النساخ بين هذين الحرفين، فيلتبس عليهم شيء من أمر اللغة.

والمحقق يجب ـ وهو كذلك ـ أن يكون ذواقة مميزًا لدقائق العربية فلا يكفي النسخ الدقيق الأمين، بل يحتاج إلى كثير من الوعي اللغوي.

من ذلك ـ نموذجًا ـ هذا الفرق بين الضاد والظاء،فيظن أن الناسخ عليم باللغة، في حين أن كثيرًا منهم لا يجيدون سوى الخط الجميل.

وقد نبه على هذه المعرفة الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، من ذلك قوله[١]: «وردَ عليَّ أمرٌ عَظَّني ـ يعني عَضَّني ـ لأن العض لا يكون إلا بالنواجد والأنياب، والعظّ: لكل أمر مثل الحرب والشدة من الدهر».

وقولهم في الظاء: فرس ظالع مثل غامز،وقد ظَلع ظَلعًا: إذا غمز.

وفي نظيره قولهم: فرس ضليع: قوي الضلوع، وضَلُعَ ضَلاعة،وفرس مُضْلع: ضعيف الضلوع..

وبعد، فهذا استعراض موجز جدًّا لما يلزم من مصادر وكتب وموضوعات تخص وتخدم المحقق والباحث،ولا شك أن كل محقق يعتمد بعض المصادر، ويجعلها أساسًا لعمله،وربما كان ما ذكرنا من هذه الكتب أو غيرها، ومادام المحقق مطمئنًا إلى مصادره فنحن مطمئنون إلى إنتاجه،وتتغير مكتبة المحقق بحسب موضوع المخطوطة.. وقد تزيد أو تنقص، أو تتحول من تاريخ إلى أدب، إلى لغة..

٧- **التأريخ**: وهو من الثقافة العامة التي يحتاج المحقق إليها،ويحدونا الواجب بادئ الأمر إلى وجوب استخدام أرقام التأريخ استخدامًا سليمًا؛ فلا

---

(١) الفرق بين الضاد والظاء: ٧.

يجوز لنا أن نستخدم سنة وفاة أحد الصحابة، أو العلماء، أو تاريخ خلافة أحد الخلفاء المسلمين، أو سنة حدوث معركة ذات السلاسل، أو أحد، أو حطين... بالأرقام الميلادية، كقول بعضهم: توفي مهيار الديلمي عام ١٠٣٧م، والإمام مسلم عام ٨٧٥م، فإن أراد المحقق ذكر الميلادي فليذكر السنة الهجرية أولاً، ثم ما يعادلها بالميلادي، فنقول: توفي الإمام مسلم (٢٦١هـ= ٨٧٥م).

ولا نستخدم السنوات الميلادية إلا بدءًا من القرن التاسع عشر، أو كل ما يخصُّ الفرنجة في حديثنا؛ فلنا تقويمنا ولهم تقويمهم، ونعدل بذكرهما معًا.

وللمحقق الحرية في ذكر التواريخ أرقامًا أو كتابة، وإن كنا نميل إلى تدوينها كتابةً في النصوص الدينية، والتاريخية، والأدبية، واللغوية، ونتسامح في ذلك بالمخطوطات العلمية،على أن ينتهج المحقق طريقة واحدة في كتابه كله، فمن غير المستحبِّ أن يكتب الأرقام حينًا والحروف حينًا، إلا إذا كان نصًّا موثقًا، فينقل كما ورد عن مؤلفه.

ويقع المحقق في المخطوطة على مصطلحات قديمة تدل على تحديد في التأريخ، فمن المفروض أن يعرفها، من ذلك:

- الغُرَّة من الشهر: ليلةُ استهلال القمر،يقال: أنهيتُه غرَّةَ شهر كذا، أي في مطلعه. ويقال لثلاث ليال من الشهر: الغُرَرُ والغُرُّ، تشبيهًا بغرة الفرس في جبهته؛ لأن البياض فيه أولُ شيء فيه، وكذلك بياض الهلال في هذه الليالي أولُ شيء فيها،وهذا دليل على أن الغرة ليست خاصة بالليلة الأولى.
- وقالوا للعشر وما دونها: خَلَونَ وبقِينَ، مثل: «لتسعٍ بقِينَ أو خلون من

رمضان»، وهم ذكروا العدد لصيغة الجمع.

- وقالوا لما فوق العشرة: خلت وبقيت؛ لأنهم ذكروه بالمفرد، نحو «لإحدى عشرة ليلةً خلت»، أو «لسبع عشرة ليلةً بقيت»،وخصوا تأريخهم بالليلة؛ لأنها أول الشهر عندهم.

ويؤرخون لأول الشهر بقولهم: «كتب لأولِ ليلة من رجب» أو لغرَّته، أو مَهَلِّه، أو مستهلِّه،ويؤرخون لآخره بقولهم: «لآخر ليلة بقيت من شعبان، أو سِراره، أو سَرَرِه، أو سلخه، أو انسلاخه»[1].

- ويقولون: في بُكرة يوم الأحد: أي في صباحه.

- ويقولون: في مستهلِّ جُمادى الآخرة أي في مطلع الشهر المذكور،ولا يقال: جَماد، بل جُمادَى،وجمادى الأولى، وجُمادى الآخرة.

- مع أن الأرقام المشرقية والمغربية من أصل هندي، وللعرب فضلُ نشرهما في العالم، فإننا نفضل الأرقام المشرقية في التأريخ والترقيم، ما لم تكن المخطوطة مغربية؛ لأنهم أصحاب هذه الأرقام.

- ويحرِّف الفرس الأرقام العربية في رسمهم لها، ويلاحظ المحققون رسم حروف مخالفة إذا كان الناسخ فارسيًّا أو عثمانيًّا،فنحن نرسم الثلاثة بسن واحدة (٢) وهو عندهم الرقم اثنان (٢)، ويرسمون الأربعة (٤) كالعين المفتوحة البطن (۴)، والستة (٦) كالعين المائلة إلى الأعلى (ع) ، والصفر دائرة مفرغة كالسكون.

٨- **علم العروض**: من الضروري للمحقق في المجالات الأدبية واللغوية أن يلمَّ إلمامة كاملة تقريبًا في علم العروض، وأسماء البحور؛ فقد يصادف بيتًا

---

(١) وانظر معجم النحو للدّقر: ٢٣٩.

مكسورًا، أو ممدودًا، أو ناقصًا، أو فيه زحاف،وكلما شك في بيتٍ قطعه ووزنه ليتأكد من استقامته، ولا سيما إذا لم تكن أذن المحقق موسيقية،ومن العيب بمكان أن يعرض المحقق المتخصص في العربية مخطوطته بعد أن ينسخها على متخصص بالعروض، أو ينشرها كما هي، وفيها ما فيها من معضلات عروضية.

وليس عيبًا ألا يكون المحقق ذا أذن موسيقية، لكن العيب أن يمرَّ في المخطوطة ببيت أو أبيات مختلَّة الوزن،وإن كان عنده صبر قطع أبيات الشواهد كلها، أو على الأقل الأبيات التي يشك فيها.

٩- **المصادر والكتب المفاتيح**: وتكتمل ثقافة المحقق العامة باطلاعه على المصادر الأساسية واحتكاكه الدائم بها،فلابد للمحقق الأديب من معرفة كتاب «الأغاني» لأبي الفرج، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه، وكتب الأدب الأربعة التي لا يُستغنى عنها.

فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته[١] : «سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيُّن للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي».

أما الكتب المفاتيح فهي مجموعة من الكتب الأساسية يؤدي استخدامها إلى فتح سبل الباحث والمحقق في عمله وتُبلغه مقصده بسرعة إلى الأعلام الرئيسية والثانوية، والموضوعات العامة والخاصة،وقد سميت بالكتب المفاتيح؛ لأنها السبيل إلى طَرق المصادر والمراجع في أي بحث يبتغيه الباحث والمحقق،وهي أشبه بإبرة الخيَّاط أو بسمِّ الخياط الذي يباشر

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٥٢٢.

الخياط بخياطة الثوب الذي يريده.

ولا تفتح أبواب المكتبة إلا بهذه المفاتيح العظيمة،وهي كتب عديدة، غير أننا نستعرض أسماءها بإيجاز مع تعريف بسيط بما يقوم كل مفتاح منها،ومع أننا تعرَّضنا لمعظمها في كتابنا، فإن جمعها بين أنظار الباحث والمحقق يفكره دومًا بوجوب الرجوع إليها أولًا في كل موضوع يعنُّ له.

وأهمها:

أ- **كتب تاريخ الأدب**: تسهل للباحث معرفة العصور الأدبية، وأهم الأحداث التاريخية التي صاقبت أعلامًا بعينهم أدباء كانوا أو علماء بشتى موضوعاتهم. وهو علم عرفه العرب منذ القرن الثامن عشر، وألف فيه عدد من مؤرخي الأدب، وقدموا لنا كتبًا مفاتيح تفتح لنا أبواب المعرفة، **ومن هذه الكتب:**

١- تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان.

٢- تاريخ التراث العربي - فؤاد سيزكين.

٣- تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان.

٤- تاريخ الأدب العربي - عمر فروخ.

ب- **دوائر المعارف**: هي كتب شاملة لمعظم المعارف العامة، يؤلفها نخبة من العلماء؛ إذ لا يمكن لهذه الموسوعات أن يقوم على تأليفها عالم واحد غالبًا. ويجمعون موادها موثوقة، ويرتبون هذه المواد ترتيبًا هجائيًّا دقيقًا بحيث يصل الباحث إلى ما يريد بسرعة.

وأطلق على دوائر المعارف اسم الموسوعات أيضًا؛ لأنها تشمل تعريفًا

بمجمل العلوم والآداب والتواريخ وأعلام كل جانب.. كلٌّ بحسب الحروف الأولى من اسمه.

وقد ظهرت أول ما ظهرت في فرانسة بين ١٧٥١- ١٧٧٧م على يد فيلسوفين فرنسيين هما ديدرو ودالنبير، ثم شرع الغرب والعرب يؤلفون هذه الموسوعات.

وقسموا هذه الدوائر إلى نوعين: دوائر عامة تشمل كل ما يحيط بنا، ودوائر خاصة تجمع كل ما تلزم معرفته في علم أو موضوع معينين،**ومن أهم هذه الموسوعات الضرورية:**

١- **الموسوعة الإسلامية:** وهي أضخم الموسوعات في مجالها،وتضم كل ما يريد الباحث معرفته عن العرب والإسلام من تاريخ، وفكر، وعلوم، وأعلام، وقد تُرجم معظمها إلى العربية في مصر حتى الآن.

٢- **دائرة معارف البستاني:** هي أول موسوعة عربية، بدأ بطرس البستاني بتأليفها عام ١٨٨٣م، ولم تكتمل حتى الآن.

٣- **دائرة معارف القرن العشرين:** صنعها محمد فريد وجدي ت ١٩٥٤م بعشر مجلدات وطبعها عام ١٩٢٥م.

٤- **الموسوعة العربية الميسرة:** وضعها عدد من علماء مصر، وطبعت عام ١٩٥٩م، وهي تشمل المعارف العامة والخاصة، العربية، والإسلامية والغربية.

ج- **كتب الكتب:** إذا احتاج الباحث إلى معرفة اسم الكتاب أو اسم مؤلفه، وفي أي عصر كان موجودًا، أو يريد أن يتأكد من صحة عنوان الكتاب ومضمونه أحيانًا، **فلابد له من أحد المفاتيح التالية:**

١- **الفهرست**: للنديم.

٢- **كشف الظنون**: لحاجي خليفة. وهو أوسع كتاب في تعريف الكتب، وذكر أسمائها وأسماء مؤلفيها،ويتميز بل ينفرد بتعريف للعلوم والفنون وكل ما ألف فيها،وهو مرتب ترتيبًا هجائيًّا دقيقًا لأسماء الكتب والفنون جميعًا.

٣- **إيضاح المكنون**: لإسماعيل باشا البغدادي،أتمَّ به ما غفل عنه حاجي خليفة أو ما أضيف عليه،وهو مرتب على ترتيب كشف الظنون، فاعتبر تتمة له،فما لم يجده الباحث في الأول وجده في الثاني.

د- **كتب الأعلام**: جمع فيها المؤلفون أبرز من عُرف منذ القديم حتى زمان المؤلفين. فهم يذكرون اسم العلم باسمه، أو بشهرته، أو بنسبه، أو بلقبه، أي بحسب ما اشتهر به،مع سنوات ولادته ووفاته وأهم ما يعرف به، إضافة إلى المراجع التي تساعده على الوصول إلى تعريف مفصل عنه،ومن **أشهر هذه الكتب**:

١- **الأعلام**: للزركلي،وهو كتاب عام عن الأعلام العرب والمسلمين وكل من له دور في صلته بهم من الغربيين.

٢- **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحالة،جمع فيه أسماء من له كتاب أو أكثر من المؤلفين العرب والمسلمين، مع تعريف موجز بكل علم، وذكر لأهم أسماء مؤلفاته،فهو متخصص بذوي الإنتاج وأصحاب المؤلفات،ومن هنا تأتي أهميته.

ب ـ الثقافة الخاصة:

١- موضوع المخطوطة:

تتحدَّد هذه الثقافة بالكتاب المعدّ للتحقيق وبالمؤلف صاحب الكتاب،فإذا

كانت المخطوطة في الطب مثلاً توجَّب على المحقق أن يدرس تاريخ الطب العربي، وأشهر أعلامه، والمؤلف ومؤلفاته وعصره.

وإذا كانت المخطوطة تاريخية، فلابد للمحقق من أن يحيط بالمرحلة المحددة وما يدنو منها وما يليها،فإذا كان موضوع الكتاب عن الدولة الفاطمية بمصر، لزم أن يدرس الدولة الإخشيدية في مصر، والدولة الفاطمية في تونس، وكيف انتقلت إلى مصر، وكيف حكمت، وأهم الأحداث التي واكبتها والصليبيين في فلسطين، وكيفية وصول صلاح الدين إلى مصر، وإنهائه حكم الفاطميين بعد وفاة العاضد آخر خلفائهم.

وهذا كله ثقافة خاصة، يعدّ أرضية ممهدة لتحقيق أحد المؤلفات الخاصة بمرحلة الحاكم بأمر الله مثلاً، أو تاريخ ابن مَمَّاتي..

أما إذا كانت المخطوطة أدبية فالموضوع يفرض على المحقق أن تكون ثقافته الخاصة أوسع وأعمق من غيرها؛ لأن الأدب رحب الأرجاء، متماسك الموضوعات،فمن أراد مثلاً تحقيق «تتمة اليتيمة» للثعالبي توجب عليه دراسة حياة الثعالبي، وأشهر مؤلفاته ولا سيما «يتيمة الدهر» كما يدرس العصر العباسي في القرن الخامس الهجري من الناحية التاريخية، وانقسام الدويلات شرقًا عن جسم الخلافة، ودور هذه الانقسامات في الحركة الأدبية، ودراسة السلسلة الأدبية التي افتتحها الثعالبي في يتيمته والأسباب التي دعته إلى تأليفه «تتمة اليتيمة» بعد عشرين سنة من اليتيمة.

كما لابد من دراسة الكتب التي ذكرها المؤلف، وذكر أنه استفاد منها؛ فقد يعينه الموجود منها كثيرًا على حل الغموض العالق في كثير من الشواهد الشعرية.

هذه الثقافة الخاصة التي أفاد منها لتحقيق الكتاب المذكور، وستنتقل بعد انتهائه من عمله هنا إلى دائرة ثقافته العامة، التي بإمكانه أن يسترجعها إذا ما قام يومًا بعمل أدبي أو تاريخي مشابه أو قريب منه.

٢- فن الخط:

ومن ثقافته الخاصة والمهمة دراسة فن الخط العربي، لا لكي يصبح خطاطًا، أو يؤلف في هذا الموضوع كتابًا، بل ليعرف نوع الخط الذي نسخ به الكتاب الذي سيحققه، فدراسة تاريخ الخطوط تعرِّفه إذا كان خط الكتاب كوفيًّا، أو نسخيًّا، أو ثلثًا، أو رقعة، ويتعرَّف بالتالي عصر كل خط، وميزات رسم حروفه، ومدى انتشاره،وهل كان الناسخ دقيقًا في أسلوب خطه أم جاهلًا به.

وهذه المعرفة الفنية تخدمه كثيرًا في أعماله في مجال التحقيق، وفي فك رموز الكلمات المغلقة، ذلك أن لكل خط طريقة في رسم الحروف،فإذا لم يجد في الكتاب ما يشير إلى زمان نسخه، توقع مرحلة تقريبية من نوع الخط ولون النِّقْس.

ومعلوم أن العرب باشروا بنسخ القرآن والكتب وكتابة الرسائل بالخط الكوفي،واستمرت الكتابة به حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وأن هذه المرحلة لم تكن الكتابة فيها مشكولة بشكل واسع، وغالبًا لم تكن منقوطة،ولم يكن الخط الكوفي أصلًا يتقبَّلُ التنقيط والشكل؛ لأن أساس خطه هو الرسم الهندسي والذي يكتب بالمسطرة والمثلث والمنقلة.

لكن الناس استصعبوا الخط الكوفي؛ لأنه يأخذ وقتًا أطول في النسخ،فظهر ابن مقلة (ت ٣١٤هـ) وولداه وأخوه علي، حيث أوجد الخط النسخي، فأحبه الناس وأقبل المؤلفون والنساخ عليه،فحصل استقرار شبه كامل للخط النسخي حوالي مئة سنة،وبعدها ظهر الخطاط الكبير ابن البوَّاب (ت٤١٣هـ)، فنظم

الخطوط المشهورة، ووضع لها قواعد ناظمة،وهو الذي أوجد الخط الريحاني الرقيق، لكنه لم يلق شهرة في الكتابة كشهرة الخط النسخي وكسهولة كتابته.

وفي عهد الخليفة المستعصم بالله (ت ٦٥٦هـ) ظهر الخطاط العظيم ياقوت (ت ٦٩٨هـ)، والذي تخلَّصَ باسم الخليفة الشهيد، فسمي «ياقوت المستعصمي»، وبه اكتملت سلسلة الخطوط الأساسية، والتي: أشهرها الكوفي، والنسخي، والريحاني، والثلث والمحقق... إلى جانب أنواع الخطوط الفارسية.

ومع أن الخطوط الفارسية كانت متداولة في بلادهم، وتنسخ فيها الكتب العربية التي يؤلفونها، إلا أنها لم تنتشر في الأرض العربية إلا منذ أيام ياقوت المستعصمي،وبلغ مرحلة كبيرة من الشهرة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري أي في العهد العثماني، ومعه خط الرقعة،ولم يتغير شكل الخطوط منذ عهد ياقوت حتى اليوم.

وحين افتتح المسلمون المغرب والأندلس حملوا معهم الخط الكوفي -وهو المشهور عصرئذ- فكتب به أهل المغرب وتصرفوا بما يلائمهم:

١- بتسلسل الألف باء العربية: فهم غيروا ترتيب الخليل من غير أن نعرف السبب، فجاءت الحروف الأحد عشر الأولى من أ- ز على النسق المشرقي، ثم رتبوها بعد الزاي كما يلي:

ط ظ، ك ل م ن، ص ض، ع غ، ف ق، س ش، هـ و، لا، ي.

٢- بتنقيط السين والشين، بحيث وضعوا للسين المهملة ثلاث نقاط تحتية، وللشين المعجمة ثلاث نقاط فوقية.

٣- بمحافظتهم على الخط الكوفي، لكنهم طوَّروه بالنقط والشكل، وكسر زواياه وجعلها أشبه بالدوائر والانحناءات،فأخذ طابعًا متميزًا، ولهذا

سمي بالخط المغربي، أو الخط الإفريقي، أو الأندلسي.

وقد امتد انتشاره جنوبًا إلى أواسط إفريقية، وغربًا إلى أقصى المغرب العربي بما في ذلك الأندلس.

فما كتب الأندلس قيل له: أندلسي، وما كتب في شمالِّي إفريقيةَ سمي الخط المغربي، وما كتب به في السودان والمناطق السوداء سمي إفريقيًّا،وحين أخرج العرب من الأندلس انتشر خطهم في إفريقية كلها، وقلَّ الاهتمام بالخطوط الإفريقية الأخرى[1].

أما الفرس فلم يغيروا من الخط والألف باء سوى أنهم:

١- ألحقوا كل حرف من الحروف الأربعة الخاصة بهم بما بعده:

ب پ، ج چ، ز ژ، ك گ.

٢- قدموا الواو على الهاء، ليجعلوا كل ما هو واوي قبل الهاء،وكل ما هو يائي بعدها، ولعل هذه الحسنة هي الوحيدة عندهم،وعليه رتب المعجميون الفرس مواد معجماتهم كالزمخشري والفيروز آبادي،وقلدهم العثمانيون في هذا الترتيب.

هذا موجز لتطور فن الخط العربي والإسلامي، عرضناه ليدرك المحقق أهمية هذه الثقافة الخاصة، والمرتبطة بالتحقيق تمام الارتباط،وإذا أراد الاستزادة في هذا الموضوع فالكتب العربية والمترجمة مبذولة جدًّا.

ويدخل في موضوع الخطوط العربية موضوع النقط والشكل،فحين أحسَّ العلماء بتفشِّي اللحن والخطأ باشروا - منذ القرن الأول - بتلافي هذا النقص،

---

(١) وانظر مقدمة ابن خلدون: ٣٦٧.

ويبدو أن فساد اللغة بدأ منذ منتصف القرن الأول، وكان أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) أول من عمل على تذليل اللحن،وحلَّ نصر بن عاصم - في عهد عبد الملك - مشكلة التنقيط،في حين أن تحريك الحروف وضعها الخليل (ت ١٧٠هـ).

* * *

إعادة طبع المخطوطات

لقد وضع فحول التحقيق الأوائل قبيل منتصف القرن الماضي ركائز وقواعد للتحقيق سار عليها تلامذتهم ومَن بعدهم،فقاموا بتحقيق عدد كبير من المخطوطات حتى ذخرت بها المكتبات العامة والخاصة،وحتى ساد اعتقاد بين المثقفين والباحثين أن الجزء الأكبر من المخطوطات المهمة تمَّ نشره،في حين أن ما نشر حتى الآن لا يبلغ عشر المخطوطات.

وتساءل بعض المحققين: هل يمكن إعادة نشر مخطوطة سبق نشرها ورأوا لذلك أسبابًا وجيهة، منها أن أحدهم اعتمد نسخة واحدة، متعللاً بعسر الوصول إلى نسخة أخرى، أو أن بعضهم لم يحققها بما تستحق..

وبدأ الجيل الثاني من المحققين، يتميزون بالإخلاص، وبتتبع النسخ الخطية الأخرى وجمعها، والمقارنة بينها، وإبرازها إبرازًا جديدًا خيرًا كثيرًا من السابقة. وبهذا الرعيل الجديد تجرأ آخرون على إعادة نشر ما كان قد نُشر،فإذا بباب إعادة طبع المخطوطات قد فتح على مصراعيه لجيل يتحلى بالنشاط والتحديد.

ومع أن الفضل يعود على من حقق الطبعة الأولى، وقرأها بعناء، وأقرأها بسهولة، وفك غامضها، فإن ما قام الخلف تكميل للسلف.

لكن ما يؤلمنا حقًّا أن بعض المحققين من الجيل الجديد يكثرون من الطعن والتجريح بأعمال من سبقوهم، ولا سيما المستشرقون.

فالمستشرق ـ مَن كان ـ الذي خدم العرب وكانوا غافلين،وأمضى شطرًا من حياته ووكدهِ بتحقيق بعض الكتب والدواوين، يأتي آخر لينشر ما نشره فيشرع بالطعن، ويتهمه بالقصور،فنقدُ النص واجب وكذا الأدب واجب،بل

إن بعضهم هاجموا الأعمال العظيمة لآل شاكر وهارون وشوقي ضيف،ونحن نوافق على إعادة طبع النسخ الخطية للوصول إلى الطبعة الأكمل، ولكن ليس على حساب الطعن بالآخرين،ونرحب بأي عمل فيه خير، مستفيدين من التقنيات الحديثة، واكتشاف نسخ جديدة بعد أن غبر على السابقات قرابة قرن من الزمان. **ووضعت شروط لإعادة النشر وقواعد ناظمة ومادامت المخطوطة ستأخذ حلة جديدة. وأهم هذه الشروط:**

١- التأكد من أن المحقق الثاني جمع النسخ كلها، مما لم تحظَ به الطبعة الأولى.

٢- ضرورة اعتبار الطبعة الأولى إحدى النسخ التي تقارن في نقد النص،وبالتالي عقد مقارنة بين تلك الطبعة والنسخ الخطية الجديدة.

٣- الإشارة إلى كل ما أخذ من الطبعة الأولى بما في ذلك الحواشي.

٤- عدم التجريح والترفع عن الطعن؛ فهذا لا يُعلي من شأن المحقق الثاني، بل يسيء إليه،وليتخذ علماءَنا الأسبقين أمثولة له،فالزَّبيدي إذا رأى عيبًا قال: «عجبًا كيف غاب عنه هذا وهو العالم الكبير؟».

وكثيرة هي المخطوطات المطبوعة بحاجة إلى إعادة نظر وإعادة إخراج لأسباب عديدة، منها: الاكتفاء بنسخة واحدة، أو عدم إخلاص المحقق في عمله، أو عدم اختصاصه الذي تتضمنه المخطوطة؛ فمع جلالة قدر أحمد محمد شاكر لم يكن يعرف الفارسية ولا العبرية ولا غيرها من اللغات الشرقية حين حقق «المعرب» للجواليقي،علمًا أن المؤلف نفسه لم يكن يعرف غير العربية فاجتمع الاثنان بلا جدوى،وجاء المحقق الثاني فنقل وتعب من غير خبرة أيضًا،فمثل هذا الكتاب يجب أن يخدم خدمة كبيرة لأهميته بطبعة جديدة ثالثة.

ونرى أن يعاد طبع «القانون» لابن سينا، و«المفردات» لابن البيطار، وأمثالهما من الكتب العلمية؛ لتوفر المتخصصين اليوم في حقل العلوم،شريطة أن يكون الإبراز الأخير بلغ غاية من الكمال.

* * *

طبع المخطوطات بالتصوير

يعمد بعض علماء الاستشراق الغربيين والشرقيين إلى تصوير النسخة الخطية إذا كانت نسخة فريدة، ومقروءة بخط واضح تمامًا.. ويكثر هذا النوع من التحقيق في الكتب الخطية الصغيرة.

فيصورها المحقق من غير حاجة إلى نسخها، ويعلق عليها صفحة صفحة. بمعنى أنه يعلق وينتقد على الصفحة المقابلة للصورة،كما فعل غضنفر علي ييف الروسي في نشره قصيدة «شيرين وخسرو» الفارسية للشاعر الهندي أمير خسرو دهلوي، وعدة أبياتها حوالي عشرة آلاف بيت.

وهذه العملية سهلة جدًّا، تساعد كثيرًا على عملية نشر المخطوطات،وقد تمكِّن محققًا آخر يُقدم على تحقيقها، ويشتغل عليها،وهذا عمل مقبول ولكن يجب أن يشار إلى المستشرق الذي أبرزها أول مرة: كما أن نشرها الأول لا يفيد كثيرًا؛ لأن نقد النص والتعليق عليه مكتوب باللغة الروسية أو أي لغة أخرى،وإذا كان المحقق العربي يعرف هذه اللغة، وأفاد منها وجب أن يذكر مدى الفائدة التي جناها ونوعها.

ونأتي بأمثلة أخرى توضح عمل طبع المخطوطات بالتصوير، فقد يخطر ببال أحد أن يشتغل على مخطوطة منها،و«الرسالة الثانية»[1] لأبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي (ت نحو ٣٩٠هـ)، نشرها وترجمها وعلق عليها الروسيان بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف.

وهي مؤلفة من ست عشرة صفحة بالحجم الصغير،وقد أبرزاها مصورة

(١) كذا كتب اسمها على الغلاف، وهي في المخطوطة «الرسالة الأخرى» وطبعت في موسكو عام ١٩٦٠م بدار النشر للآداب الشرقية.

ومنسوخة، وأضافا عليها أكثر من مئة صفحة تعليقاتٍ وهوامش، وكان عدد صفحات نسخها أربعين، ذكراها أولًا، ثم اتبعاها باللوحات المصورة،وكان عملهما في غاية الدقة.

والمخطوطة الثانية هي «رفع الإصر عن كلام أهل مصر» تأليف يوسف المغربي (ت ١٠١٩هـ)، وقد حققها وقدَّم لها عبد السلام أحمد عواد،وقد عرَّف المحقق بالمؤلف والكتاب بتسع صفحات، ثم عرض لوحات المخطوطة بمئة وسبع وسبعين صفحة من غير أي تعليق،ولكنه ختم الكتاب بفهارس علمية دقيقة. ويمكن لأي محقق أن يحقق الكتاب وينشره ثانية، وقد طبع ضمن سلسلة آثار الآداب الشرقية بموسكو عام ١٩٦٨م.

ومثل ذلك فعل «فون مْزيك – Von Mzik»، حيث نشر كتاب «الوزراء» للجهشياري عام ١٩٢٦م،ثم قام بتحقيقه من جديد مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري عام ١٩٣٨م،ذلك أن الكتاب نسخة فريدة في العالم، وكما يقول برجستراسر[١]: «وهو في غاية الصعوبة، ولا يوجد من يتجاسر على تصحيح نصه ويجتهد في شرحه،وكانت الحاجة إلى نشره ضرورية، فلابد من نشر الصور الشمسية».

فهذا التصوير مثال على أن النسخة المتوفرة صعبة، ونسخها عسير، ومع ذلك فقد حققه هذان العالمان العربيان مشكورين[٢].

فإذا كنا نثني على تصوير المخطوطات تصويرًا شمسيًّا بقصد العلم، وبقصد إعادة نشره محققًا، فإننا نرفض طرقًا أخرى بقصد الكسب التجاري بغير حق،فقد يعمد الناشر إلى تصوير نسخة من كتاب قد قام محققها بنقدها

(١) أصول نقد النصوص: ١١٣.

(٢) طبع الكتاب في مصر عام: ١٩٣٨م.

وتحشيتها منذ أكثر من خمسين سنة،فيصورها بعد أن يُسقط من التصوير الدار الناشرة الأولى وسنة النشر عمدًا حتى لا يجرَّم في عمله هذا، فيغنم مالًا كبيرًا،واشتهرت إيران بهذا التصرف؛ لأنها لا تخضع لقانون حقوق الطبع، ولا تدفع للمؤلف أو المحقق شيئًا.

بل إن بعض دور النشر تسقط اسم المحقق عمدًا، كما حصل لكتاب «لباب الآداب» تأليف الأمير أسامة بن منقذ الشيزري (٤٨٨-٥٨٤هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر؛ فقد أسقط الناشر اسم المحقق أحمد محمد شاكر تمويهًا،ولو أن الناشر أبقى اسم شيخ المحققين لكان لكتابه هذا قيمة معنوية ومادية كبيرة،وكما فعلت مصر في كتاب «عجائب المخلوقات» الذي طبع في أوروبة أولًا، ثم أعيد طبعه من غير اسم المحقق الأول.

على أن بعض المحققين يدَّعون تحقيق بعض الكتب المصوَّرة بعد أن يَعدوها نسخة خطية، أو يأخذون ديوانًا محققًا، فيحذفون اسم المحقق الغربي، ويغير قليلاً من معالم الطبعة السابقة، ويعزو العمل إلى نفسه وهذا تسلط على حق الغير، وإغارة مرفوضة.

* * *

الفهارس العامة[1]

لم يكن علماؤنا الأقدمون يتوسعون بصناعة كتبهم،وقصارى ما كانوا يعمدون إليه ذكر تقديم لعمل الكتاب، وهو أشبه بالتمهيد من الفهرسة.

وقد نجد المؤلف يذكر في أول الكتاب قائمة بالموضوعات التي يريد أن يتطرق إليها في كتابه ضمن مربعات، أو عرضًا غير متكافئ ولا مرقم الورقات، وحتى مثل هذه الفهرسة قليلة جدًّا، والفائدة منها قاصرة، أو معدومة.

والحق أن المستشرقين سبقونا في فن صناعة الفهارس سواء في كتبهم التي يؤلفون، وفي المخطوطات العربية التي يحققونها وينشرونها،وأحسب أنها دخلت إلينا مع دخول المنشورات الخطية،ولا يعني هذا أن الكتب التي كان أدباؤنا وعلماؤنا يطبعونها بعد ظهور الطباعة معدومة الفهارس بل كانت موجودة، ولكنها تقتصر على محتوى الكتاب بفصوله وأبوابه.

وأعني بالفهارس العامة الفهارس العلمية الدقيقة التي تُغني الكتاب، وتوصل الباحث والمطالع إلى كل صغيرة وكبيرة داخل الكتاب،ونحن نحثُّ طلاب العلم على عدم شراء كتاب غير مفهرس بمجموعة من الفهارس،وصرنا نعدُّ الكتاب غير المفهرس غير ذي جدوى، ونصفُ ناشره بالتكاسل، وأنَّ من لا يعمل الفهارس العلمية مقصِّر جدًّا في تحقيقه للكتاب أو تأليفه.

فالفهارس مرآة للمحقق المخلص، الصبور على إخراج الكتاب، العالم المدقق الغيور على خدمة مطالعي كتابه،ونرجو السادة المحققين أن يواصلوا العمل في الفهارس العامة بثقة وإتقان وتنويع،وعملهم هذا يكمل فيهم

---

(١) كلمة «فهرس» فارسية، عربها العرب بأشكال عدة! فهرس، فهرست، فهرسة، وجمعوها على فهارس| وللمحقق أن يستخدم ما يشاء منها.

صفة المحقق الثَّبت؛ ذلك أن معظم المخطوطات غُفل من الفهارس والجداول والمضمون. صحيح أن المخطوطة تعرف من عنوانها إذا كانت أدبية، أو تاريخية، أو نحوية، أو علمية،لكن تفصيل المضمون وجزئياته يظل مجهولاً، ومفتاح المضمون هو الفهارس العامة، وهو نفسه السلم الذي يرتقي الباحث به إلى ما يبتغي.

متى تصنع الفهارس؟

بينما ينسخ المحقق مخطوطته ويقارنها لا يجوز أن يغيب ذهنه عن نوع المخطوطات التي يحتاج إليها، ولا أن يقوم بأي فهرست إلا بعد أن ينتهي تمامًا من نسخ المخطوطة، وبعد أن يطبعها ويصحح تجاربها، وتكتمل عملية ترقيم الصفحات؛ لأن الأرقام تنزل في الفهارس بناء على الترقيم الأخير للكتاب،وإن أي تبديل بالأرقام يضطرك إلى إعادة صناعة الفهارس كلها؛ لأن المطالع يمتلك نسخة الكتاب المطبوع، وأرقام الفهارس يجب أن تكون مصاغة عليها.

وإن كانت المخطوطة معدة لرسالة ماجستير أو دكتوراه، فإن وضع الفهارس يكون بعد طبعها على الحاسوب وتصحيحها،وإن أي خطأ في أرقام الفهارس يقلل من قيمة الرسالة إن لم يكن سببًا في رفضها.

ولا شك أن صناعة الفهارس شاقة ومضنية، وتتطلب وقتًا طويلًا وصبرًا متينًا، لكنه عمل مطلوب وأساسي،وقد يصعب الأمر على شخص واحد، مهما تحلى بالصبر العلمي، والثبات على العمل، ومع ذلك لا يجوز أن يُشرك المحقق أحدًا معه في العمل، حتى وإن كان معيدًا له أو تلميذًا، خوفًا من الوقوع في الأخطاء؛ إذ لا يجوز للمحقق عندئذ أن يعتذر فيقول: «أخطأ تلميذي»؛ لأن التقصير كله منوط به،ومثله مثل مرتكب الذنب، فهو وحده الذي يعاقب.

ولا يعتذرنَّ المحقق بكثرة الأشغال، وبضيق الوقت، فعذره واهٍ ومرفوض. ويمكنه أن يرجئ عمل الفهارس حينًا حتى يتفرغ له، أو يوكل عمل الفهارس إلى أحد أنداده العلماء،عندئذ يتنصَّل المحقق من تبعة الخطأ، وينقل الجهد الحميد أو غير الحميد إلى صانع الفهارس العامة،وعندئذ يتوجب على المحقق أن يسجل في الكتاب اسم من قام بصناعة الفهارس للأمانة والحق والتبعية،كما فعل العلامة جواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»،فقد قام نديم مرعشي بوضع فهرسة الكتاب، والذي تضمن الجزء العاشر منه، وكتب عليه اسم صانع الفهارس.

أنواع الفهارس:

تختلف نوعية الفهارس من كتاب تأليف إلى كتاب تحقيق، ومن موضوع إلى موضوع؛ فللكتاب الأدبي فهارس تختلف عن فهارس كتاب تاريخ أو جغرافية، ومن كتاب علمي يحتاج إلى موضوع واحد إلى كتاب آخر يعالج عدة موضوعات علمية، وغير ذلك، إضافة إلى فهارس دواوين الشعر الخاصة.

فمضمون الكتاب هو الذي يحدد فهارسه العامة، والمحقق نفسه يعرف أكثر من غيره ما يحتاج إليه كتابه من فهارس،وكنا ذكرنا قبل قليل أن المحقق لا يثبت فهارسه إلا بعد خلاصه من التحقيق والطبع، ولكنه لا يغيب عن ذهنه نوع الفهارس التي يحرص على صنعها،وربما كان من الأفضل أن يكون قد سَجّل ذلك في بعض بطاقاته خوف النسيان بطاقات الفهارس .

ومهما اختلفت مضامين الكتاب، فهناك أساسيات لا يجوز تخطيها، وفهارس لابد من صنعها، ولا يُستغنى عنها، وهي:

محتوى الكتاب- الأعلام- المصادر والمراجع

غير أننا سنتحدث عن معظم الفهارس المحتملة وكيفية صناعتها، لتكون له قدوة وأنموذجاً، وهي:

١- فهرسة الآيات الكريمة.

٢- فهرسة الأحاديث الشريفة.

٣- فهرسة الأمثال والأقوال المأثورة.

٤- فهرسة الأشعار العامة.

٥- فهرسة الأشعار الخاصة.

٦- فهرسة الأعلام العامة.

٧- فهرسة اللغة.

٨- فهرسة أسماء الكتب الواردة في المتن وذكرها المؤلف.

٩- فهرسة الموضوعات، أو فهرسة الفنون الشعرية كديوان الأعشى وأبي تمام.

١٠- فهرسة المصادر والمراجع العربية.

١١- فهرسة المجلات والدوريات والموسوعات.

١٢- فهرسة المراجع الأجنبية.

١٣- فهرسة المعربات.

١٤- فهارس الكتب العلمية: **وزيادة على ما سبق هنا:**

أ- فهارس للعقاقير.

ب- فهارس للأمراض.

ت- وفي البيطرة فهارس في: صفات الخيل- أمراضها.

١٥- فهرسة محتوى الكتاب.

عدة المحقق في الفهارس:

لكل عمل في الكتاب عدة خاصة، وعدة صانع الفهارس **بطاقات خاصة ذات ثلاثة أحجام:**

١- بطاقات صغيرة لا يزيد حجم الواحدة على علبة الكبريت، أو حجم نصف البطاقة العادية: للأعلام.

٢- بطاقات عادية ترتب عرضانيًّا: للآيات والأحاديث.

٣- بطاقات ضيقة مستطيلة: للأشعار.

ويجب أن تكون من ورق صقيل سريع الكتابة عليه، وسميك لا ينحني عند الكتابة عليه، ولا يجوز أن يكتب على الطرف الآخر من البطاقة لأي سبب كان. وتكون أحجام البطاقات واحدًا لكل نوع، ويقصُّها المحقق في المطبعة على المقص الكهربائي، كي يسهل ترتيبها بدقة.

ويفضل أن يكون عدد البطاقات كافيًا للعمل وزيادة، حتى لا يضطر إلى القص ثانية فتختلف الأحجام،وإذا احتاج المحقق إلى أكثر من بطاقة للعلم الواحد رقَّم البطاقات وذكر معها اسم صاحبها مثل: أبو تمام (١)، وأبو تمام (٢)..

بدء العمل بالأعلام:

حتى إذا أعدَّ المحقق بطاقاته باشر بالقراءة من السطر الأول للمخطوطة،

وسيقرأ المخطوطة مرتين على الأقل، وأربعًا على الأكثر؛ المرة الأولى لاستخراج الأعلام كلها: الأشخاص، الأماكن، الجبال.. والمرة الثانية لاستخراج المفردات. وكلاهما على البطاقات الصغيرة،والمرة الثالثة لاستخراج الآيات، والأحاديث، والأمثال (إن لزم)، والأشعار، والرابعة الأخيرة لتسجيل موضوعات الكتاب، وهذه من غير بطاقات.

يباشر المحقق بالقراءة، وكلما وصل إلى علم ذكره على أيمن البطاقة، وإلى جانبه رقم الصفحة،وإن تكرر الاسم الواحد في الصفحة أكثر من مرة اكتفى بذكره مرة واحد، وبعضهم يكون أكثر دقة فيذكر بين هلالين عدد تكراره مثل: البحتري ٧ (٣)، أي أن اسم البحتري في الصفحة السابعة ورد ثلاث مرات، وإذا كان ذكر العلم وقع في الحاشية وضع الحرف (ح) بعد الرقم مثل: البحتري ١٤ (ح)، أي أنه لم يرد في المتن بل ورد في الحاشية في الصفحة المذكورة.

وفي كل مرة يرد اسم البحتري أو غيره في الصفحات وضعه في بطاقة خاصة.

وسيأتي ذكر سبب ضرورة التكرار،ولكن إذا كان العلم الواحد كثير التكرار وضع بطاقته على طرف، وكلما ورد ذكره في صفحة زاد على الرقم السابق الرقم الجديد؛ فقد يرد الاسم في الكتاب خمسين مرة مثلاً.

ويستمر المحقق بالقراءة ونقل البطاقات حتى نهاية الكتاب،عندئذ يرتب البطاقات بحسب التسلسل الهجائي: الحرف الأول، فالثاني، فالثالث.

والأفضل أن يقسم البطاقات إلى ٢٨ قسماً: ما أوله همزة، ثم ما أوله باء، ثم ما أوله تاء... إلى ما أوله ياء.

ثم يأخذ الأسماء المبدوءة بالهمزة فيقسمها إلى ما ثانيه باء، ثم ما ثانيه تاء..

ثم ينتقل إلى الحرف الثاني، أي ما أوله باء، وبعده همزة، ثم ما بعده باء إلى آخر الأحرف.

ثم تأتي مرحلة التنقية، فيكتب الأرقام التي ورد فيها البحتري، فيجمعها كلها في بطاقة واحدة، ويرمي الباقي،ولكن شريطة أن تكون الأرقام متسلسلة الأصغر فالأكبر على التوالي، مثل: البحتري: ٧- ١١- ١٨- ٢٣- ٣١.. وكلما فرغ من نقل حرف بشكل كامل رمى البطاقات الأخرى حتى لا يضيع بين ركام البطاقات.

ويستمر على عمله الدؤوب حتى ينتهي من بطاقات الأعلام تمامًا،**وقبل أن يبدأ بعملية التبييض ينظر في الأمور التالية:**

١- **الكنى**: أي ما أوله: أبو، ابن، أم. وله أن يبقيها كما هي، فيكون ما أوله ابن قبل ما أوله أبو، وبعدهما ما أوله أم، مع مراعاة التسلسل الألف بائي بعدهما؛ فابن جني قبل ابن المعتز مثلاً، وأبو تمام قبل: أبو الفرج.. وهكذا،أو أنه يُسقط الكنى من الحسبان فيضع: (أبو) تمام بالتاء، و(أبو) الفرج بالفاء.. وهكذا. المهم أن يسير بترتيبه على نسق واحد، إلا إذا كان اسم العلم مثل ابن خلدون فيضعه بالهمزة.

٢- أسماء الجبال والأنهار: له أن يقول: دجلة، العاصي، الفرات، النيل،كل بحرفه، أو أن يذكر: نهر دجلة، فنهر العاصي، فنهر الفرات، فنهر النيل.. كله بحرف النون مع مراعاة تسلسل الحروف بعد كلمة (نهر).

٣- الحرف المبدوء بالمدّ يسبق الحرف المبدوء بالهمزة،لأن المدة حرف مركب من همزة بعدها ألف، مثل: آدم، آزر،...

٤- الأعلام المبدوءة بأحد الأحرف الأربعة (پ، چ، ژ، گ) الفارسية وهذا

يعني أن الأعلام أعجمية،الأفضل أن يدمج ما أوله باء عربية مع ما أوله باء فارسية، وكأنهما حرف واحد،وكذا سائر الأحرف الأعجمية،سواء في ذلك الأحرف في أول العلم أو في وسطه.

مرحلة تبييض الأعلام:

بعض أن تُرتب الأعلام ألف بائيًا بدقة يضع المحقق أو الباحث عنوان الفهرسة (فهرسة الأعلام: الأشخاص والأماكن) بعد ثلاثة أسطر من الأعلى، ويقسم الصفحة إلى جدولين يبدأ بالجدول الأيمن فيضع عنوان المدّ ويسجل الاسم وبعده نقطتان (:) ثم يذكر الصفحات الوارد الاسم فيها، مثل آدم: ٧- ٩- ٣١- ٧٦... ثم الاسم بعده بالتسلسل، وهكذا.

ثم يضع عنوان (أ)، ويبدأ بالتبييض بحسب التسلسل الدقيق في الأسماء والأرقام، إلى آخر الياء.

علمًا أن بعض المحققين يفصِّل في فهرسة الأعلام فيجعله مجموعة كبيرة: فهرسة الأعلام الأشخاص، فهرسة القبائل والأمم، فهرسة الجبال والأنهار والمدن والقرى.. باسم فهرسة الأماكن والمواقع، فهرسة المذاهب والفرق.. ونحن أحببنا أن نجمع ذلك كله في فهرسة واحد؛ لأن ما ذكرناه كله أعلام بارزة.

وقد اخترنا للمحقق أن يفهرس للأعلام أولًا؛ لأنه أصعب الفهارس وأطولها لكن الترتيب السليم أن يكون رقم فهرسة الأعلام هو الخامس.

١- فهرسة الآيات الكريمة:

جرى العرف السليم أن يكون الفهرست الأول هو الآيات،يعود المحقق إلى كتابه فيقرؤه ثانية، ويضع إلى جانبه البطاقات العريضة لينقل على كل بطاقة

آية مع ذكر رقمها، واسم سورتها، ورقم السورة ورقم الصفحة،وعلى بطاقات أخرى الأحاديث النبوية، كل حديث على بطاقة يذكر معه رقم الصفحة من الكتاب. وبعده يسجل الشعر على البطاقة الطويلة المستطيلة.

حتى إذا أتمَّ قراءة الكتاب كله، ونقل البطاقات بدقة يعمد أولاً إلى فهرسة الآيات الكريمة،فيكتب في ثالث سطر: ١- فهرسة الآيات الكريمة،ويرتب الآيات حسب تسلسل السور: الفاتحة أولاً، ثم البقرة، ثم آل عمران.. وهكذا.

فيضع عنوانًا في وسط السطر (سورة الفاتحة- رقم ١)، ويسجل تحتها الآية ورقمها، ورقم الصفحة التي وردت في الكتاب،ثم يضع عنوانًا في وسط الصفحة (سورة البقرة- رقم ٢)، ويسجل تحتها الآيات الواردة في الكتاب بحسب تسلسل أرقام السور، من غير تقديم أو تأخير،وإلى جانب السورة من الطرف الأيسر رقم الصفحة في الكتاب.

وقد تردُ الآية الواحدة عدة مرات في عدة صفحات، فيكتب إلى جانب رقم الصفحة (أعلى اليسار طبعًا رقمًا آخر، أو أرقامًا)، ولا يجوز طبع الآية خطأ مطلقًا. وإن أنزل المحقق الآيات من برنامج القرآن في جهاز الحاسوب، وجب أن يراجع الآيات بعد طبعها خوف نزول آية مكان أخرى شبيهة بها،وقد حصل معنا مثل هذا.

٢- فهرسة الأحاديث النبوية:

هو الفهرست الثاني،يرتب المحقق الأحاديث بدقة بحسب أوائل الأحاديث، ويسجل كل واحد على سطر، ويذكر في الطرف اليسار رقم صفحة ورود الحديث، وكلها تحت عنوان «فهرسة الأحاديث»،ولا حاجة إلى ذكر الأحاديث على رواية أخرى حسب رواية ما في الكتاب،وله عند الضرورة أن

يشير إلى الروايات الأخرى في الحاشية حتى لا يأخذ عليه أحد ملاحظة: ولا حاجة إلى ذكر مصدر الحديث مطلقًا؛ لأن هذا حصل في موضعه من المتن.

ولا حاجة إلى تسويد الآيات ولا الأحاديث ولا غيرها، تنقل كلها مباشرة من البطاقات إلى المبَيَّضة؛ كسبًا للوقت وضمانًا من الوقوع في الخطأ.

٣- فهرسة الأمثال والأقوال المأثورة:

تعمد إلى ترتيبها بحسب أوائل الحروف الثلاثة، ولا تحتاج إلى توثيق المثل وتضع مصدرك عنه؛ لأنك فعلتَ ذلك في حواشي المخطوطة،ومهمتك الآن التبييض المباشر الدقيق، ووضع كل مثل بين هلالين صغيرين «...»، وفي أقصى يسار المثل تضع رقم صفحة وروده في الكتاب،وفي كل مثل تضعه على سطر، أوله تحت أول سابقه، كما فعلت في السابق، وتفعل في اللاحق.

٤- فهرسة الأشعار الخاصة:

ونعني بالخاصة قصائد الشاعر إذا كانت المخطوطة ديوانًا للشاعر ليس غير. وترتيب الفهارس الشعرية عسير قليلًا ويحتاج إلى كثير من الدقة،فأنت تستعرض البطاقات الشعرية بدقة،**وتضم كل بطاقة على سطر واحد:**

أ- الكلمة الأولى من أول بيت في القصيدة.

ب- ثم آخر كلمة من البيت الأول مشكولة الرويِّ، وضبطه ضروري جدًّا.

ج- ثم عدد أبيات القصيدة أو القطعة.

د- **اسم البحر:** وهو ضروري الذكر للمطالع كي يعرف إذا كانت القصيدة هي المطلوبة أو غيرها، ثم رقم الصفحة التي وردت فيها القصيدة إلى أقصى اليسار.

كل ذلك على سطر واحد،وإن رأيت أن السطر الواحد لا يكفي تصغِّر حجم حرف الفهارس الشعرية، حتى تأتي هذه المعلومات على سطر واحد.

تعود إلى البطاقات الشعرية فترتبها أولًا بحسب الرويِّ؛ فما آخره همزة أولاً، وبعده ما آخره باء، ثم ما آخره تاء..إلى ما آخره ياء.

تعود ثانية إلى ما آخره همزة فترتبه حسب ما يلي:

تبدأ بالرويِّ الساكن، ثم بالروي المفتوح، وفي آخره ما خُتم بضمير متصل مفرد مذكر هاء مفردة، وبعدها هاء مع ألف للمفردة المؤنثة، ثم بالهاء مع الميم للجمع، ثم بالهاء مع النون للجمع المؤنث، ثم ما ختم بالمثنى، وإليك المثال، ورتب على نسقه:

مساءَ- مساءَه- مساءَها- مساءَهم- مساءَهنَّ- مساءهما.

أو مساءَ- مساءَك- مساءكم- مساءكن- مساءكما،إذا كان الروي همزة طبعًا. وقد تجد رويًّا مختومًا بواو، فتفعل الأمر نفسه.

لماذا كل هذه الدقة؟ نحن لا نصعِّبُ الأمر علينا إلا لنسهِّلها على الباحث والمطالع؛ فتوالي الروي من غير ضمير يقلل من المعاناة في البحث،فإذا أراد الباحث الوصول إلى الروي بهمزة وحدها رآه بسهولة، أو أراد رويًّا مع ضمير رآه كذلك بسهولة،وهذا عمل مثالي، والمحقق الجيد يجب أن يكون عمله مثاليًّا.

فانظر مثلاً ديوان الأخطل بتحقيق فخر الدين قباوة تجده رتَّبَ فهارس الشاعر على ما ذكرنا، مثل: الغبارا، أخبارَها،لكنه وضع الروي المختوم بـ (ها) قبل المختوم بالهاء : وحُسَّرُ، جِرارُها، حَجَرُهْ، وحريرها: فهو لم يراع توالي الضمائر، لكنه أحسنَ ترتيب قوافيه الخالية من الضمائر.

وما كل المحققين يكون دقيقًا، بل نجد بعضهم لا يدقق مطلقًا؛ فبعضهم يرتب الرويَّ بحسب حركته، وبعضهم لا يعتني مطلقًا؛ ففي ديوان الأعشى بتحقيق م. محمد حسين نجد المحقق يورد الروي ضمن الحرف الواحد من غير اعتناء كما في روي الدال في الديوان، فيدون:

قاصدا- المسهّدا- دد- تمجيدي- زاد- موعدا- رقادها- العبيد- يبيد.

بل نجد أسوأ من هذا في ديوان المتنبي طبعة صادر، إذ لا نجدهُ يرتب فهرسة الأشعار على حسب آخر كلمة مع الروي، بل يكتفي بذكر صدر البيت أو بعض صدره مما رويُّه همزة، أو باء،ومثل هذه الفهرسة مرفوض قطعًا؛ لأن رويَّ البيت هو الأساس لا أوله، فمن منا يحفظ الديوان أو بعضه؟

على أن بعضهم يسقط أول البيت، ويكتفي بالكلمة الأخيرة من البيت، بحجة أن صدر البيت غير مهم، والمهم هو القافية مع الروي،وهذا ما يفعله عدد من المحققين،وهذا مقبول شريطة أن يرتب فهرسة الشعر على ما ذكرنا فوق،ويُلاحظ أن فهرسة الديوان تبدأ أولاً لأهميتها.

٥- فهرسة الأشعار العامة:

وهذه الفهرسة ذات شقين: الأول إذا كانت المخطوطة ديوانًا: فالمؤلف قد يورد أبياتًا في شرحه أو تعليقه لشاعر آخر بدافع المقارنة أو الاقتباس، فهذه تُفهرس وحدها تحت عنوان «فهرسة الأبيات لغير الشاعر»،وقد يجمع المحقق الفهرستين معًا، وعليه ذكر اسم الشاعر الآخر.

والشق الثاني إذا كانت المخطوطة كتابًا أدبيًّا، والمؤلف يستشهد بالشعر وبغيره لضرورة يراها.

أما ترتيب هذا النوع من الفهارس فهو نفسه الذي ذكرناه آنفًا، ولكن

يجب إضافة اسم صاحب البيت أو الأبيات،وقد يستشهد بالبيت الواحد غير مرة، فعندئذ تضيف أرقام الصفحات التي ورد فيها البيت، بشرط الترتيب، مثل ٣، ١١، ٣٧...

٦- فهرسة الأعلام العامة:

وهي التي فصَّلنا الحديث عنها مسبقًا، لكن مكانها العلمي هنا،فنُنزل صفحات هذه الفهرسة هنا ونتابع ترقيم الصفحات.

٧- فهرسة اللغة:

بعض المستشرقين يصنعون فهرسة لجميع مفردات الكتاب،ومع أن هذا العمل جليل، ويبين المفردات التي استخدمها الشاعر في عصره، فإنه عمل مضن جدًّا، ونفضل **أهم المفردات التي وردت في الكتاب**، ولتكن من نوع معين.

فبعد أن يضع المحقق خطة لنقل المفردات، ينقل كل لفظة على بطاقات من البطاقات الصغيرة وإلى جانبها الأيسر رقم الصفحة من الكتاب،وهو ينقل المفردة بحسب مشتقاتها أو استعمالاتها،ونعلمه مسبقًا بأنه أمر عسير وطويل، لكنه عمل مفيد في البحث اللغوي للباحثين.

وهو ينقل؟ آثم، آثمات، مأثم، أثَمَ.. وحين ترتيب البطاقات يذكر المصدر أولاً على البطاقة ويذكر صفحاته، ثم يتبعه بالأفعال، فالمشتقات على بطاقة واحدة، فيقول مثلاً: الإثم: ٧. أَثِمَ: ١١، الآثم: ٣٩، الآثمات: ٤٠، مأثم: ٧٦.. وهكذا. حتى إذا أتمَّ نقل البطاقات، ورتب كل مادة مع مشتقاتها باشر بالتبييض على جداول أكثر من اثنين لضغط عدد الصفحات، وهذا ممكن.

فيضع عنوان «فهرسة اللغة» في أعلى الصفحة بالوسط،ثم في أول سطر من الجدول الأول يضع عنوان «الهمزة»، ويبيض البطاقات بحسب الحرف

الأول، فالثاني، فالثالث،وبعد الهمزة يضع عنوان «الباء»، ويدون المفردات بأأ، بأب، بأت.. وهكذا إلى آخر الحروف الهجائية وقد يتمُّ التبييض بأكثر من عشر صفحات أو أكثر من عشرين.

٨- فهرسة المعربات:

قد يلاحظ المحقق أن المؤلف يكثر من الألفاظ المعربة والدخيلة، ويشرحها أو لا يشرحها، وقد يعلق المحقق على المشروح، أو يشرح المعربات التي لم يشرحها المؤلف،فيكتب المحقق كل لفظة معربة على بطاقة، ويذكر رقم الصفحة أو الصفحات التي وردت في الكتاب، ويضع بين قوسين الرمز (م) أي التي شرحها المؤلف، ولفظ (ح) التي شرحها المحقق في الحاشية.

حتى إذا أتمَّ بطاقات المعربات باشر بالتبييض على جداول يشبه جداول فهرسة اللغة،وقد يدمج المحقق المفردات المعربة بمفردات اللغة، وهذا مقبول، ولكن عليه أن يضع رمزًا يدل على أن اللفظة معربة مثل (م) المختصرة من «معرب»، مثل: «نوروز (م): ٣٦، ٨٧» ويذكر إلى جانب الميم الرمز (ش) إشارة إلى أن اللفظة المعربة مشروحه، مثل «نرجس: ٧ش».

ولا يجوز للمحقق أن يأخذ شرح المعربات إلا من الكتب المعربة مثل «المعرب» للجواليقي،و«شفاء الغليل» للخفاجي،ويمكنه أن يستعين بكتب المعربات الحديث للمتخصصين مثل «الألفاظ الفارسية» لإدِّي شير، و«المعجم الذهبي في الدخيل على العربي» لمحمد ألتونجي، ولا سيما إذا لم يجد اللفظة في المظانِّ القديمة.

٩- فهرسة المصادر والمراجع:

هو العمل الذي يدل على مدى الجهد الذي بذله المحقق في استعانته

بالمظان التي خدمته في فهم النص وإفهامه للقارئ، والتي خدمت الكتاب كي يأخذ مكانته العلمية، وكلما كانت مصادر الكتاب كثيرة وأساسية ورصينة. كان إخراج الكتاب أكثر علمية وتوثيقًا.

وعلى المحقق أن يذكر هُوية الكتاب ببطاقة واحدة، ولا يجوز له أن يكتب أكثر من كتاب في البطاقة،وهُوية الكتاب مثل هوية الإنسان؛ فهو يذكر اسم الكتاب، واسم مؤلفه، واسم محققه أو شارحه إذا كان مخطوطًا، وبلد النشر، واسم دار النشر، وسنة الإصدار، وعدد صفحات الكتاب، أو البحث.

وللأمانة العلمية يفضَّل:

١- عدم ذكر أي كتاب لم يستفد منه، أو لم ينقل منه.

٢- تدوين أرقام الصفحة أو الصفحات التي ورد ذكر الكتاب فيها؛ فقد نجد محققًا وضع قائمة من الكتب سواء استفاد منها أو لم يستفد، وبعضها مما ليس له علاقة بمضمون الكتاب أو بزمانه،وقد عثرنا على عدد من الكتب المحققة والمؤلفة وضع فيها ناشرها مثل هذه المصادر والمراجع المحشورة في غير لزوم لها.

ولهذا نفضل ذكر أرقام الصفحات مثل «حول الأدب في العصر السلجوقي»، ومثل معظم أعمال المستشرقين. ويرتبها هجائيًّا.

ويفضل كذلك فصل أسماء المصادر التي ورد ذكرها في متن المخطوطة، وهي من مصادر المؤلف نفسه، عن المصادر التي اعتمدها المحقق أو المؤلف، على أن يضع فهرسة كتب المؤلف أولًا، وعقبه فهرسة مصادر المحقق،وإلى جانب كل كتاب من الفهرستين رقم الصفحة أو الصفحات التي ورد ذكرها.

وقد يحتاج المحقق إلى استخدام الكتاب بأكثر من طبعة مثل كتاب «العقد

الفريد» بطبعته المصرية، وبطبعته اللبنانية للاستفادة من جهد المحققين، أو بحسب وقوع النسخة تحت يد المحقق،وفي هذه الحال يذكر في الحاشية اسم الطبعة وفي قائمة المصادر يذكر الاثنتين معًا.

الفرق بين المصدر والمرجع[1]:

فرق كبير بين كلمة «مصدر» وكلمة «مرجع» من حيث أهميةُ المظانِّ المعتمدة. علمًا أن بعض الباحثين لا يرى فرقًا بينهما، ويجعل كل كتاب يرجع إليه مصدرًا، لأنه في عُرف بعضهم أنه عالج الموضوع معالجة شاملة وعميقة،ويرى بعضهم أن المصدر هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق.

فالصحيحان مصدر ثبت للأحاديث النبوية، وما نقل منهما مثل «الأربعين نووية» أو «الأحاديث القدسية» فمرجع؛ لأن الكتابين نقلا عن المصدرين، وكذا «الكامل» للمبرد، و«صبح الأعشى» للقلقشندي مصدران، وما أخذ منهما فمرجع.

وباحث آخر يؤكد معنى المصدر هذا، حين نقول: «فالمصدر أصدقُ ما يكون حين يطلق على الآثار التي تضم نصوصًا أدبية؛ شعرًا أو نثرًا، لكتاب واحد أو مجموعة من الكتاب لشاعر فرد، أو لطبقة من الشعراء، أو لخليط من الكتاب والشعراء والخطباء مثل «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، أو رويت شفاهًا أو دونت في كتب، أو نقشت على الأبنية، ووصلتنا دون تعليق على النص أو تفسير له، دون تمهيد له أو تعليق عليه».

أما «المرجع» عند هذا الدارس «فهو ما يساعد على فهم النص، وتوضيحه، وتفسيره، وتقويمه».

---

(١) انظر كتابنا «لمحات من تراثنا»: ٢٧٣.

ومع أن الحدود بين المصدر والمرجع تبدو - على هذا النحو- واضحة وحاسمة، **فإن هناك حالات يصعب فيها تقرير ما إذا كان الكتاب مصدرًا أو مرجعًا.**

فكتب الطبقات ومعاجم اللغة تعدُّ - عند علماء المكتبات- من المراجع، في حين أنها تحتوي على كثير من المادة الأصلية،فهل هي مصادر ومراجع في وقت واحد؟

ومن جهة أخرى فإن كتابًا مثل «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي يتضمن «ديوان الحماسة» الذي صنفه أبو تمام - وهو مادة أصلية -، وشرح المرزوقي له، وهو بمثابة تفسير للديوان، أفيعدُّ هذا الكتاب مصدرًا أم مرجعًا؟ أم أنه مصدر ومرجع في آنٍ معًا؟

نجد الأمر هنا صعبًا، أنفصل الكتاب بين ما هو مصدر وما هو مرجع؟ ولعل هذا هو السبب في أن بعض الباحثين لا يفرق بينهما، لكنَّ هذا تبسيط مخلّ، وتسهُّلٌ في الأمور المهمة.

ونلاحظ - من ناحية أخرى- محاول لحلِّ هذه الإشكال، عن طريق استخدام مصطلح إضافي؛ فبالنسبة للمعاجم ودوائر المعارف وكتب الطبقات وكتب التراجم القديمة وما أشبه ذلك، يطلع عليها مصطلح «المراجع العامة» في مقابل «المراجع الخاصة» التي يتصل كل منها بفرع بعينه من المعرفة، أو بموضوع بعينه، لا يعدوه إلى سواه، ومن ثَمَّ يعد كتاب ككتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني مرجعًا عامًّا -وسيأتي عنه تفصيل آخر- في حين يعدّ كتاب ككتاب «شعر الغناء» لشوقي ضيف مرجعًا خاصًّا.

وهناك أيضًا «المراجع الخاصة»، ويُقصد بها تلك المؤلفات التي كتبت حول

مصدر من المصادر في الزمن الذي صُنف فيه هذا المصدر أو في زمن قريب منه. ومن ثَمَّ يصبح شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام، أو «شرح الأنباري لمفضليات الضبي» مرجعًا أصيلًا لفهم هذه الأشعار،وهذا في مقابل ما يسمى بـ «المرجع المساعد»، وهو المرجع الذي لا يتصل أصلًا بمادة المصدر، ولكن يمكن الإفادة منه بطريقة غير مباشرة في إلقاء الضوء عليها.

وقد تصنف المراجع تصنيفًا آخر وِفقًا لقدمها أو حداثتها؛ فيقال: مرجع قديم، ومرجع حديث،فكتاب «الكامل» للمبرد مرجع قديم في أدب الخوارج، في حين أن «أدب الخوارج» لسهير القَلَماوي مرجع حديث.

أما بالنسبة إلى «المصادر» فإنها تصنف كذلك في نوعين متمايزين، من دون أي اعتبار للقدم والحداثة، هما: المصادر الأساسية، والمصادر المساعدة.

فالمصادر الأساسية «هي التي استهدف بها أصحابها الجانب الأدبي بدءًا»،في حين أن المصادر المساعدة «هي التي تتمثل في نصوص أدبية وهامة مبثوثة في مظانّ غير أدبية، كالمعاجم وكتب النحو واللغة، أو الجغرافية والتاريخ».

وهكذا يتبلور معنا المصطلح؛ ففي المراجع نقول: المراجع العامة والمراجع الخاصة، والمراجع الأصلية والمراجع المساعدة، والمراجع القديمة والمراجع الحديثة، بينما في المصادر عندنا: مصادر أساسية ومصادر مساعدة.

ونعتقد أن المشكلة لما تحلَّ، ذلك أن كتب المعاجم -مثلًا- التي حسبت من المراجع العامة حينًا، عدت من زاوية أخرى مصادر مساعدة،ولا يستقيم الأمر بأن يكون هناك مصطلحان مختلفان مترادفان.

ونحن في الاستعراض أحببنا أن نبين اختلاط الأمور على معظم السادة الباحثين والمحققين، ولا نريد للباحث أن يختلط عليه شيء؛ لأننا حريصون على

التخفيف عنه، وتسهيل الأمر عليه.

فنوجز جدًّا فنقول: إن ديوان الشاعر مصدر مثل «ديوان ابن الرومي» وإن كل من درس شعره عدت دراسته مرجعًا،وإن كتاب «طبقات الشعراء» لابن سلام مصدر في الدراسة النقدية، ولكنه مرجع لحياة شعراء العصر الجاهلي،بمعنى أن بعض الكتب هي مصادر من ناحية ومراجع من ناحية؛ فكتاب «الأغاني» لأبي الفرج مصدر أساسي ودقيق لحياة المجتمع في العصر العباسي ولحياة الشعراء الذين عاصروا المؤلف، ولكنه مرجع عن حياة الشعراء القدامى كبشار مثلاً.

فكل كتاب كان الأول عدَّ مصدرًا، وكل من علق عليه أو أخذ منه فهو مرجع حتى كتب التراجم؛ فمن كان أولَ من عرف بهم كان كتابه مصدرًا، وأن كل من أخذ منه وأضاف عليه يعد مرجعًا، أما المعاجم اللغوية القديمة مثل العين وجمهرة اللغة، ومقاييس اللغة وأساس البلاغة فهي مصادر لغوية أساسية، وأن كل معجم بعدها مرجع وإن أضافت على السابقات.

والباحث -في رأينا- هو الذي يقدر كتابه المعتمد مصدرًا أو مرجعًا،ولهذا نرى بعض السادة المحققين والباحثين لا يفصلون بين ما هو مصدر وما هو مرجع، فيقولون «فهرسة المصادر والمراجع»، ولا يعارضهم أحدٌ، وهذا ما ندعو إليه.

وقد اختلف في كيفية عرض هُوية المصادر والمراجع، فنرى بعضهم يعرض مصادره من غير ترتيب وهذا إهمال مرفوض، وبعضهم يذكر أسماء الكتب من غير هُوية مفصلة،وإن وجد من يدقق -فهم خيرة العلماء والمحققين-.

ولها رأينا أن نضع منهجًا علميًّا ودقيقًا لعرض المصادر والمراجع، استنادًا

إلى خبرتنا أولًا وإلى اقتراح إحدى الجامعات العربية المرموقة، والتي لا تختلف كثيرًا عن خطة المستشرقين ولا عن الجامعات المصرية العريقة.

وسنعرض فيما يلي كيفية تدوين المصادر والمراجع والدوريات، العربية منها والأجنبية.

* * *

منهج تدوين المصادر والمراجع [١]
في التحقيق والتأليف

يختلف السادة المؤلفون والمحققون في طريقة تدوين المصادر والمراجع،ونرى أن يتم تدوينها بحسب المنهج المقترح،علماً أن المصادر عربية، أو أجنبية وكذلك الكتب والأبحاث العلمية المنشورة في المجلات المحكمة والجامعية،تخضع إلى المنهج المقترح نفسه:

١- الكتاب الأجنبي:

تُذكر كنية المؤلف بالأحرف الكبيرة، يتبعها نقطة، بعدها عام النشر، يليها شَرْطة ـ DASH – ، وبعدها عنوان الكتاب، ويوضع تحته خط ليعرف اسم الكتاب، وبعده نقطة، ثم رقم الطبعة وبعده فاصلة،وبعدها دار وبلد النشر،وأخيرًا عدد صفحات الكتاب. مثال:

WOODBURY S.1975-<u>Principles of General Ecology.</u> The Blakiston Company،New York،500 p.

DAVidson G.1972-<u>Vegrtaion and Soils</u> Thirder،John wiley & sons،London،300p.

٢- الكتاب العربي:

يُتبع الأسلوب الأجنبي نفسه:

الكنية (بالحرف الغامق) فالاسم بعده فاصلة، فسنة النشر، بعدها شَرْطة (–) فاسم الكتاب تحته خط (أو بالحرف الغامق)، بعده نقطة،فرقم الطبعة، يتبعه

(١) هو اقتراح جامعة حلب، مع ما يناسبه من إضافات.

فاصلة، وبعدها اسم دار النشر، وبلد النشر، وبعدها عدد صفحات الكتاب.

مثال: **عبد القادر** نبيل،١٩٧٩م- علم الميكانيك. ط٣، مديرية الكتب الجامعية، جامعة حلب، حلب، ٢٣٠ ص.

حدّاد عدنان،١٩٦٧م- البيتون المسلح. دار الكتاب العربي، دمشق، ٣١٢ ص.

٣- البحث الأجنبي من كتاب يسجّل كما يلي:

الكنية، والاسم، وسنة النشر، عنوان البحث كما ورد في الكتاب، ثم تضاف كلمة **in** خط صغير وتحتها خط وبالأسود الغامق،ثم اسم الكتاب وتحته خط أو بالأسود الغامق ، ثم دار النشر، ثم فاصلة، ثم أرقام صفحات البحث ضمن الكتاب.

مثال:

RICHARD J.1974- Lesenclaves de la vegetation acidophile dans le jura **in** Rapports du sol etdela vegetation،Mason & cie،250280-.

٤- البحث العربي من كتاب يسجل كما يلي:

الكنية، فالاسم، فسنة النشر، ثم عنوان البحث كما ورد في الكتاب، ثم تضاف كلمة في تحتها خط أو بحرف أسود غامق . ثم اسم الكتاب تحته خط أو بأحرف غامقة ، ثم دار النشر، فبلد النشر، فعدد صفحات البحث في الكتاب.

مثال:

عبد الستار عزيز،١٩٧٧م- الدخل وحجمُ الأسرة **في دراسات اقتصادية**

في شرقيّ المتوسط، دار الحكمة، عَمَّان، ٦٠-٨٠.

٤- البحث الأجنبي المنشور في مجلة علمية يكتب كما يلي:

الكنية فالاسم، فسنة النشر،وبعده عنوان البحث، بعده نقطة،ثم اسم المجلة تحته خط أو يكتب بأحرف غامقة ثم فاصلة، وبعدها المجلد والعدد بكتابة مختزلة، ثم أرقام الصفحات الخاصة بالبحث الوارد في المجلة.

مثال:

BUSSE E.1980- Organic brain diseases. Clinical psychiatry News،vol.8،N60 – 4,20.

ملحوظة:

إذا كانت المجلة العلمية معروفة وواسعة الانتشار، يكتب اسمها بالشكل المختصر المعروف،أما المجلات المحدودة الانتشار أو الحديثة، يكتب اسمها كاملاً.

٥- البحث العربي: يرتب كما يلي:

الكنية، فالاسم، وبعده سنة النشر، فعنوان البحث الوارد في المجلة،ويوضع تحت اسم المجلة خط ولا يختصر اسم المجلة العربية أو يكتب بالأحرف الغامقة، ثم رقم المجلد والعدد، بعدهما فاصلة،ثم أرقام الصفحات الخاصة بالبحث المنشور بالمجلة.

مثال: **عبد السميع** رأفت،١٩٧٢م- خصائص المناخ في القطر السوري. مجلة بحوث جامعة حلب، العدد الثاني، ٢٣٠- ٢٤٥.

على أن يرتب ذلك كله بحسب الترتيب الهِجائي الدقيق[1].

الترتيب بحسب الكتب:

قد يرغب الباحث أو المحقق ترتيب مصادره بحسب أسماء الكتب عندئذ يرتب الكتب هجائيًّا دقيقًا،وفي هذه الحالة يكتب اسم المؤلف كاملاً كما ورد على الغلاف،وبعد اسم الكتاب يذكر اسم المؤلف، ولا يتغير ما يأتي بعدهما حسب الترتيب السابق.

وإذا كان للمؤلف حسب الطريقة الأولى أكثر من كتاب، فلا ضرورة لأن يكرر اسم المؤلف، لكنه يعدد أسماء الكتب بحسب تسلسلها الألف بائي، ثم يذكر الباحث اسم المحقق، ثم اسم الناشر، وسنة النشر، وبلده...

فنقول مثلاً:

- الجاحظ، عمرو بن بحر.
- البخلاء: ت محمد ألتونجي.
- البيان والتبيين: ت.
- الحيوان: ت.

ملحوظة على ترتيب المظانّ:

أ- يسمح للباحث أن يدمج المصادر بالمراجع، ويرتبها هجائيًّا.

---

(١) لم تتبع الباحثة رجاء دويدري في كتابها «البحث العلمي» أي ترتيب لأسماء المصادر والمراجع على رغم كثرة مصادرها والتي بلغت قرابة عشر صفحات. انظر كتابها ص ٤٧٧- ٤٨٩ نشر دار الفكر عام ٢٠٠٠م وقد وقع قصورها في مصادرها العربية والفرنجية معًا.

ب ـ ويفضل الترتيب التالي:

١- المصادر: وهي المظان الأساسية: كأسماء كتب المؤلف، أو ديوان الشاعر، والكتب الأساسية في صلب الموضوع.

٢- المراجع: وهي المظانّ العامة، مما تناول البحث بشكل كامل أو جزئي.

٣- المعجمات الأساسية التي استند إليها.

٤- الموسوعات مرتبة.

٥- المصادر والمراجع الأجنبية.

٦- المجلات والدوريات.

ا- فهرسة المقارنة بين الطبعة العربية والطبعة الأوروبية:

قد يرى المحقق أن يعقد فهرستًا يقارن فيه بين طبعته والطبعة الأوروبية، إذا كان المخطوط طبع أولاً في إحدى المدن الغربية، ثم جاء هو فأعاد الطبعة، واجتهد في أن تكون طبعته أدق وأندر أخطاء،ويترك للمراجع اختيار إحدى الروايتين، بشرط ألا يكون في عمله مساس لأصل المخطوط،وهو جهد حميد، يدل على عناية المحقق الغربي في بلوغ عمله درجة الكمال.

وقليل هم الذين تحملوا هذا العبء الجسيم، ومِن خير مَن بذل هذا الجهد م. محمد حسين في تحقيقه لديوان الأعشى،فمن أراد أن يقتديَ به، فعليه أن يجهز بطاقات يذكر الكلمة التي وقع فيها الخلاف، وما يقابلها من الطبعة الأوروبية.

فيذكر المحقق رقم الصفحة في كتابه -وبعدها الكلمة، ثم رقم الصفحة الأوروبية وكيف هو قرأها، وكيف قرأها المستشرق،وهذا الفهرس غير ملزم مطلقًا؛ شاء المحقق أم لم يشأ.

١١- فهرسة المستدركات:

قد يحتاج المحقق أو المؤلف إلى إضافة صور أو جداول أو تعليقات خطرت له أو وصلت إليه بعد طبع الكتاب، ويرى أن ذكرها يُغني الكتاب، أو يوضح بعض غموضه،فله أن يفعل هذا بعد أن يذكر الصفة أو الموضوع الذي يخص المستدرك.

١٢- جدول الخطأ والصواب:

لا يوجد كتاب مطبوع -خلا القرآن الكريم- إلا وفيه أخطاء مطبعية، مهما كان المؤلف حريصًا على تنقية كتابه من الشوائب،وهو نفسه يعجب بعد طبعه الكتاب حين يجد خطأ مطبعيًّا سقط عنه سهوًا،وقد يُقبل وجود أخطاء قليلة جدًّا لا تصل إلى العشرة، ولكن أن تقع عشرات الأخطاء فهذا قصور عن عمل المحقق يؤخذ عليه، ولا يقبل أي عذر.

ويروي تلامذة شوقي ضيف أنه كان يصلح كتابه بنفسه حرفًا حرفًا، لا كلمة كلمة،ونعرف من يعتمد بعضهم على زملائه في قراءة تجارب كتابه مرة، ثم يتفرغ لتصويبه بنفسه،ويقولون: إن المؤلف يقرأ من ذاكرته أكثر مما يقرأ من ورقاته، ولهذا يكثر الخطأ،وبعض دور النشر الراقية مثل مكتبة لبنان تخصص قراءً لتصحيح التجارب عدة مرات، ثم تدفعه إلى المؤلف للقراءة الأخيرة،في حين أن الجامعة العثمانية تكلف عالمًا آخر كي يقرأ ويصحح حتى لا يكون قد علق في ذاكرة المؤلف شيء، ولهذا نرى كتبهم تكاد تكون خالية من الأخطاء.

وقد وقعنا على كتب أضاف المحقق أو المؤلف صفحات للتصويبات، وحين قارنا هذه التصويبات رأينا فيها -مع الأسف- أخطاء،فدفعنا الفضول إلى قراءة بعض صفحات من الكتاب فوجدنا ناشر الكتاب أغفل مجموعة من

الأخطاء لم يذكرها خجلًا من كثرة أخطائه.

فليحاول المحقق أو المؤلف أن يكون دقيقًا جدًّا كي يتلافى وجود جدول الأخطاء المطبعية الذي يشوِّه كتابه الثمين،وإذا وجد أن الأخطاء قليلة وغير جسيمة ذكر في المقدمة أو في الخاتمة صفحة اعتذار عما سقط منه سهوًا، وأن القارئ الحصيف يكتشفها بسهولة، ما لم تكن الأخطاء مهمة كالأسماء والمصطلحات، عندئذ هو مضطر إلى ذكرها.

وبالنظر إلى أهمية الأخطاء، فإننا ذكرنا كذلك في بحث رسالة الدكتوراه، وله أن يقرأ وينتفع بها.

١٣- فهرسة محتوى الكتاب:

بعد أن ينتهي المحقق من كتابه وإخراجه يعود فيقلب صفحاته بدءًا من المقدمة فيضع ثبتًا لمحتوى الكتاب، بما فيه الفهارس العامة وهذا واجب ومهم،وإن لم يجد المحقق عنوانات للمخطوط، وضع فهرسة للمضامين بعامة، أو يُنزل العنوانات التي أضافها.

* * *

ملحوظات أخرى على الفهارس العامة

١- قد يكون الكتاب المحقق علميًّا بحتًا، فلا فرق -من حيث الفهارس- بينه وبين غيره من الكتب، إلا بإضافة المفردات العلمية عوضًا عن المفردات اللغوية. وللمحقق أن يضع فهرسة للمفردات العلمية، وفهرسة للمفردات العلمية المشروحة، كما في كتاب «المفردات» لابن البيطار.

وإذا كان الكتاب في علم البيطرة فسيحتاج المحقق إلى إضافة فهرسة لصفات الخيل والدواب بالعامة، وفهرسة لأمراضها، وفهرسة لأدوائها، إضافة إلى الفهارس العامة.

٢- قد يضيف المحقق لديوان شاعر فنون الشعر المذكورة في الديوان خدمة للباحث الباحث عن موضوع معين عند الشاعر، كما فعل محقق ديوان أبي تمام وديوان الأعشى، فيعدد قصائد المديح، وقصائد الغزل، و.. يضع لها أسماء وأرقامًا يعود إليها،على أن محقق ديوان أبي نواس رتب الموضوعات والفنون ترتيبًا علميًّا على شكل جداول، مع الروي والصفحة، جامعًا الأمرين معًا،وهذا أكثر دقة.

٣- ما كل هذه الفهارس يتوجب ذكرها في كل كتاب، والمحقق هو الذي يقدر حاجة كتابه إلى ما يلزم من فهارس؛ فلكل كتاب وموضوع حاجته إلى فهارس دون غيرها.

٤- ترقيم صفحات المخطوط: قد تميل بعض دور النشر إلى الترقيم المغربي، ويسمونه الأرقام الأجنبية،فيجد المحقق غضاضة في ترقيم الكتاب بالأرقام الأجنبية، ويفضل أن يرقم كتابه بالأرقام العربية.

فاعلم أن نوعي الأرقام هندي، لا فضل للعرب على واحد دون الآخر،ولم يخترع العرب إلا الصفر،وحين تُرجم الكتاب الهندي «سانتا هانتا» نقل النوع المسمى بالعربي واسمه عندهم الرقم الغباري، كما نقل النوع المسمى بالغربي، واسمه عندهم المزوَّى،فانتقل هذا مع جيوش الفتح إلى شمالِّي إفريقية، ومنها إلى الأندلس،فاستخف الغرب هذه الأرقام، ورأوها أفضل من أرقامهم اللاتينية، فسمي خطأ بالأرقام الأجنبية أو الغربية،ونفضل أن تسمى بالأرقام المغربية.

بينما ظل الرقم الغباري هو المتداول في العراق والشام، فقالوا عنه: الرقم العربي فلا ضيرَ من استعمال الرقمين، شريطة أن نعلم أن كليهما هندي، وأن فضل العرب هو نقل هذه الأرقام إضافة إلى الصفر إلى العالم كله.

٥- لا يجوز ترتيب الأعلام على الجهاز الحاسوب؛ لأنه يعتبر أل التعريف همزة، ويعدُّ المدَّ أيضًا همزة.

٦- والملحوظة الأخيرة ليست علمية، ولكنها تجارية لصالح المحقق. فالمعروف أن الناشر يحاسب المحقق على صفحات الكتاب بثمن يتفقا عليه،لكن دهاء الناشر يجعله يسقط صفحات الفهارس من الحاسب المالي وللمحقق أن يعترض على هذا لإجحاف، ويصرَّ على حساب عدد صفحات الكتاب إلى آخر صفحة منه؛ أي آخر فهرس لمحتوى الكتاب، ذلك أن عناء المحقق في صناعة الفهارس العامة لا يقلُّ أبدًا عن تحقيقه للكتاب.

* * *

إبراز المخطوطة
مقدمات وخواتيم

بذلك يكون المحقق قد أدى رسالته وأتم تحقيقه، لكن عمله لما يكتمل؛ فما زالت عليه أعباء كثيرة، وهي مستندة كلها إلى عمل التحقيق ولا يمكن القيام بها إلا بعد الانتهاء كليًّا من الترقيم والطبع.

وهناك أمور تضاف في القسم الأول من الكتاب، وأمور تتم بعده وبعد طبع المخطوطة وترقيم صفحاتها.

ذلك أن المخطوطة ترقم من ١، وما قبل الواحد يجري ترقيمه أبجديًّا،في حين أن الخواتيم تطبع أرقامًا بالتسلسل؛ لأنها تابعة لأرقام المخطوطة،**وسنعددها كلها، ثم نجري الشرح اللازم لكل واحدة:**

مقدمات المخطوطة:

١- صفحة الغلاف: ويكتب عليها اسم المخطوطة، واسم مؤلفها، وتحتهما اسم المحقق، واسم الدار الناشرة في الأسفل.

٢- صفحة الإهداء: وهي اختيارية.

٣- صفحة الشكر: وهي واجبة.

٤- مقدمة المحقق.

٥- الورقة الأولى والورقة الأخيرة مصورتان من المخطوطة وتسميان اللوحة الأولى، واللوحة الثانية.

٦- صفحة الرموز التي وضعها المحقق.

٧- صفحة الرموز التي اتبعها المؤلف إن وجدت.

وهذه الصفحات كلها ترقم أبجديًا أ ب ج د.. أو أبتثيًا أ ب ت ث..، والأفضل هو الأول.

خواتيم المخطوطة:

إن آخر شيء من المخطوطة هو آخر سطر منها،وقد يطيب لبعضهم أن يجعل الصفحة الأخيرة هي التي يعلن فيها الناسخ أنه «تم بعونه تعالى نسخ المخطوطة في...».

وعقب ذلك ومع متابعة الترقيم:

١- الخلاصة، أو الكلمة الأخيرة.

٢- الفهارس العامة- حتى آخر محتوى الكتاب.

طبع المخطوطة ونشرها:

وهي عملية متأخرة بعد الإنجاز التام.

صفحة الشكر:

إن احترام النص التراثي من أساسيات عمل المحقق، والشكر من هذه الأساسيات.

فالمعروف أن المحقق يحتاج إلى مساندة أهل العلم والخبرة، سواء بالقراءة، أو حل بعض الرموز الخاصة كالألفاظ المعربة التي قد لا يحسنها المحقق، أو التعريف بمصطلحات علمية كالطب والفلك،فإذا استعان المحقق بأحد ذوي الخبرة توجب عليه أن يشكره في «صفحة الشكر» ويبين الجهد الذي بذله،

فهذا خير له ولبحثه،ومثل هذه الصفحة توجد في الكتب المنشورة في الغرب، ويتباهون بها.

ومن الضروري جدًّا أيضًا أن يزين هذه الصفحة بأسماء من راسلهم مستنجدًا بهم لتأمين إحدى النسخ عن طريق المراسلة الشخصية،ولولا هذا الذي أنجده ما كان لمخطوطته أن ترى النور، أو لتأخرت في الظهور.

وقد حكى لنا أستاذنا وشيخنا محمد ألتونجي أنه حينما كان يدرس في جامعة طهران لتحضير الدكتوراه كتب إليه أستاذه المرحوم محمد المبارك يرجوه تأمين نسخة من مخطوطة ديوان ذي الرمة النادرة والمحفوظة في المكتبة المركزية بطهران؛ لأن تلميذه عبد القدوس أبو صالح يحضر عليها الدكتوراه بمصر،كان ذلك عام ١٩٦٤م.

فلبى التلميذ طلب أستاذه، وأرسل إليه الميكروفيلم،واشتغل عليها عبد القدوس ونال عليها درجة الدكتوراه عام ١٩٧٢م،ولم يرسل المحقق نسخة مطبوعة للمكتبة المركزية، ولا لمن أحضرها له، ولا شكره في المقدمة وقد رأينا للأمانة العلمية أن نذكر هذه الحادثة في صفحة الشكر.

وأذكر أنه حين روى لنا أستاذنا هذه الحادثة أخبرنا أن الشكر ليس واجبًا وحسب، بل تنصُّل من أي خطأ قد ينسب إلى المشكور.

مقدمة المحقق:

المعروف أن مقدمة المحقق تكتب بعد أن ينتهي من الكتاب تمامًا، ولكنها تقع في أول الكتاب، وقبل أول صفحة من المخطوطة، كما أن بطاقات المقدمة تهيأ قبل غيرها في صندوق البطاقات.

يكتب المحقق في مقدمته –بعد حمد الله– صلته بالمخطوطة، والتعريف بها،

وبمضمونها، وبمؤلفها وشيوخه ومؤلفاته. ثم يستعرض النسخ التي اعتمدها، وصفة كل واحدة وأهميتها، ومكان وجودها، وعدد أوراقها وميزة كل واحدة من الأخرى.

ثم لماذا اختار واحدة منها لتكون أمًّا وأصلًا، وسائر النسخ فروعًا؟ ويذكر عدد أوراقها، وعدد سطور كل ورقة، ومسافة الورقة كلها، ومسافة المكتوب منها، ومدى اكتمالها،وبماذا تتميز؟ وهل يختلف عنوانها عن الأخريات؟ وما نوع الخط الذي نسخت به، ومن ناسخها؟ ومدى إخلاصه لعمله؟

كيف هو وضع الورقة الأولى؟ وماذا كتب عليها؟، وهل عليها أختام وتملكات، أم أنها غفل؟ فلكل شيء قيمة علمية.

وقل كان نسخها بقلم واحد أو أكثر؟ وهل هي مقروءة، ورأيك العلمي في هذه النسخة بشكل عام.

ثم يذكر العناء الذي كابده في تحقيقها، والصعاب التي اعترضته وأزالها أو أزال بعضها.

وبعد ذلك يذكر إذا كان هو أول من حققها، أو سبقه أحد إلى تحقيقها،عندها يذكر الدافع إلى تحقيقها أول مرة ، أو الدافع إلى تحقيقها ثانية، والأسباب التي جعلته يقدم على إعادة تحقيقها.

ثم يعرف بأسلوب معالجة المؤلف للموضوع، ومدى توفيقه به، وأسلوب الكتاب، ومدى ملاءمته للموضوع، وهل خالف فيه أسلوبه في كتاب آخر له؟ ولماذا؟ وهل يعتني بالتنقيط والشكل؟ أم أن فيه أخطاء؟ وكيف تلافاها؟ وهل كان المؤلف دقيقًا في منهجه؟ يستشهد بأقوال غيره؟ أيستخدم الشواهد لإثبات رأيه؟ حتى إذا انتهى المحقق من مقدمته كتب اسمه على الطرف الأيسر من

غير ذكر للقب، وعلى الطرف الأيمن تاريخ المقدمة: اليوم، والشهر، والسنة الهجرية، وما يعادلها بالميلادي.

ويتبع المقدمة بعد التوقيع رموز الكتاب، فصورتان من المخطوطة الأولى، والأخير، وبعضهم يضع أكثر.

خلاصة العمل:

هي النتيجة النهائية التي يذكر فيها المحقق خلاصة المخطوطة، ومدى أهميتها، وتأثيرها فيمن يجيء بعده والفائدة التي جناها المحقق من العمل في تحقيقها، والتي نفعه مضمونها من معلومات.

وللمحقق أن يشير هنا إلى موافقته على ما جاء في المخطوطة ولماذا؟ أو مخالفته لبعض الأفكار أو الاتجاهات.. كالمذهب، والميل، وصحة بعض المعلومات،وكل ما يريد أن يقوله موافقًا أو معترضًا،لكن أهم ما يجب ذكره في هذه الصفحة هو خلاصة الكتاب.

الفهارس العامة:

لكل كتاب محقق أو مؤلف فهارس عامة لابد من صناعتها بيده لا بيد شخص آخر، إذ لا يجوز أن يقول للناقد: وقع الخطأ من تلميذي، أو من صديقي،فالمحقق هو المسؤول الوحيد عن صنعها،وتدل عنايته بصنعها على مدى دقته وحرصه.

وقد يعترى بعض المحققين الملل، فيتوانى عن صناعة الفهارس، فيخرج الكتاب مبتورًا، ويدرك مُطالعه أن صبر المحقق توقف، فيحجم عن شرائه.

واعلم أن تاج الكتاب المخطوط بفهارسه؛ لأن معظم الكتب التراثية تكون

غفلاً ولا يكشفها ويبرز الفائدة منها سوى الفهارس؛ لأن معلومات المخطوطة كنز في صندوق مغلق، ومفاتيحه هذه الفهارس التي تؤرِّق المحقق وترهقه.

أذكر يومًا أنني احتجت إلى بيت شعر فيه اسم لصنم من أصنام العرب في الجاهلية،فامتدت يدي إلى «كتاب الأصنام» لابن السائب الكلبي، من تحقيق أحمد زكي[1] وهو الأستاذ العلامة المشهود له بالمكانة.

سرَّني المحقق أنه صنع فهارس دقيقة للأصنام، لكنه فاجأني بأنه لم يصنع فهارس للأعلام الوارد ذكرها في الكتاب، ولا للشواهد الشعرية على كثرتها وأهميتها ولم يضع كذلك فهرسًا للآيات القرآني،وهذا نقص فاحش للكتاب.

ولأنني بحاجة إلى البيت المذكور قلبتُ الكتاب صفحة صفحة إلى أن عثرتُ عليه، وشكرت الله أن كتاب الأصنام لم يكن كبيرًا.

ومع أن لكل كتاب فهارس خاصة، فإن هناك فهارس عامة لابد من وضعها للمخطوطة أو للكتاب بشكل عام،وقد وضعنا دراسة مفصلة لثلاثة عشر فهرسًا، وقدمنا لها مقدمة وافية،وذكرنا كيفية صنع الفهارس واحدًا واحدًا، ورتبناها بحسب أولوياتها، وعملنا عليها دراسة تخدم المحققين بصناعة ما يريدون من هذه الفهارس، مع توضيح مفصل للبطاقات؛ فلكل فهرسٍ نوع وحجم.

وبدأنا بفهرس الآيات القرآنية، ثم بالأحاديث الشريفة، فالأقوال المأثورة فالأشعار العامة والخاصة، فالأعلام، فاللغة، فأسماء الكتب التي ذكرها المؤلف، فمصادر المحقق ومراجعه العربية، والأجنبية.. وبينا الفرق بين المصدر والمرجع، وكيفية تبييض الفهارس.

---

(١) طبع الكتاب أول مرة عام ١٩٢٤م فتناوله أحمد زكي وأعاد تحقيقه وطبعه عام ١٩٦٥م.

ودائماً يوضع فهرسة محتوى الكتاب آخر شيء تماماً،ويضم كل ما في الكتاب بما فيه الفهارس العامة، باستثناء فهرسة المحتوى.

* * *

طبع المخطوطة ونشرها

إن كل ما قام به المحقق لم يُخرج المخطوطة وعمله فيها إلى النور،فبعد أن يتم عمل الكتاب كاملًا ينقل إلى مرحلة الطبع والإخراج بعد أن يتفق مع ناشر يوافق على نشر كتابه.

لن أتحدث عن المطابع والحروف فقد أزالته التقنيات الحديثة،وصار الطبع سائدًا في الكمبيوتر،فإما أن يطبعه المحقق بنفسه، أو الناشر،وأيًا كان الأمر فإن العبء الأكبر يقع على عاتق المحقق، ولا يجوز أن يوكل هذا العبء لآخرَ، من كان؟!.

يأخذ الناشر الكتاب ويأمر العامل بطبعه بعد أن أخذ التعليمات من الناشر والمحقق، على حجم الصفحة، وحجم جسم الحرف العادي (الأبيض)، وجسم الحرف الألماني (الغامق، الأسود)، والمسافات في العناوين والأطراف.

وبعد حين من الزمان يعاد إلى المحقق نسخته الأصلية ونسخة أخرى مطبوعة على الكمبيوتر،ومهمة المحقق أن يقارن المطبوع على الأصل، وكل خطأ مطبعي يكتب صوابه على الحاشية بأخرى بارزة،ويفضل أن يعين المحقق مرافق له، يقرأ الأصل بينما المحقق يقارن ما يسمع بالمطبوع بعين يقظة وأذن واعية، حتى ينتهي تصحيح الكتاب.. ويسمى التصحيح الأول.

فيردُّه إلى عامل الكمبيوتر، فيصحح ما أشار المحقق إليه، ثم يعيده إلى المحقق ثانية ليراقب النسخة الثانية ويقارنها بالتجربة الأولى؛ ليتأكد من تصويب المصحح من الأخطاء كلِّها.

ونصح المحقق بأن يتحلَّى بالشك في كل شيء في هذه المرحلة؛ فلا يثق

بأحد يصحح عنه، ولا يثق بعامل المطبعة، كما لا يثق بنفسه في القراءة الأولى؛ فبعد أن يقارن الأخطاء بين التصحيح الأول والتصحيح الثاني، يعود ليقرأ الكتاب بنفسه وبتؤدة، ووحده،يقرأ بعينيه لا بقلبه؛ ذلك أنه من كثرة ما تعامل مع الكتاب حفظه، فعند التصحيح قد يسهو ويقرأ من قلبه أو من ذاكرته، فلا يرى الأخطاء.

ولا مانع مع ذلك من أن يعطيه لصديق مخلص، والأفضل أن يعطيه لمدرس لغة عربية ذي تجربة عميقة بالتدريس ويطلب منه قراءة الكتاب وكشف الأخطاء على أجر متفق عليه.. فما أحد يقرأ مجانًا، وهو أفضل من المحقق والمؤلف؛ لأن النص جديد عليه.

وننصحه بأن يقرأ التصحيح الأول مع المرافق ويصحح بقلم أحمر مثلاً، وقبل أن يدفعه إلى عامل المطبعة يقرؤه بنفسه مرة ثانية وبيده قلم ذو لون آخر،وسيرى بنفسه كم من الأخطاء سها بصره عنها في القراءة الأولى.

ومشهور عن شوقي ضيف أنه كان يصحح الكتاب حرفًا حرفًا لا كلمة كلمة زيادة في الدقة، وأن عبد السلام هارون كان يصحح كتابه أكثر من ثلاث مرات، ولذلك خلت كتبهما من الأخطاء المطبعية، أو كادت.

وهناك أمور مهمة جدًّا يجب التركيز عليها في طبع الكتاب التراثي، أهمها:

١- أن روح المخطوطة تتمثل في ضبط الكلمات،فلابد من التركيز على أن يكون الضبط صحيحًا، والشدّات والمدات في مواقعها، ووضع التنوين الممدود والمقصور على الحرف لا على الألف مثل: بابًا، فتًى؛ لأننا ننون الحرف لا الألف.

٢- كما يراعي تنوين «عمرو»؛ لئلا يكون العامل وضعه على الواو أو تحتها.

٣- وكلمة «ابن»، فعند الطبع قد تنتقل من وسط السطر إلى أوله عندئذ يجب إضافة ألف إليها، أو تكون في الكتابة واقعة في أول الكلام، وفي الطباعة وقعت وسطًا، فيجب إسقاط ألف ابن منها.

وقد نرى بعض السادة المحققين بعد أن ينجزوا عملية التصحيح الثاني يقلبون الورقات ويراقبون رؤوس الأسطر للتأكد من أن «ابن» أخذت ألفها.

٤- التأكد من صحة نزول الأقواس اليمينية واليسارية في المطبعة، فالأقواس كلها مزدوجة، فقد يخونه البصر فيرى طرف القوس وينسى طرفه الآخر.

٥- مراقبة أرقام ورقات المخطوطة، فقد ينسى عامل المطبعة طبعها، وتسهو العين عن رقم.

وإذا لاحظ المحقق أن أخطاء المطبعة قليلة في التصحيح الأخير نسلَ الصفحات التي وقع الخطأ فيها وأرسلها إلى المطبعة، إذ لا حاجة إلى إرسال صفحات الكتاب كلِّها؛ وكسبًا للوقت والدقة يمكن للمحقق أن يراقب الطابع، وهو يصوِّب الأخطاء القليلة، ويطمئن إلى تصويبها مباشرة.

وليعذرنا الأستاذ المحقق إذا رأى منا شدَّة، فهي - واللهِ - غيرة على جهده العظيم الذي بذله من أن يتأثر ببضع أخطاء بسيطة سببها سهو، أو تهاون، أو اعتماد على آخر، وسعي إلى إخراج الكتاب بأبهى حلة يعتز بها، وأقل أخطاء تقضُّ مضجعه.

* * *



الباب الثاني

البحث العلمي
أصوله ومناهجه

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مناهج البحث

تمهيد

جُبِلَ الإنسان على حب البحث والتقصِّي عن كل أمر يعترضه أو يفكر به، سواء كان يهمه، أو حقيقة ينشُدُها، أو لا يهمه؛ لأن عقله يدفعه باللاشعور إلى البحث عن الشيء المحسوس أو المعقول،وكثيرًا ما يتم له الوصول إلى بغيته بتلقائية وعفوية خالصة، أو بلوغ هدفه من غير عناء، كما توصل الخليل الفراهيدي إلى أوزان الشعر العربي، والذي سماه علم العروض،كما أن عليًّا رضي الله عنه أعمل فكره ببساطة لمشكلة أقضَّت مضجعه خوفًا على سلامة اللغة القرآنية، فأوحى بها وصل فكره إلى تلميذه أبي الأسود، وبفضلهما وضع علم النحو،ومثله نيوتن (ت ١٧٢٧م) في اكتشاف نظرية الجاذبية، من ملاحظة تلقّاها بذهن متفتح.

لكن أمورًا تعترض الإنسان يفكر بها، ولا يجد لها حلًّا إلا بصعوبة، وقد يموت ولا يجد لها حلًّا، كمسألة الموت عند زهير بن أبي سلمى، ومسألة الرجعة عند بعض المذهبيين الملحدين.

ويسمى هذا الباحث مبدعًا إذا خرج بنظرية معيّنة هو صاحبها،فهو أعمل ذكاءه، وقدح زناد فكره حتى وصل إلى ما وصل إليه، فلولا الذكاء والرغبة بالبحث، والدأب المتواصل لما وصل الباحثون إلى أغوار الأمور، ولا قدروا على نبشها وإعلانها على الملأ.

ومهما كان عمل علي والفراهيدي أو نيوتن بسيطًا -كما يتراءى لنا- فإنه يظل يَتَّسم بالإبداع، وإن جاء بعدهم من فاقهم بحثًا وتوسعًا،ولذلك قالوا لهذا

المبدع: مؤسس علم النحو، مؤسس علم العروض، مؤسس نظرية الجاذبية.

المنهج:

ترجم للكلمة الفرنسية - Methode وكذا في اللغات الأوروبية الأخرى، وكلها ذات أصل يوناني،وكان أفلاطون وأرسطو يستعملان هذه اللفظة بمعنى البحث والطريقة والمعرفة،أي: المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب والعقبات[1].

ولم يأخذ هذا اللفظ المعنى المصطلحي المبني على القواعد العامة بغية الوصول إلى الحقيقة المنشودة إلا بدءًا من عصر النهضة في القرن السادس عشر، واكتملت فكرة المنهج العلمي في القرن السابع عشر،وعَرَّفوه بأنه: «**فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار بهدف الكشف عن الحقيقة للبرهنة عليها**».

وقد كان الإنسان يفكر بعقله، ويرتب أفكاره بذاكرته على بساطته وبساطتها حتى يبلغ مطلوبَه،فسموا هذا الأسلوب المنهج التلقائي،حتى إذا أمعن في تفكيره، وحدد قواعده لمنهجه، ونظم ما يفكر به على شكل قواعد خاضعة للصواب والخطأ، سمينا هذا التفكير المقنَّنَ منهجًا عقليًّا تأمليًّا،وهذا ما يدعوه العرب بالمنطق.

فالمنهج هو البرنامج الذي تواضع عليه العلماء لدراسة أمر وكشف حقيقة،فلا يتكوَّن المنهج إلا بالنظر في السبل التي سلكها العلماء أنفسهم في تدوين تجاربهم. ومع ذلك فإن العلماء لم يقيِّدوا أنفسهم به، ولم يحضّوا على التشبث به؛ ذلك أن العالم يعمل بعلمه، ويشتغل ببحثه، فيأتي الناقد أو الفيلسوف فيقنن ما ينتهجه العالم،فالشاعر كان يقول الشعر قبل الفراهيدي، وظل يقوله بعده بالسليقة والأريحية.

---

(١) مناهج البحث العلمي: ٣.

مناهج البحث العلمي:

يرجع وضع أسس مناهج البحث العلمي وطرق الاستدلال فيه والاستنباط إلى أرسطو،وهو الذي عُرف عنده بالمنطق،وقد ترجم العرب كتاب منطق أرسطو منذ أوائل عصر الترجمة في العصر العباسي، وأسسوا عليه علومهم ومناهجهم العلمية، وحتى بحوثهم الأدبية،وعلى أساسه أكملوا موضوع الاستقراء وصحة الاستنباط (١).

غير أن العرب لم يأخذوا منطق أرسطو على عواهنه، بل دمجوا مبادئه بالروح الإسلامية، وبمضمون القرآن الكريم؛ لأن القرآن دفع الإنسان المسلم إلى استخدام عقله في الحياة، واستخدام المنهج الاستقرائي في النظرة العلمية إلى الكون، ودعا القرآن إلى متابعة البحث والتقدم العلميين.

وغدا التفكير في العلم وسيلة ونتائجه والتروِّي فيه من واجبات المسلم الأساسية، وعَدّوا ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) الشاعر أول مسلم يفكر في العلم ويجعله واجبًا متواصلًا على كل مسلم،وأَحب الناس العلم حبَّهم للعلماء لارتباطهم بعلوم القرآن، ولعلوِّ مقامهم،وصار العالم أمثولة لكل مسلم،وكان مقامهم يزداد في عيونهم أكثر حين يقول أحدهم: لا أدري، أو إذا سأل غيره ممن يفوقه علماً وذكرًا.

ولئن نقل العرب علوم اليونان، لقد أعملوا عقولهم في ما نقلوا، وجدَّدوا حتى فاقوا سائر الأمم، بمن فيهم من يدعي العلم والمعرفة كالهنود والفرس.

وكانوا ينتقدون كل ما يفكرون به، ويتَّبعون المنهج التجريبي الذي يقضي بملاحظة الظاهرات الجزئية الحسية، والشكّ بها حتى يبلغوا مرحلة اليقين، قبل

---

(١) البحث العلمي: ١٣١.

أن يباشروا بكتابة أبحاثهم مطمئنين،وقد اعتقدوا بأنْ لا يقين بموضوع ما إلا إذا اعتراهم الشك به -قبل سبع مئة سنة من ديكارت صاحب نظرية الشك.

كما اتبعوا المنهج التجريبي -والذي كانوا يسمونه التدريب- في علومهم الفلكية والرياضية، وحتى الأدبية،وهذا ما دفعهم إلى التحقق من علوم الفلك والرياضيات ومعرفة كروية الأرض. وغدا المنهج التجريبي الذي برع به العرب من أسس معرفة العلوم.

ولما كان المنهج التجريبي يعتمد على الخبرة والتعلم فقد اندفعوا إلى اختراع الأدوات العديدة التي تخدمهم في تجاربهم، فوجدت أدوات الطب، وأدوات الفلك كالاصطرلاب، وأدوات الاختراعات كالساعات وعلم الضوء،وعرف عن ابن الهيثم (ت ٤٣٠هـ) أنه اخترع آلاته في علم الضوء.

والعرب عرفوا «المنهج» في التأليف، وعَرَّفوه، وألفوا فيه، وخلصوا «إلى أن المنهاج العلمي هو تلك المجموعة الفكرية من القواعد والأنظمة العام التي يتمُّ وضعها من أجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول ظاهرات موضوع الاهتمام من قِبل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة»[1].

واهتم العلماء والفلاسفة في مسألة «المنهج»، وخلصوا إلى ضرورة وجود أنواع من المناهج، مثل: المنهج الوضعي، المنهج التاريخي، المنهج التجريبي، المنهج الفلسفي، المنهج الاجتماعي، المنهج الاستدلالي، المنهج الإحصائي... وغيرها من مناهج البحث.

ولكل منهج من هذه المناهج مؤسسون ومؤيدون من الغربيين والعرب، دعوا إليه وناصروه، وألفوا فيه،ونحن هنا لسنا بصدد دراسة هذه المناهج؛ لأنه

---

(١) البحث العلمي: ١٤٧.

استطراد لا نبتغيه،إنما عرضناه؛ لنبرهن على أن العرب كانوا سباقين إلى كشف بعض هذه المناهج في أفكارهم وأبحاثهم.

ومع كثرة أنواع هذه المناهج العلمية نرى أن العقل هو الذي وضعها وحدَّدها، لأنها نابعة منه؛ ولهذا رأى بعضهم إمكانية توحيد المناهج تحت عنوان واحد، وبالتالي يصعب معالجة البحث على أساس منهج معين؛ لأن البحث نفسه يفرض وجوده على المنهج، لا أن المنهج يفرض قوانينه على البحث،فقد يبدأ الباحث على مبدأ المنهج التجريبي لينتقل إلى المنهج العقلي أو الاستدلالي طوعًا ومن غير تفكير.

* * *

البحث العلمي عند العرب

تعريف البحث:

البحث فطرة في الإنسان وضعها الخالق في حياته، كما وضع له العقل، فمنذ بدء الخليقة وهو يبحث عن الله، وعن الحقيقة، وعن كل ما يحيط به، وفي دماغ الإنسان مئات الخلايا التي تنشط لخدمة الإنسان الذي يجدُّ بحثًا عن شيء.

فقد كان يبحث عن مكان آمن من غائلة النكبات، والحيوانات المفترسة، وعن مكان يقيه الحرَّ والقرَّ، كما كان يبحث عن الماء في الصحراء، فهو التقصِّي عن المعرفة الحسية، ثم انتقل إلى التنقيب بفكره، فغدا الوسيلة الدقيقة والحساسة لتذليل العقبات التي تعترضه بالعقل.

والبحث لغةً: طلبك الشيء في التراب، وأن تسأل عن شيء وتستخبر، وبحثَ الرجل عن الخبر وبحثه: سأل[١].

فللفظ معنيان: الأول هو التنقيب عن الشيء، والثاني: السؤال عنه.

وهو بالإنكليزية: Research فعل يعني في الأصل: ينشد ثانية، أو يفحص لاشيء ثانية بعناية، ثم غدا المصدر «البحث» بمعنى التقصِّي بعناية.

والبحث عند حاجي خليفة سبعة أنواع لا يخرج عنها في كتابه «كشف الظنون»:

١- إما إلى شيء لم يُسبق إليه فيخترعه.

٢- أو إلى شيء ناقص يتمُّه.

---

(١) اللسان – مادة بحث.

٣- أو إلى شيء متفرق فيجمعه، وهو ما نسميه: تأليف .

٤- أو إلى شيء طويل فيختصره دون أن يخلَّ بشيء من معانيه.

٥- أو إلى شيء مختلط فيربطه.

٦- أو إل شيء مغلق فيشرحه.

٧- أو إلى شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه.

ومصطلح البحث العلمي: هو «**تقرير وافٍ يقدمه باحث عن عمل أتمَّه وأنجزه بحيث يشمل هذا التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج معروفة مدعمة بالحجج والأسانيد**»[1].

وهو الذي يوجِد السبل والوسائل لحل الأزمات، وهو الذي يحدد الطرائق السليمة لحل المعضلات الفكرية والعلمية، ويحقق طموحات المجتمع، ويفتح آفاقًا أوسع لبحوث علمية أخرى، ويدفعها للعلماء لمعالجتها، وكلٌّ بحسب اختصاصه.

وإن وجود البحث العلمي ضرورة ماسة لتقدم الوطن والعلوم، سواء في ذلك الأمم المتطورة والأمم المتخلفة،فنحن محتاجون إلى الأبحاث العلمية لتطوير العلم، وتحقيق الفائدة المرجوة من نتائج هذه الأبحاث،ولا تتم نهضة الأمم إلا بأيدي العلماء الذين يمضون عمرهم في خدمة الإنسانية بشتى فنون المعرفة: بالعلوم، والفكر، والآداب.

وكلما كان البحث العلمي قريبًا من الواقع الحياتي كان أفضل للأمة، **وتنحصر أهمي البحث إذا توجه إلى أحد ثلاث:**

---

(١) البحث العلمي: ٦٨.

١- على مستوى الفرد.

٢- على مستوى المجتمع.

٣- على مستوى الإنساني.

أما الأبحاث الأدبية والتاريخية والفلسفية والمجتمعية فتأتي أهميتها ضمن إطار كل مجتمع بذاته وما تحققه من طموحات.

البحث العلمي المموَّل:

لا شك أن البحث العلمي بشتى اتجاهاته بحاجة إلى أن يتفرغ صاحبه كي يؤدِّيَه حق أدائه، بما في ذلك بحوث الترقية، وبحوث الدراسات العليا،ولا يرقَى البحث العلمي من غير دعم معنوي ومادي لصاحبه كي يُقيم أَوَدَ عيشه من جهة، وكي يصرف على مستلزمات بحثه.

وكلما كثر السخاء على الباحث تقدَّم ببحثه أكثر، وخدم أمته بشكل أكبر،ومن المؤسف جدًّا أن معظم الباحثين يخدمون أبحاثهم من أموالهم الخاصة،حتى وإن أنجزوا أبحاثهم لا يجنون من أبحاثهم مالًا تعويضًا عما سلف أن بذلوه له، بما في ذلك أبحاث الجامعات العليا.

ومعظم الدول العربية لا تدعم الباحثين، ولا تعبأ باستنتاجاتهم،فتذهب أعمالهم سُدىً، وتبقى الأمم بلا استفادة،ونستثني من ذلك بعض الدول الخليجية التي تسخو على باحثيها في نطاق محدود، ولا سيما إذا كان الباحث أكاديميًّا. والدول النامية كذلك لا تقدم الدعمَ مطلقًا؛ فترى كبار العلماء يعتاشون بالرمق ويعملون بالنزق.

حتى الدول المتقدمة اليوم بدأت تخفف من تمويل الأبحاث، واقتصرت

شركاتهم الكبرى على دعم الأبحاث التي يعود عليها النفع شخصيًّا.

بين البحث والبحث العلمي:

لقد اختصر العلماء مصطلح «البحث العلمي» بحذف كلمة «علمي»،في حين أن هناك تفاوتًا بين المصطلحين.

وذلك أن مصطلح «البحث» قديم قدم بدء التأليف، حين كان الباحث يكتب بحثًا إما بعفوية، أو بارتجالية، أو من غير نظام، كما فعل الجاحظ في كتاب «البيان والتبيُّن»؛ إذ لم يكن لديه -حين ألفه- خطة دقيقة، ولا منهج معين في كتابه، سوى العاطفة الغيور على عروبة الأمة والدفاع عنها،ومثله المبرد في كتابه «الكامل في اللغة والأدب» على عظمة المؤلفين والكتابين.

فعلى قدرة علمائنا الأقدمين كانوا يفتقرون إلى المنهجية العلمية،لكن يكفيهم فخرًا أن أبحاثهم التي أبدعوها كانت لبناتٍ للأبحاث العلمية التي جاءت بعدهم.

ولعل أهم ما كان يحتلى به الكتاب في عصور الازدهار هو من اختيار الموضوع الذي يريدون التأليف فيه،حتى إذا عثروا عليه صبوا فيه معلوماتهم من غير نسق. كما أن المؤلف لم يكن يخطط لبحثه خطوطًا محددة أو عريضة،كما لم يستخدموا نسقًا محدودًا، ولا هدفًا يريدون تحقيقه.. وربما لم نجدهم وصلوا في أبحاثهم إلى الخلاصة المنشودة من بحثهم؛ فنجدهم أحيانًا يوجزون في فصول، ويطيلون في فصول، ويميلون إلى الإطناب حينًا، وإلى الخروج عن الهدف حينًا.

فقد كان المبرد يقول قولته الشهيرة: «الشيء بالشيء يُذكر»، ويروح بعدها في سرد أخباره وعُروضه،حتى إذا أحسَّ باشتطاط قلمه، قال قولته الشهيرة

أيضًا: «رجعُ الحديث»،ويكون القارئ قد غرق بالبحث الذي يقرؤه، وتاه عن الموضوع الأصلي.

حتى إذا امتدَّ بنا الزمان أكثر وجدنا الاختصاص بالبحث يدقُّ ويأخذ دوره العلمي كما عند أبي الفرج، وجابر بن حيان، وابن عبد ربه.

فمعظم ما ألفه قدماؤنا العظام في بواكير الحركة الأدبية والعلمية لا تعد أبحاثًا علمية ذات منهج دقيق يعتمد الترتيب الفكري، ومعالجة نقدية دقيقة، ونتائج محددة.

وخير مثال على ذلك كتاب «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي.

فلا شك أن ابن سلَّام مبدع في كتابه وموضوعه، ويعدُّ كتابه من أهم كتب النقد الأدبي القديم،غير أنه لم يدرس طبقاته بدقة، ولم يحدد خصائص كل طبقة، ولم يصل بنا إلى خلاصة لبحثه القيم هذا.

ولابد لنا من أن نطلق على ما كان يكتبه سادتنا العلماء أبحاثًا مع افتقارها إلى كثير من مبادئ البحث العلمي،لكنهم كانوا أساتذة في ترسيخ أصول «البحث»، ودقيقين جدًّا في غيرتهم، مما سنراه بعد قليل.

وإذا كانت ملاحظاتنا الطفيفة عليهم، فما بالنا نلقى اليوم باحثين يكتبون أبحاثًا تفتقر -أو تنعدم- إلى الرصانة، والأمانة، والتوثيق، ويدَّعون -مع الأسف- أنهم يكتبون أبحاثًا فيها صفة العلمية؟

فالبحث العلمي موضوع يجتهد فيه صانعه اجتهادًا رصينًا بدءًا من ابتكار فكرة البحث، وانتهاج المخطط السليم، وتفنيد الأفكار، ودقة المعالجة، ورصد الشواهد وتوثيقها، وعرض البراهين وتأكيدها بناء على أسس دقيقة سلكها

العلماء، وخطط لها الباحثون،ولا تختلف هذه الدقة العلمية في نوعية الموضوعات المعالجة، سواء كانت اقتصادية، وتاريخية، وأدبية، ونقدية، ومقارنة، وطبية، وصيدلانية.

منهجية البحث العلمي:

هو علم قائم بذاته، له أسسه وقواعده وأصوله وأبعاده وآلياته،أو هو الطريق السليم الذي يقوم عليه الباحث بتأليف بحثه والوصول به إلى النتائج العلمية المتوخاة،أو هو السبيل الذي يجب أن يتبعه الباحث في معالجته ليكشف حقيقة علمية بناء على قواعد دقيقة.

ولا يجوز للباحث أن يخوض في بحثه قبل أن:

١- يدرسَ منهجية البحث العملي.

٢- يقرأ بعض الأبحاث العلمية الرصينة المنشورة في المجلات المحكمة ليقتديَ بها.

٣- يتتلمذ على أحد العلماء المشهود لهم بالعمل الرصين، ويعرض عليه مخططه وأهداف بحثه، ويستجيب إلى ملاحظاته وتوجيهاته،وهذا ما يفعله طلاب الدراسات العليا بدءًا من البحث الصغير في الدبلوم، والبحث الأوسع في مرحلة الماجستير،حتى إذا وصل إلى مرحلة الدكتوراه التصقَ بأستاذه سطرًا سطرًا، وفكرة فكرة عدة سنوات.

ولهذا نرى بعض الجامعات الراقية المتقدمة لا تسمح بالإشراف على بحث الدكتوراه إلا ممن بلغ مرحلة الأستاذية.

يُعرف فاخر عاقل البحث العلمي، فيقول: [١] «هو البحث المنظم المنهجي الناقد في أسباب المشكلات وحلولها،ويقوم على أساس من سؤال أو من مشكلة تتطلب حلًّا،وينتقل في الملاحظة إلى التعليل، فالتجريب، فالتعميم، وأخيرًا التطبيق».

ومع أن تعريف فاخر محدد في العلوم السلوكية، فإنه حدد الطريق المؤدي إلى حقيقة منشودة في أحد العلوم والاختصاصات، وذلك بسلك مجموعة من القواعد والأسس العامة التي يتوجب اتباعها في سبيل إنجاح البحث العلمي.

ومهما يكن من أمر، فإن التحقيق لا يصنع عالمًا بالضرورة، بل لا يصنعه إلا عالم،وكذا الأمر في البحث العلمي؛ فكتابة البحث لا تصنع من كاتبه عالمًا، بل لا يصنع البحث العلمي إلا عالم متمكن،فليسر الباحث في طريق العلم قبل أن يسير في طريق البحث، عندئذ تلتقي صفة الباحث بصف العالم معًا فيه.

مفهوم مصطلح البحث:

مضت قرون والباحثون يستخدمون مصطلح «البحث» لشتى أنواع الدراسات والأبحاث، وكم خلطوا بين «مفهوم البحث» و«مفهوم الكتابة»، ولم يفرقوا دومًا بين «البحث» و«المقالة» و«الدراسة».

ولاحظ بعض السادة العلماء هذا الخلط بين المفاهيم، فاتجهوا إلى تحديد هُوية البحث الذي يصنعونه، أو الكتاب الذي ينتهج فنية البحث، فأضافوا على مصطلح «البحث» لفظة تحدد اختصاصه ومفهومه.

ولعل العلامة شوقي ضيف من أوائل من حدد نوعية البحث في كتابه «البحث الأدبي» عام ١٩٧٢م، وتبعه في التخصص أحمد قاسم النجدي العراقي

---

(١) أسس البحث العلمي: ٢٦.

في كتابه «منهج البحث الأدبي» عام ١٩٧٨م، لكنه قصره على العرب قديماً.

وصارت إضافة الصفة لنوعية البحث سمة مميزة، وألف محمد حسن عبد العزيز بالكويت كتابه «مصادر البحث اللغوي» ١٩٧٧م،ومن ثم برز باحثون يضيفون الصفة اللازمة المحددة لمفهوم «البحث»، مثل البحث الاقتصادي، البحث التاريخي، البحث الجغرافي.. وهكذا.

واتجه العلماء إلى رفد مصطلح «البحث» بصفة العلمية، فقالوا: «البحث العلمي»،وظن بعضهم أنه مفهوم للأبحاث ذات الاتجاه العلمي البحث غير أنهم سرعان ما أدركوا أن صفة «العلمي» سمة للبحث الدقيق الرصين بأي اتجاه كان.

وكان كتاب «مناهج البحث العلمي» لعبد الرحمن بدوي من أوائل من استخدم هذا المصطلح الدقيق منذ سبعينيات القرن الماضي[(١)] وبعد ذلك جاء فاخر عاقل بكتابه المذكور منذ قليل،ثم عم مفهوم «البحث العلمي» في المناهج العلمية العامة، والتأليف فيها أو ترجمتها،وخرجت دراسات ونظريات مطولة على أساس المفهوم العام.

ما لبث الباحثون والدارسون أن عادوا إلى اختصار المصطلح، والاقتصار على «البحث»، وهم يعنون «البحث العلمي» اختصارًا، مثل «بحث دكتوراه» و«بحث ساباتيكال – Sabbaticalyear»[(٢)] .

ومن المؤلم أن ظهر عدد من الباحثين يترجمون بحثًا وينسبونه إلى أنفسهم، على أنهم هم المؤلفون، ولا سيما في كلية الاقتصاد في بعض الجامعات، ونجم

---

(١) الطبقة الثالثة عام ١٩٧٧م هي الطبعة المتداولة.

(٢) إجازة تمنح لأستاذ الجامعة كل سبع سنوات للراحة أو لكتابة بحث وتدعى الإجازة كذلك: sabbatical leave.

عن ذكر أسمائهم تقديرًا لعمرهم وعقليتهم،كما أن بعضهم له عدد من المؤلفات، وهي كلها في الأصل ترجمة مثل ع.ع، ونعجب كيف يخونون الأمانة العلمية.

أسس البحث العلمي:

إذا أردنا تطبيق منهج البحث على بحث نريد معالجته، فلابد لنا من أسس نتبعها، **وسنعرضها فيما يلي بإيجاز، على أن نفصِّل بعضها لتكون سندًا للباحث:**

١- **مرحلة اختيار البحث**: وليحرص الباحث على فكر الابتكار والتجديد، أو تصحيح مفهوم بحثي خاطئ.

٢- **معرفة طرائق البحث**: في التمهيد، والعرض، والمعالجة، والبرهان، والتوثيق، والاستشهاد، والخاتمة.

٣- **المعالجة**: وهي لب البحث، وموطن المناقشة، وبذل البراهين.

٤- **الأسلوب المتبع**: ويجب أن يكون مقنعًا، وسليمًا، ومناسبًا للموضوع؛ فللبحث الأدبي أسلوبه، وللبحث العلمي أسلوبه، وكذا التاريخي، والطبي، والاقتصادي. ويدخل في الأسلوب المصطلحُ الملائم.

٥- **الوسائل المتبعة**: إذ لا يكفي أن يعالج الموضوع؛ لأن لكل بحث وسائله في الإقناع والبراهين.

٦- **الردود المقنعة**: المستند إلى مَعْلمات موثقة تؤيد ما يذهب الباحث إليه، عن طريق الأقوال المؤيدة، والأحكام الأصلية.

٧- **التوثيق**: كل رأي أو رد يجب أن يكون موثقًا بدقة.

٨- **المصادر**: يُحكم على البحث القيم بمصادره الأصلية، وليس بالمراجع العامة.

٩- **النتيجة**: التي خلص إليها الباحث،ويجب أن تكون موجزة جامعة، صفوةً لما سبق أن عرضه وخلص إليه.

١٠- التفرغ الكامل للعمل، والانكباب عليه، واستسهال كل صعب في سبيل نجاحه.

صفة البحث الجيد:

لابد أن يكون حب الاستطلاع مغروسًا في أعماق نفس الباحث، وأن يتحلى بصفات العالم، أو كما يقولون: «مشروع عالم»،وأن يحب بحثه ويميل إليه، حتى تتحقق له أمنياته.

كما يجب أن يكون الباحث أهلًا للبحث العلمي، وذا قدرة على نبش الأفكار الجديدة، ومعالجتها، والصبر على المناقشة وإيجاد الحلول المطلوبة،عندئذ نطالبه بأن يقدم لنا **البحث الجيد، والذي من صفاته**:

١- **الهدف العلمي**: على الباحث أن يضع نصب عينيه هدفًا علميًّا وهو تحقيق أمر جديد،أو تصويب نظرية خاطئة، أو صناعة بحث يستحق الجهد كي يحقق ما يصبو إليه.

٢- **موضوع البحث**: على الباحث أن يختار موضوعًا دقيقًا ومحددًا، كي يتمكن من توسيعه ومعالجته،فالبحث العلمي كالبذرة التي تنبت شجرة دغلة مثمرة. وبهذه البذرة تتفتق الأكمام وتفتح،أما إذا اختار بحثًا واسعًا فإن ساحة إبداعه تضيف عليه.

وكلما صغرت دائرة البحث كان أدعى للتعمق فيه، وأكثر توفيقًا بالمعالجة؛ لأن صغر الدائرة تدفعه إلى التوسع فيها،فالبحث في «منابع الكيمياء» عند الفارابي أضيق من «الكيمياء عند العرب».

كما أن «دور الموسيقى» عند الفراهيدي ميدان واسع للإبداع أكثر من «صناعة العروض» عنده،فالباحث الأرقى ثقافة والأكثر استعدادًا للإبداع إذا تناول البحث الأول، في حين أنه إذا تناول الموضوع الثاني عند أحدهما ضاقت عليه مساحة الإبداع.

وكذا من يتناول بحث «الإنسان في القرآن» له أن يتوسع فيه، إلى أن يصل إلى الإنسانية جمعاء فموضع البحث الضيق صفة ممتازة من صفات الإبداع فيه.

٣- **محدودية البحث**: يجب أن يكون البحث المراد الغوص فيه محدَّد الأبعاد زمانيًّا أو مكانيًّا، أو كليهما، وهي صفة علمية في البحث،فلا يجوز أن يدرس بحث «تطور شعر الخمرة في الشعر العربي»، بل للباحث أن يحدد موضوعه في «العصر الجاهلي» أو «في العصر الأموي».

والبحث المحدد الأبعاد مثل «شعر الحماسة» في عصر بني حمدان حصرًا يمكِّنُ الباحثَ من أن يسبر أغوار شعر هذه الحقبة المحددة زمانيًّا في نصف قرن، ومكانيًّا في حلب،فترى الباحث يبدع ويجيد؛ لأنه تناول بحثًا جيدًا محددًا.

٤- **الجدة والابتكار**: وهي من أهم صفات البحث الجيد،إذ ماذا يجدي البحث الذي سبق أن دُرس؟ فإن تناول «الزهد عند أبي العتاهية» أو «الغلامية عند أبي نواس» فإنه سيلوك ما قاله الأسبقون، ويجهد نفسه بلا جدوى، ويُضيع وقته الثمين بلا طائل.

وقد يقبل البحث المطروق، ويعد جيدًا إذا قصر السابقون في معالجته أو لم يخرجوا بنتائج علمية مبتكرة، مثل «الوزن والموسيقى في الموشحات»؛ فهو موضوع مدروس، فإن كان عند الباحث ما يعدُّ تجديدًا فيه أقدم عليه، وخرج بنتائج معتبرة،وإن كان مقصورًا على ما سبق أن درس كان بحثًا ممجوجًا.

٥- **الأصالة**: صفة أساسية في البحث الجيد العلمي الرصين؛ لأن الأصالة

تساعد على إسهامات المعرفة البحثية، وتعمل على خدمة العلم والإنسانية معًا.

والبحث الأصيل يستند إلى أفكار جديدة دائمًا وأفكار مستحدثة، وليس إلى سرد آراء وأفكار لباحثين آخرين أو تلخيصها،لكن الباحث لا يجوز له أن يستند إلى آراء وأفكار وملاحظات الآخرين (١) في بحثه الأصيل.

والأصالة كذلك تعني ابتكارية البحث وجدَّته، كما تعني تجرُّد الباحث من الهوى والميول الشخصية.

٦- **توفر المصادر**: مهما كان الباحث علميًّا ومقتدرًا فلابد له من مصادر يعتمدها ويستند إليها في كتابة بحثه،وإذا لم يكن هناك مصادر، فكيف يكون ما يصنعه بحثًا؟ بل كيف يكون بحثًا إذا لم يبحث بين ثنايا المصادر والمراجع ما يؤيده أو يناقشه؟ علمًا أن البحث إن لم يكن مدعمًا بالمصادر، وموثقًا بالنصوص والبراهين يرفض.

إن الشاعر ينظم قصيدته من وحي شاعريته وإلهامه، والروائي يكتب أحداث روايته من خياله أو من ماجريات واقعه، ما لم تكن الرواية تاريخية،وكاتب المقال اليومي يذكر حدثًا ويناقشه،أما البحث فلا يجوز أن يكون إلا بالمصادر العربية والأجنبية.

فالبحث الجيد هو الذي تؤيده المصادر، ولذلك حين يختار الباحث بحثًا يريد معالجته، عليه قبل أن يبدأ به أن يزور المكتبات؛ ليتأكد من وجود مصادر له تسهِّل له عملية البحث،فكثير من الأبحاث الجيدة نادرة المصادر مثل «دور آل شاكر» في الرياضيات،ولا ننصحه بأن يصرَّ على بحثه هذا إن لم يجد ما يبحث؛ لئلا يذهب مجهوده هباءً، ويضيع وقته بلا جدوى.

---

(١) الدليل في مقرر المشروع: ١٨.

وقد تكون المصادر موجودة ولكنها غير مبذولة بين يديه، أو بعيدة المنال، كمَنْ يريد كتابة بحث عن «بني مرين» أو عن اللغة الأمازيقية البربرية ، أو عن «أدب الموريسك»، وهو من أهل المشرق في الشام أو العراق.

وكذا من يريد دراسة «الشيخ صالح العلي» أحد زعماء الثورة السورية (ت١٩٥٠م)، أو «بني مرداس» حكام حلب وهو في الجزائر أو المغرب.

إن على الباحث أن يختار الموضوع من ضمن دائرته، وله مصادر متوافرة،وفي هذه الحال نضمن له النجاح في عمله بإذن الله،وفي غير هذا قد يأتي البحث ناقصًا لقلة المصادر،ولهذا نرى المستشرقين يأتون إلى المشرق لدراسة موضوعاتهم للتأكد منها عمليًّا وعلميًّا، وعلى أرض الواقع.

٧- **إمكانية البحث**: يفضل للباحث أن يستبعد الأبحاث الشائكة، والمتشعبة، والمعقدة،بمعنى أن يختار بحثًا يقدر على معالجته، ويدخل ضمن إمكاناته، وينأى بنفسه عن الموضوع الشائك مهما كان شائقًا ونافعًا،لكن الموضوع الشائك يمكن للباحث الخبير الصبور أن يعالجه، أو أن يتشارك فيه أكثر من باحث.

هذه أهم صفات البحث الجيد،وسيرد جانب آخر من صفات البحث الجيد في الموضوع الآتي «اختيار البحث».

البحث المحكَّم:

إن ما ذكرناه آنفًا صفات لأبحاث يهدف باحثوها إلى معالجتها والخروج بنتيجة علمية ترضيهم،وهناك نوع آخر من الأبحاث الرصينة، وهي التي تدرس بعناية فائقة بهدف الترقية العلمية في الجامعات والمؤسسات الثقافية،ولابد في هذه الحال من نشرها في إحدى المجلات العربية أو الأجنبية،ويسمى البحث

بحثًا محكَّمًا إذا وافقت إحدى المجلات المحكمة على نشره.

ومن شروط هذا البحث أن يكون مبتكرًا، جديدًا، لم يسبق نشره في أي مؤسسة كانت، أو أن يعالج موضوعًا مهمًّا، يخدم العلم والوطن، ويكتبه عادة مُدَرِّس يسعى به للترقية إلى أستاذ مساعد، أو أستاذ مساعد لترقيته إلى رتبة أستاذ، أو بهدف إثباتِ حقِّه الابتكاري رسميًّا.

فبعد أن ينجز الباحث بحثه يرسله إلى المجلة، التي تُعلمه أولاً بوصول البحث. وعليه أن ينتظر نتيجة الحكم،فترسل المجلة البحث باسم مُغفل إلى ثلاثة حُكام لا يعرف الباحث أسماءَهم،وهم يتصفون بالنزاهة والمقام العلمي الرفيع،والباحث لا يأخذ أجرًا على نشر بحثه، في حين أن بعض المجلات تتقاضى منه الأجر، بينما يأخذ الحكام مكافأة مجزية على حكمهم الذي لا يُعترض عليه.

وينتظر الباحث بضعة أشهر حتى يأتيه الجواب،فإن جاءت الأحكام بالموافقة، أو بموافقة معظمها، كتبت المجلة للباحث كتابًا تعلمه بـ «الموافقة على النشر». ويكون هذا الكتاب وثيقة رسمية للترقية، ويؤخذ بها حتمًا،أما نشر البحث في المجلة فقد يستغرق عامًا وأكثر.

أما إن جاء الجواب بالرفض، فإنه يعيد النظر ببحثه، ويتلافى الملاحظات التي وصلت إليه،وقد يستشير صديقًا أو زميلًا بأمر البحث،حتى إذا أحسن تصويبه، ورآه يستحق النشر، بعث به إلى مجلة أخرى، وعليه أن ينتظر المراحل التي ذكرناها أولًا.

المجلات المحكَّمة:

والمجلات المحكمة تصدر إما في الجامعات، أو في المؤسسات الثقافية،وهي عربية، أو أوروبية، ويبلغ عدد المجلات التي تعتبرها وزارة التعليم العالي في سورية مقبولة الأحكام ثلاث مئة مجلة، نذكر فيما يلي جانبًا من أسمائها واسم

الدولة التي تصدر منها مع اسم المؤسسة الثقافية؛ للاستئناس بها.

وإذا شاء الباحث المزيد فعليه أن يتصل بإحدى جامعات القطر الحكومية[١]، ومن هذه المجلات:

المجلات العربية المحكمة

الرقم	اسم المجلة	تصدر عن	الدولة
١	مجلة الأحمدية	دار البحوث والدراسات الإسلامية- دبي	الإمارات
٢	مجلة الإمارات للعلوم الزراعية	كلية نظم الأغذية –جامعة الإمارات العربية المتحدة.	الإمارات
٣	مجلة الشريعة والقانون	كلية الحقوق- جامعة الإمارات	الإمارات
٤	المجلة العربية لتكنولوجيا المعلومات	جامعة الزرقاء الأهلية- كلية العلوم وتكنولوجيا المعلومات	الأردن
٥	مجلة اتحاد الجامعات العربية- المجلة العربية للآداب	الجمعية العلمية لكليات الآداب- كلية الآداب- جامعة اليرموك.	الأردن
٦	الأردنية للعلوم الزراعية	الجامعة الأردنية	الأردن
٧	المجلة الأردنية لعلوم الأرض والبيئة	الجامعة الهاشمية الزرقاء- الأردن- كلية الزراعة	الأردن
٨	المجلة الأردنية للرياضيات والإحصاء	جامعة اليرموك- الأردن	الأردن

(١) صدر قرار وزارة التعليم العالي في شهر أيار عام ٢٠١٢م.

٩	مجلة جامعة مؤتة للبحوث والدراسات	الأردن	الأردن
١٠	مجلة المنارة	جامعة آل البيت الأهلية- الأردن	الأردن
١١	المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية	عمادة البحث العلمي في جامعة العلوم التطبيقية الخاصة في عمان	الأردن
١٢	مجلة البلقاء للبحوث والدراسات	الأردن	الأردن
١٣	المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها	اللجنة العليا في البحث العلمي- الأردن	الأردن
١٤	مجلة دراسات.	الجامعة الأردنية	الأردن
١٥	مجلة اتحاد الجامعات العربية للعلوم الأساسية والتطبيقية	الجمعية العلمية لكليات العلوم- جامعة البحرين- Elsivier	البحرين
١٦	مجلة الحقوق	كلية الحقوق- جامعة البحرين	البحرين
١٧	مجلة العلوم الإنسانية	كلية الآداب- جامعة البحرين	البحرين
١٨	ثقافات	كلية الآداب- جامعة البحرين	البحرين
١٩	مجلة العلوم التربوية والنفسية	كلية التربية- جامعة البحرين	البحرين
٢٠	مجلة مخبر الدراسات الشرعية	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة- الجزائر.	الجزائر
٢١	الجمعية السعودية للعلوم الزراعية	جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية	السعودية

المجلات الأجنبية المحكمة

Journal of Advanced Research مجلة تصدر عن جامعة القاهرة متخصصة في أبحاث الطب والزراعة.
Math Fast East Journal تصدر في الهند- متخصصة في أبحاث الرياضيات
British Medical Journal BMJ
JOURNAL OF THE AMERICAN OIL CHEMISTS،SOCIETY-SPRINGER.
Journal of Geodynamics- Elsevier
The Lancet
New England Medical Journal
Periodontology Journal Of Clinical
Dentistry British Society Of Paediatric
Dentistry Paediatric International Society Of
The European Journal of Prosthodontic and Restorative Dentistry
Journal Of American Dental Association
Saudi Dental Journal
Journal Of Oral Rehabilitation
Britich Dental Journal
Dental Update
Cir Bucal Oral Med Oral Patol

Saudi Medical Journal
European Journal of Cancer
Journal of Periodontology
Journal of Osaka Dental University
Journal of pharmacy and pharmacology
Journal of Controlled Release
International Journal of Pharmaceutics

اختيار البحث:

إن اختيار البحث مهمة ليست شاقة، ولكنها تحتاج إلى صبر وطول وقت قد يبلغ شهورًا،وهي مفتاح عمل الباحث،وقد كان علماؤنا منذ القرنين الثالث والرابع يختارون البحوث الجيدة كي يصنفوها ويؤلفوا فيها.

وكانوا أحيانًا يختارون موضوعاتهم من أحداث الساعة؛ فأهل العلم أقبلوا على الأبحاث العلمية في الفلك والطب والهندسة لاهتمام العصر العباسي بالحركة العلمية،وكان الأدباء يتصيدون أحداث العصر ليكتبوا بها كالشعوبية والأحداث الفكرية، وخلق القرآن.

كما أدرك بعضهم احتياج الشباب إلى التأليف، فكتبوا لهم كيفية البحث عن البحث، وانتقائه من جملة ما أمامهم، وكيفية كتابته، وذلك بعد أن انتشرت الحركة العلمية والأدبية، وأرادوا أن يسهموا بها أسوة بمن سبقهم،**ومن هؤلاء الأدباء:**

١ - محمد بن عبد الغفور الكلاعي، كان حيًّا في القرن السادس، وقد ألف كتاب

«إحكام صنعة الكلام»، حض فيه الباحثين على كيفية اختيارهم لأبحاثهم، والتوجه إلى إطالة الأبحاث القصيرة تدرُّبًا، وضرورة الانتقال من الجد إلى الهزل بين الفينة والأخرى تخفيفًا عن القارئ.

٢- وتبعه القاضي الحموي ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) بكتابه «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم»، والكتاب مطبوع،وضع فيه للطلاب منهج البحث والتأليف.

٣- ووضع السيوطي (ت ٩١١هـ) رسالة قصيرة عنوانها «التعريف بآداب التأليف».

٤- وألف عبد الباسط بن موسى العَلمويُّ (ت ٩٨١هـ) كتابه «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» [١].

إضافة إلى من ألفوا في أدوات الباحث كالأقلام والورق، وفي صناعة الكلام، مما هو أساسي في عدة الباحث،لكن الكتب في تعليم التأليف وصناعة الأبحاث واختيارها كثرت بدءًا من القرن الخامس، وقلت في العصر العثماني، حتى كاد الطلاب لا يجدون من يوجههم في هذا العصر.

وحين نهض الأدباء اليوم ليكتبوا للباحثين الناشئين ألفوا لهم كتبًا غالبها مترجم، بعيدة عن الواقع، ولا تخدم الباحثين،وهي من باب التباهي بالمعرفة أكثر من تقريب سبل العمل للباحثين،وهي أشبه بالكتب النظرية التي كان الإغريق يؤلفونها، في حين أنهم يحتاجون إلى ما ألفه العرب عمليًا.

وإذا قرأ الباحث أحد هذه الكتب صُدم بأسماء أجنبية ومصطلحات لا تلزمه، وضلَّ السبيل، واعتراه الغموض والتشاؤم،وليس بعيدًا أن يحجم عن

---

(١) وقد صدر بتحقيقي عن مكتبة الثقافة الدينية في القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.

اختيار بحث ليكتب فيه. ومن هذه الكتب:

١- مناهج البحث العلمي- لعبد الرحمن بدوي

٢- أسس البحث العلمي- لفاخر عاقل.

٣- البحث العلمي- رجاء وحيد دويدري

٤- منهجية البحث العلمي- عبود العسكري.

وهم على مكانتهم العلمية لم يقتربوا من الباحثين، ولم يمهدوا لهم سبل اختيار البحث وكتابته،ولعل أحمد قاسم النجدي في كتابه «منهج البحث عند العرب» وشوقي ضيف في كتابه «البحث الأدبي» أقرب ما يكون للباحثين الشباب؛ لأن المؤلفين قدما سُبلًا عملية في اختيار البحث.

ونحن نميل مع من يكتب للشباب السبل العملية المفصلة في اختيار البحث وكتابته بالتفصيل، مع الخطوات العملية كما علمنا إياها شيوخنا القدماء.

قبل أن يقدم الباحث على اختيار البحث والبدء به يجب أن يدرسه بعمق؛ ليعرف النواحي الإيجابية والجيدة فيه، ومدى قدرته على استيعابه، وتمكنه من الإحاطة به، واكتشافه لمفاهيم خاطئة عنه، وقدرته على معالجتها ومناقشتها وتصويبها، وعليه أن ينتبه إلى ما يرتبط بالبحث، وهو ما يسمى بالإحاطة الكاملة.

فإذا قرَّ قراره على البحث، وأحسن اختياره، باشر بنسل المعلومات، والذي يسمى «التقميش» (سيأتي بحثه بعدُ)، ويوثق أراءه بشواهد وأحكام موثقة كل ذلك على البطاقات التي أشرنا إليها.

والبحث الجيد يدفع الباحث إلى الإخلاص والجدية، والاندفاع فيه

بشوق،ولا ينسَ أن البحث الجيد يطالبه بالعمل الجيد، ويرفع به، وينقذه من الناقد المترصد المتصيد.

ولا يعترينَّ الباحث المللُ في العمل والسهر الطويل، ولا يسأمنَّ من الرجوع إلى المصادر والمعاجم دومًا،وليتذكر النحلة وليجعلها أمثولة له؛ فهي تنهض في الصباح الباكر، وتسرع إلى الحقل (مكتبتها الخاصة)، فترتشف رحيق الأزهار والأوراد بدأب، وتنتقل من هنا إلى هناك؛ لتعود إلى مقرِّها في آخر المطاف لتمجَّ ما ارتشفته، وتبني بعسلها هذا البيت الجميل المتقن الرائع،هذا أشبه بنسل المعلومات، وإنزالها في البحث بإحكام.

وليعقد عزم العلماء على النزاهة، وعدم تحويل عِنان البحث الذي اختاره إلى ما يناسب هواه، فيفقد بحثه علميته،وليجعل بصيرته في بحثه نائية عن أي مَيل؛ لأن الميل انحراف، والانحراف يُضعف البحث في جدته واستقامته،فهو في بحثه الذي اختار صار باحثًا لا واعظًا، لا مبشرًا ولا منذرًا.

ويستطيع ببراعته وتحليله ومناقشته أن يبين الحق والباطل، والخير والشر، بطريقة غير مباشرة،كالباحث العلمي الذي يصنع بحثًا اختاره عن النبيذ،وسرعان ما يرفع عصا الناهي عن المنكر،أو كمن اختار بحثًا عن المعتزلة، وهو عدو للاعتزال،فعليه أن يعالج الموضوع بتجرُّد، ويناقش آراءَهم، وطيَّ حديثه -عن غير عمد- يبث ضرر الاعتزال وخطأ هذه الفرقة، من غير مباشرة ولا عدوانية.

كما لا يجوز لباحث أن يختار موضوعًا، وهو مصمم على الميل إليه حتى قبل أن يجمع معلوماته عنه؛ لأن توجُّهه سيكون محددًا مسبقًا، وهذا يضر بالبحث،إن إشباع البحث بالمعالجة والمناقشة يؤدي إلى ما يقصد الباحث إليه طواعيةً.

ولا يمكن لبحث أن ينال حقه من الدراسة الواقعية إلا إذا أحبه الباحث؛

فحب الباحث بحثه الذي اختاره ليرافقه زمنًا هو أول درجات النجاح، وكره الباحث بحثه أول علامة من علامات فشله،فلا يقدم أحد على اختيار بحث وهو لا يحبه، أو هو مكره على عمله؛ لأنه لن يلقى في نفسه هوى للتعامل معه.

ويستحسن بالبحث المختار أن يكون فيهِ إيجابيات تشجعه على العمل به؛ لأن السلبيات الكثيرة تقضُّ المضجع وتفزِّز النفس.

ويفضل أن يكون **البحث المختار بكرًا** أو شبيهًا بالبكر، بكرًا؛ أن أحدًا لم يطرقه قبله تمامًا كالغابة العذراء التي لم يدخلها أحد،والموضوعات البكر كثيرة جدًّا في كل العلوم،وأشبه بالبكر، أي فيه جانب مهم لم يطرق، أو لم يعالج معالجة كافية، أو عولج خطأ بناء على معطيات سابقة، وقد تغيرت في زمانه كالغزل عند أبي فراس،فكثير من الأدباء درسوا أبا فراس، وأشادوا ببطولاته ورومياته، فشغلوا بهما عن غزله،أو الزهد عند أبي نواس الذي يستحق دراسة جديدة، أو غزل الغلام عند أبي تمام،فالشعراء الثلاثة مدروسون بشكل كامل باستثناء هذه الجوانب التي نراها بكرًا أو أشبه بالبكر.. إلى جانب موضوعات بكرية كثيرة.

فالموضوع البكر يعني الجدَّة، ويعني راحةً للباحث،واختيار الموضوع البكر أصلًا دليل على تقدم الباحث في البحث، وإبرازه للنشر نتيجة ناجحة مضمونة وحتمية،وهذا ينفي قول القائلين: «ما تركَ الأقدمون للآخَرين شيئًا».

ونرى أن كل بحث يدرس يُفتح الأذهان على موضوعات جديدة، يثيرها الموضوع البكر، وقد كان العرب القدماء يفتخرون بالموضوعات المبتكرة التي لم يسبقهم إليها أحد.

ولا مانع من اختيار بحث مدروس إذا كان الباحث سيتناوله من جانب

آخر، فكثير هي الأبحاث والمؤلفات التي كتبت عن المتنبي، وسعى كل باحث إلى أن يتناوله من منظاره الخاص.. وكثرة الدراسات تُبرز أهمية البحث، وتفتح الأذهان إلى المزيد.

وقد سألني سائل وأنا في صلالة في عُمَان: لماذا كتبت كتابك «لمحات من تراثنا»، وقد سبقك إلى الموضوع آخرون؟ فأجبته: لا يعني أن أحدًا ألف في موضوع لا يحق لغيره أن يكتب فيه؛ فكتب القدماء متشابهة الموضوعات كثيرًا، لكن كل واحد كان يتناول الموضوع من منظاره الخاص؛ ليضيف عليه ما يعتقد أن الذي سبقه أنقصَ فيه،كما أن تنوع ثقافات الأدباء والباحثين وتوزع مشاربهم يخلق حركة أدبية مزدهرة،والمهم أن يجد الباحث ما يضيف على غيره لتبرِّر معالجة الموضوع.

ثم إن المتأخر يفضل على المتقدم بزيادة المعرفة والتجربة وتلمُّس نقائص من سبقوه، تمامًا مثل سلسلة كتب «تاريخ الأدب العربي» الذي ألف فيه عدد من رواد العلم، وكان كل واحد يغير منهج سابقه ويزيد فيه، حتى بلغ الذروة على يد عمر فروخ،وربما أتى بعده من يفضله في التفصيل، والتنويع والتناول.

فقد لا يستوفي البحث السابق حقه من المعالجة، أو أنه لم يكن منسَّقًا، وتصعب على الباحث الاستفادة منه، فيجيء من يتناوله تناولًا حسنًا،وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) إذ قال[١]:

«فلما رأيتُ تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختيار الكلام، ووقفت على مَوقع هذا العلم من الفضل، ومكانهِ من الشرف والنبل، ووجدتُ الحاجة إليه ماسَّة، والكتب المصنَّف فيه قليلة، وكان أكبرها وأشهرها البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمري جمُّ الفوائد.. إلا أن الإبانة

(١) الصناعتين: ٤ - ٥، من المقدمة.

عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه؛ فهي ضالّة بين الأمثلة... فرأيتُ أن أعملَ كتابي هذا مشتملًا على جميع ما يُحتاج إليه في صنعة الكلام: نثرِه وشعره، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال، وإسهاب وإهذار..».

وليحرص -حين يختار بحثه- على أن يكون له مكانته العلمية بين العلماء، وحاجة الجامعة إليه، ورغبة عند الناشرين بنشره، وإلا ذهب جهده وبحثه هباء.

وهمسة أخيرة علمنا إياها شيخنا -أطال الله عمره- وهو أننا حين نختار بحثًا لا نشيع أمره بين الأصدقاء، وحتى لأقرب المقربين، باستثناء أستاذ الباحث الذي سيوجهه؛ لأن كشف خبر البحث يؤدي إلى ضياعه أو ضياع بكرية اختياره؛ لأن كثيرًا من صغار الباحثين -إذا أجدبت قرائحهم- تسقطوا أخبار الأبحاث، فيهتبلون الفرص في كتابته وسبق الذي اختاره، ويجاهدون في إنجازه قبل أن يتمَّه مكتشفه،وقديماً قالوا: «السر إذا خرج من اثنين لم يعدْ سرًّا»،ومعلوم أن الاثنين هما شفتاه ليس غير.

أسلوب البحث:

الكتابة موهبة ربانية يمنحها الله تعالى بعض الناس، تمامًا كالموهبة الشعرية والموهبة الغنائية،لكن هذه الموهبة -وغيرها- تحتاج إلى تنمية كما يقول جابر بن حيان، كما تحتاج إلى غذاء وتطعيم،ولا يتم ذلك إلا بالمطالعة الجادة المستمرة،وإن كل موهبة لا تراعى تموت في مهدها.

وهذه الموهبة فطرية تولد مع الإنسان،وقد تصبح موهبة مكتسبة إذا تفرَّغ لها الراغب فيها، واجتهد في تثقيف نفسه بقراءة كتب فطاحل الأدب والفكر،

وراجع كل كلمة يشك بها في المعاجم الأصيلة، وحاول أن يكتب كثيرًا ويمزق كثيرًا حتى يستقيم قلمه، وتطاوعه أنامله.

وعليه أن يعرض ما يكتبه على من هو أعلى مرتبة منه؛ ليقوِّم له كتابته، ويصقل له جمله،فبمتابعة المطالعة، وبمتابعة الكتابة، وبديمومة المراقبة يستقيم اعوجاج قلمه، ويلين أسلوبه، وتشرق كلماته؛ وتغدو الكتابة عنده مطواعة.

وموهبة الكتابة شيء والعثرات شيء آخر.. فعليه أن يقوِّم عثراته اللغوية، ويصوِّب أخطاءه الإملائية، ويتلافى الأخطاء الشائعة،ولا يتمُّ هذا إلا بدراسة الكتب التخصصية.. فهو يقرأ كتبًا أدبية ليغذي أسلوبه ويصقله، ويقرأ كتبًا تخصصية حتى يقوم اعوجاجه.

ذلك أن الأسلوب الركيك، والمضطرب الترابط، والمشوَّه بالهنات يقلل شأن ما يكتب.

ثم ينتقل إلى الموضوعات التي يكتبها.. عليه أن يكتب بادئ ذي بدء ما يهواه، وجميل أن يكتب خواطره، ومذكراته، وينتقد ما حوله.. ثم يرقى أكثر ليكتب ملخصات دروسه التي يلقيها أستاذه في الصف، ثم يلخص بعض ما يقرأ.. وشيئًا فشيئًا يزداد تطور فكره بالكتابة حتى يصل إلى الأبحاث.

ومن عجب أن نرى شبابًا يقدمون على كتابة الأبحاث، فتكون بواكير ما يكتبون، ولذلك نراهم لا ينجحون،الكتابة بالموهبة كالإنسان؛ يولد، ثم يغذى، ثم يحبو، ثم يسير بخطا متعثرة، حتى يبلغ مرحلة الشباب والنمو المكتمل.. فيصير رياضيًّا،وكذا هذه الكتابة تبدأ كامنة، ثم تتطور شيئًا فشيئًا، حتى إذا نضجت وجدت كتابة البحث مطواعة لها.

وهنا يأتي دور البحث الذي سيرتدي الأسلوب الذي يناسبه،ذلك أن

الأسلوب الأدبي يختلف عن الأسلوب العلمي، وعن الأسلوب التاريخي والشرعي، والاقتصادي،فكل أسلوب يجب أن يناسب الموضوع الذي يعالج ويدرس.

فالأسلوب الأدبي جزل رصين،في جمله توازن، وفي تعابيره جمال وخيال وصور، وفي مفرداته انتقاء،والأسلوب العلمي واضح التعبير، بعيد عن الصور والخيال، وهو أميل إلى الأسلوب الواقعي،وهناك أسلوب أدبي علمي، يعالج به الباحث موضوعًا علميًّا بأسلوب أدبي، أو موضوعًا أدبيًّا بأسلوب علمي مثل كتاب «الحيوان» للجاحظ.

ولابد لأي نوع من الأبحاث من مصطلحات خاصة، تقرِّب المفهوم للقارئ. ولذلك كتب الأدباء كتبًا في المصطلح الأدبي، وفي المصطلح التاريخي، وفي المصطلح العلمي.

وعلى الباحث أن يستعمل كتب المصطلح على حسب البحث الذي يكتبه، مثل «التعريفات» للجرجاني، و«مفتاح العلوم» للسكاكي، و«الكليات» لأبي البقاء الكفوي.

ويدخل في حساب أسلوب البحث: ترتيبُ الموضوع، وحسن البدء، وحسن العرض، وحسن الختام. كما يدخل فيه: علاماتُ الترقيم، ووضع العناوين البارزة المؤدية للمفهوم المراد عرضُه، وتسلسل الفقرات، والتسلسل المنطقي في عرض البحث.

والبراعة الأسلوبية تفرض على الباحث عدم إطالة الجمل، ومراعاة الجمل الجوابية، والدعائية، وعدم استعمال المفردات الصعبة؛ لأن الجزالة لا تعني استخدام المفردات الصعبة والعويصة، بل تعني استعمال المفردات الأدبية

الرصينة، والبعيدة عن العامية.

وينبغي الإقلال ما أمكن من استخدام ضمير المتكلم المفرد، والأفضل استعمال ضمير الجمع أو ضمير الغائب،ولا ينبغي بالباحث أن يتباهى ويعتز بما يكتب، كما أُخذ على أبي تمام تباهيه واعتزازه،والقارئ هو الذي يحكم على أسلوب الباحث. فالقراء معجبون بأسلوب الرافعي وجبران، وهم الذين يعلنون هذا،ولو أن الأديبين تباهيا بأسلوبيهما لسقط مقامهما عند القراء.

ومن العيب أن يستعمل الباحث أسلوب الطعن بالآخرين والتجريح بهم، والسخرية من الباحثين أنداده،فالشتائم لا ترفع من مقام الباحث الشاتم، بل تقلل من قيمته، ومثله المذاهب التي تعتبر شتم الآخرين يُدخل الجنة! وليكن الباحث مهذبًا في نقده، ألا تقرأ القرآن؟ ألا تقرأ أحاديث رسول الله R؟فكيف تقرؤهما ولا تتعظ بأدب الخطاب؟

وينبغي عدم التشبث بالرأي كقول بعضهم: «لم يسبقني أحد»، أو هذا هو الرأي الصواب،والأفضل استعمال أسلوب الأدب، فتقول: «لا أظن» ويبدو لي، وأرجح، ويفضَّل.. فأسلوب الترجيح يقدَّم على أسلوب الادعاء مثل: لعل.. في نطاق التظني... ربما..

ويفضل بالباحث عدم الإطالة في المعالجة، والابتعاد عن أسلوب التكرار، وعدم الاستشهاد الكثير أو تعدد البراهين.. فالوسط خير الأمور، والإقناع بواحدة أساسية تُغني عن التفصيل.

وأختتم «أسلوب البحث» بحكاية عن غرابة اللفظ،قيل: إن أمَّ الهيثم الأعرابية «وكانت تعتبر مرجعًا لغويًّا آنذاك، نزلت في العراق أيام احتدام النزاع اللغوي بين البصرة والكوفة» اعتلَّت، فزارها أبو عبيدة، وقال لها: عمَّ كانت

علتك يا أم الهيثم؟ قالت: «شهدتُ مأدبةً، فأكلتُ جُبْجُبةً من صَفيفِ هِلَّعةٍ، فاعترتني زُلَّخة. قال ما تقولين يا أم الهيثم! فقالت: أوَ للناس كلامان؟»[١].

ويقول الجاحظ[٢]: «ولا ينبغي أن يكون الكلام عاديًّا، وساقطًا سوقيًّا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلم بدويًّا أعرابيًّا؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقيُّ رطانة السوقي،وكلام الناس في طبقات».

* * *

(١) الجبجبة: وعاء يتخذ من أَدَم (الكرش يملأ بالشحم) يسقى فيه الإبل، وينقع فيه الهبيذ. والجبجة: الزَّبيل من جلود ينقل فيه التراب، والجمع الجَبَاجب.
الصفيف: ما يصفّ على النار ويشوى.
الهلعة: لحم أنثى المعز.
الزلخة: وجع يصيب الظهر؛ ولعلها تعني الإسهال.

(٢) البيان والتبين: ١/ ١٤٤.

الفَصْلُ الثَّانِي
الباحث ومهمته

الباحث قديمًا:

كان الأدباء القدماء دقيقين في تخير أبحاثهم وكتابتها منذ نشأة الكتابة وكان الباحث منهم يدقق في أبحاثه، وكأنه يقدِّم بحثًا علميًّا محكَّمًا؛ لأنه غيور على عمله، ويترقب النقاد ومؤرخي الأدب، وكأنهم لجان التحكيم.

وقد وضع القدماء شروطًا ينبغي أن يتمثلها من يريد الخوضَ في التصنيف، ولا سيما تصنيف الكتب الأدبية،وكان الأدباء يركزون كثيرًا على هذه الصفات في كتبهم، **ومن هذه الصفات التي كان الباحث القديم يهتم لها:**

١- **الأهلية**: ما كان الباحث يؤلف بحثًا أو كتابًا إذا كان يشعر أنه غير مؤهل للتأليف، وقد ذكر السيوطي[1] في قول أبي زكريا النووي (ت ٦٧٦هـ):

«ينبغي أن يعتنيَ بالتصنيف إذا تأهَّلَ له،وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له؛ فإن ذلك يضرُّه في دينه وعلمه وعِرضه».

لأنه إذا أقدم ولم يكن ذا أهلية على تأليف كتاب فإن النقاد سيطعنون في دينه، وفي علمه، وفي شرفه،وهذا يعني أن التأليف قديمًا مرتبط بالدين؛ لأن معظم ما كان يؤلف موظف لخدمة القرآن والإسلام،وسيكون مطعنًا في علمه، أي أنه يدَّعي العلم، وهو جاهل،ويؤثر هذا في سمعته وشرفه واسمه بين أوساط العلماء.

---

(١) التعريف بآداب التأليف: ٣.

٢- **التحصيل**: ومعناه جمع العلوم والمعارف من المظانِّ المهمة الموثوقة و«أهل التحصيل» هم الباحثون والمؤلفون، فلا يجوز للمؤلف أن يخوض ساحة العلم ما لم يكن مطلعًا على ما سبق تأليفه، مما يخدم عمله.

٣- **التحقيق**: وهو التدقيق في صحة الخبر، والتحقيق من روايته عن ثبت أو من مصدر صحيح،والتحقيق: سعة أفق الكاتب، وتحكيم عقله لمعرفة الخبر الصادق من المشتبه به.

وقد عرَّف الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) صفة التحقيق بقوله(١): «**التحقيق: إثبات المسألة بدليلها**». يعني الحذر إلا عند التثبت.

٤- **التمييز**: وهو قدرة المؤلف على دراسة النصوص ونقدها، واختيار الصالح منها لبحثه، واستبعاد غير الصالح، والمتشابه من الأفكار،وعندهم أن التمييز لا يقدر عليه إلا العالم الحصيف اليقظ الممتلئ علمًا،وهذا نوع من نقد النصوص قبل تأهيلها للاستشهاد بها.

٥- **التثبت والتأنِّي**: وتتمثل هاتان الصفتان في العلماء،وهذا الذي ركز عليه الجاحظ بقوله(٢):

«وكانوا يأمرون بالتبيُّن والتثبُّت، وبالتحرز من زَلل الكلام، ومن زلل الرأي، ومن الرأي الدَّبَرِيِّ،والرأيُ الدَّبري هو الذي يَعْرِض من الصواب بعد مضيِّ الرأي الأول وفوتِ استدراكه».

٦- **التواضع**: وهو عدم الادعاء بأن العالم يعرف كل شيء، ويتباهى به. ومعروف أن من قال: إنني لا أخطئ فقد جهل،وقد قال عمر بن عبد العزيز:

(١) التعريفات: ٢٩.

(٢) البيان والتبين: ١/ ١٩٧.

«من قال: لا أدري، فقد أحرزَ نصف العلم»،ولهذا كرهوا صفة المتعالمين الذين يدَّعون المعرفة في كل شيء، وإن أخطؤوا.

وكتاب الجاحظ هذا حافل بموضوعات التواضع عند العلماء، ومثله «عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«محاضرات الأدباء» للعماد، وغيرها،والتواضع صفة واجبة على العلماء حتى اليوم،وكلما ازداد علم العالم ازداد معه تواضعه، كلما قل علمه ازداد معه زهوُّه وافتخاره.

٧- **النأي عن الهوى**: والذي يقال له أيضًا: النزاهة. ونادرًا جدًّا أن نرى عالمًا مسلمًا نزَّاعًا إلى الهوى، إلا من كان ذا ميل في أصل مذهبه فالجاحظ على ما عرف عن صدقه بالروح العروبية والتعصب لها، كان يفضل أبا نواس على غيره من الشعراء في الرجز والطرديات؛ لخبرته الواسعة في كلاب الصيد،فهو لم يحاربه على شعوبيته، ولم يكره ذكره، بل فضَّله وأثنى عليه في غير موضع، ومن ذلك في حديثه عن صناعة الكلام، فقال:

«وقد تحسن أيضًا في ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس».

فنراه يفضِّله تاركًا الهوى والتعصب جانبًا في سبيل التثبُّت..

حتى الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) كان يرى «أن تغلب الأهواء يطمس أعين الأراء، وأن الميل عن الحق يُبهم سبيل الصدق»

٨- **التجديد**: كان القدماء من الأدباء يدعون إلى الاجتهاد والتجديد في التصنيف، والبعد عن التقليد،وقد كانوا يكرهون تقليد العلماء بعضهم لبعض، حتى لا تتكرر أعمالهم، ويرتاحون إلى الباحث المجدد، ويحبون من يجتهد ومن يسعى إلى التجديد، ويعيبون على المقلد تقليده.

وهذا ما حبب ابنَ الأثير إلى أبي تمام والبحتري والمتنبي؛ لأنهم في نظره

كانوا يغوصون بحثًا عن المعاني الجديدة،والتقليد في عُرفهم جمود في الذهن، وتوقف عن البحث والفهم.

هذا معظم ما اتصف به الأقدمون من الباحثين،ونريد الآن أن نستعرض صفات الباحث المعاصر، ونقارن بين ما كان عليه أجداده وبينه بعد كرِّ العصور.

الباحث وصفاته:

الباحث: هو الإنسان العاقل المفكر الخلوق الذي يعرف قدر نفسه علمًا قبل أن يعرفه الآخرون،وهو الذي يتعب ويثقف نفسه من أجل أن يخوض في دراسة معينة لهدف معين.

وهو يختلف كليًّا عن الذي يثقف نفسه ليزداد معرفة وخبرة، ويسبر غور معرفته ليصبح كاتبًا مرموقًا،وبعد ثقافة عميقة ومجاهدة علمية يتحول الباحث إلى أديب مطلع على معظم ثقافات عصره ومعارفه،حتى إذا انفرد بجانب واحد وتعمق فيه، وأحاط بجميع جوانبه صار عالمًا يشار إليه بالتقدير.

فالباحث هو الكاتب في كل موضوع يعنُّ على باله، فإن اتَّسع أُفُقه فهو أديب، وإن توقف عند نقطة ونشط بها وألف فهو عالم،فياقوت أديب واسع الأفق، لكنه عالم في الأعلام،وسيبويه عالم في النحو لغوصه فيه،والفارابي أديب مفكر في عدد من العلوم، لكنه عالم لا يضارع في الموسيقى،وإن اشتهر العالم في علمه كثيرًا قيل له: علَّام وعلامة.

والباحث هو الذي يقدر العلماء وأصحاب الفكر، ويعرف مدى فضلهم عليه وعلى الحضارة وعلى العالمين لسيره على خطاهم؛ لذا نراه إذا وقف أمام العالم وقف بإجلال، وانحنى نحو يمينه يقبلها ويتشرف بلثمه هذه الأنامل التي

مهدت له الطريق، وما زالت تمهد.

ونعد الباحث المخلص رجلًا وطنيًا يسعى إلى خدمة العلم ونهله ومنحه إلى الآخرين،ومثله مثلُ الباحث عن الماء في الصحراء له ولغيره، ومثل الباحث عن المعادن الثمينة في باطن الأرض، فهو يغنى ويُغني،فالباحث يغنى علمًا ويُغني عشاقه بما منحه الله من معرفة.

وصفة «الباحث» اليوم تطلق على من يَدأب على العمل العلمي ولا يتوقف؛ لأنه إن توقف زالت عنه صفة «البحث»،ولا تمحى عنه صفة «الباحث» وإن صار أديبًا، أو محققًا، أو عالمًا؛ لأنه يظل في علومه باحثًا إلى ما شاء الله،فاللفظ يطلق على الباحث الناشئ والباحث العالم.

والباحث هو الذي يكثر من الاستقراء والاستنتاج، ويعوِّدُ نفسه المناقشة والمعالجة؛ ليخلص بالبحث إلى نتائج علمية يتوخاها، والتي هي أساس البحث العلمي.

صفات الباحث:

لكل صاحب حرفة أو اختصاص صفات خاصة ينفرد بها ويتميز دون غيرها إلا صفات الباحث فهي متعددة ويكمل بعضها بعضًا،وسنرى أن باحث اليوم لا يختلف كثيرًا عن باحث الأمس، إلا بعمق القدماء وهمتهم على رغم قلة الوسائل والأدوات عندهم، وبقلة همة الباحثين اليوم على كثرة السبل المساعدة والأدوات الميسرة.

ومن أهم صفات الباحث في العصر الحديث:

١- **الموهبة**: هي أولى الصفات التي يتميز بها الباحث المبدع، المتابع للعلوم، والخوض في الصعوبات، والغوص في المعوقات، واستسهال كل ما

يعترضه للوصول إلى الحقيقة المنشودة.

هو من يسأل، ويستفسر عن قضية ما تقضُّ مضجعه، فيُقبل عليها ويسبر الأغوار ليحلها، أو يكتشف مغاليقها،فإن تعذر عليه الوصول إلى حل لها، أو لم يجد من سبقه إليها شمر عن ساعديه، وصمم أن يكتب فيها ويعالجها ويفسر غامضها.

٢- الصبر والتصميم: لعل الصبر من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى الباحث بها،وقد سئل أحد طلبة الدكتوراه حين حاز شهادته أخيرًا: ماذا تعلمتَ في غضون هذه السنوات الطويل؟ أجاب: الصبر ثم الصبر.

والصبرُ ما أمرَّه على الباحث! وما أمرَره لصعاب الأمور! ولا يتحلى بالصبر إلا من صمم على إنجاز بحثه،وهو الذي وصفه المتنبي بقوله على لسان حاله:

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدرك المُنى فما انقادت الآمال إلا لصابرِ

ذلك أن الباحث العلمي يجب أن يتحلى بكل صفات المثابرة والمتابعة والتصميم، ومَن مثله يصبر على مطالعة مئات الصفحات ليصل إلى هدفه؟ ويغوص في أوسع المعجمات ليتأكد من صحة لفظه؟ وينزوي في المختبرات شهورًا تلو الشهور ليقدم بحثًا؟ أو يتنقل من مؤسسة إلى مؤسسة بدأب النمل ليحمل ما عونًا يقيتُ بحثه العلمي به.

وكم يفرح الباحث حين يظفر بجزء طفيف يسدُّ به ثغره، أو بقبس يحقق بغيةً، أو بنص يؤيد رأيه، أو بشاهد يعقد عليه صواب ما يذهب إليه!

والصبر يعلمه المثابرة،والإخفاق يزيده صبرًا ومتابعة،بل يعدُّ الإخفاقَ درجة من درجات الفوز،فتراه بسهولة يحرك زمام عزمه نحو مسعى آخر،ويجدد

العزم ويبدأ من جديد بعزم من حديد.

إنه لا ينسى عزم العلماء السابقين، وهل ينسى الطبري الذي فسر القرآن وصنع التاريخ؟ هل ينسى ابن منظور في «لسان العرب»؟

أو أفلاطون وأرسطو والكندي وابن الهيثم والفارابي وابن سينا...

إن تذكر هؤلاء استصغر صبره، واستقلَّ همته، وسدَّد خطاه، وشدَّ عزمه، ولابدَّ له من الفوز.

وقد نجد باحثًا ضيق الصدر، سريع الملل،فهو إما يصاب بالخذلان فيتوقف عن عمله، أو يُخرج بحثًا سطحيًا لا قيمة له،والفرق بين هذا وذاك مدى ما يحتمل أحدهما من صبر.

٣- **حب البحث**: لا يتحقق النقد في أي عمل إلا بحبه،والشرط الأول لطالب الدراسات العليا في نجاحه ببحثه العلمي هو حبه للبحث عامة، وللبحث الذي يعمل فيه خاصة.

قد يعمل المرء في وظيفة أو حرفة مكرهًا، ويتحمل ويكابد في سبيل تأمين معيشته، وقد يمضي عمره كله على هذا الكره،إلا البحث العلمي، فيجب أن يحبه، وقد يعشقه ويهوى متابعته،وكلما عاشر بحثه وجاهد فيه ازداد عشقًا، واسترخص الوقت والمال وحتى الصحة في سبيل نجاحه.

وقد يلذُّ للباحث أن يتحدث عن عمله في البحث، وحبه له، ويصبح وكده وهاجسَهُ.

٤- **الاستقلالية الذاتية**: لا يجوز للباحث أن يكون تابعًا لأحد أو مقلدًا لغيره حتى وإن كان الذي يقلده أستاذه؛ لأن التابع دائمًا أقل درجةً من المتبوع،ألا

ترى رواية الشاعر أقلَّ مرتبة ومكانة من الشاعر؟ وإن مساعدي الباحث لا يذكر اسمهم في قائمة الباحثين المبدعين على الرغم من بذلهم المجهود الكبير.

والاستقلالية الذاتية تعني الشخصية، فإذا لم يجد الباحث شخصيته بارزة في البحث يُنصح بعدم المتابعة،وكثيرًا ما يسأل المشرف تلميذه: أين أنت من البحث؟ لم أرك في المعالجة! أثبتْ شخصيتك ورأيك.

فالباحث الجيد هو صاحب الرأي والشخصية، الذي تبرز ذاتيته واستقلاليته هو الذي يحسن الرأي والصِمود، كما يحسن الترك والتراجع.

٥- **التفرغ للبحث:** كثيرًا ما نقع في تراجم الأعلام على عالم كان متفرغًا لعمله العلمي، يرضى بالكفاف ويعتاف حتى الطعام كالمعري على غناه، ومولانا الرومي صاحب الطريقة المولوية،والسيوطي الذي رفض أن يتزوج في سبيل علمه.

وكثيرًا أيضًا ما نصادف علماء محترفين عملًا يرتزقون منه، حتى إذا داهمهم حب العلم، تركوا العمل وتفرغوا للعلم مثل كشاجم الطباخ،والغزَّالي نفض يديه ليتفرغ لعلم أقضَّ مضجعه،أو نرى عالمًا يعمل يومًا أو يومين ليقيمَ أوَدَ عيشه، ليتفرغ لعلمه سائر أيام الأسبوع كأحمد بن هارون الرشيد وإبراهيم بن أدهم،أو يعمل في يومه بضع ساعات، ويقاسي الضنكَ بقية يومه في علمه كالجاحظ.

وأمثالهم من العلماء كثير، ممن يُمضون معظم عمرهم في المخابر لتحقيق اكتشاف ينفعون به البشرية،وتراهم يسهرون على عملهم من غير توانٍ،وينتقل آخرون من مكتبة إلى مكتبة، وينبشون صفحات الكتب ليلًا ونهارًا،حتى إذا وفقهم الله إلى وضوح الرؤى صفقوا وهللوا، ونسوا العناء والكلالة.

وينكبُّ الواحد منهم بعد ذلك على صياغة بحثه وإظهار نظريته،ثم يسعى إلى نشرها في مجلة محكمة، أو يعلن على الملأ ما توصل إليه في محاضرة علمية عامة. ولولا التفرغ العلمي لما نجح الباحث والعالم في عمليهما.

فاختر بحثك الذي تقدر على خوض غماره، وتفرَّغ للعمل به، وتمثل بصفات العلماء المجاهدين تفزْ، وتصل إلى شاطئ النصر.

٦- **احترام رأي الآخر**: حتى يضمن الباحث احترام الآخر له، يُحسنُ به أن يحترم الآخر،فلكل باحث رأي، واختلاف الآراء ضروري في مجالات الأبحاث، ولا يعني أن صاحب رأي يجب أن يفرضه على الآخرين، وبالتالي هو نفسه لا يقبل أن يُفرض عليه رأي الآخرين.

ولا يعني أن من خالفك جاهل ودعيّ، كما لا يجوز لك أن تطعن برأي الآخر. واعترافك بمجهود الآخر نبل منك وأخلاق رفيعة،ولا يعني أنك إن أثنيتَ على رأي الآخر أنه أفضل منك، بل تدل بثنائك عليه أنك أفضل منه علمًا وأخلاقًا وهل يفسد اختلاف الرأي قضية علمية؟ فقد وقف الشاعر حافظ إبراهيم يعلن على الملأ جودة شاعرية أحمد شوقي، ويهنئه بإمارة الشعر،فارتفع مقام حافظ أمام الحضور، وبالتالي مَن يمنح الإمارة؟ أليس الملك؟ فصار حافظ ملك الشعراء بأدبه واحترامه للآخر، وأحمد شوقي هو أمير الشعراء.

ولا نعني باحترامنا للآخر ألا نشير إلى تقصيره في بحثه أو رأيه،فالأمانة العلمية تقتضي ذكر الجوانب الإيجابية كذكرنا للجوانب السلبية، ولكن بأدب. فالقدماء يقولون: ذهب فلان بعيدًا في رأيه، أو في رأيه نظر، هو عالم جليل فكيف سها عن مثل هذا؟ لعله جانبَ الصواب، سامحه الله على هذه الهفوة وهو العالم الفذ! وإذا رأوا أعورَ قالوا: رزقه الله كريمة واحدة.

إلى غير ذلك من الجمل النقدية المهذبة.

٧- **الأمانة**: هي الصدق مع نفسك، والنقل الصادق، وعزوُ ما تنقل إلى صاحبه، وعدم إنقاص النص المنقول بهدف الطعن بصاحب النص، ومثلك مثل من يقتطع من الآية جزءًا﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء: ٤٣] ويسكت، فهذا كفر وذاك خيانة.

ولا تعزُ إلى نفسك ما ليس لك، وإلّا وقعت في خطئه إنْ أخطأ، ووقعت في صفة الخيانة إن أصاب، وهذا هو التدليس بعينه،وقد يشك الناقد بتفاوت مستوى الفكر بين عملك وما ادّعيته، فتقع عليك سهام التجريح.

٨- **التفاخر والاعتذار**: لا يجوز للباحث أن يتباهى بما كتب، وكأنه قال جوامع الكلم، كما كان يفعل زكي المبارك،ودع الناقد والقارئ يحكما، فشهادتهما بك أعلى ألف مرة من شهادتك بنفسك.

وبالتالي نحضك -كما يفعل الأقدمون- على أن تعتذر في مقدمتك عن تقصيرك مسبقًا،وبأنك تعترف بوجود نقص تأمُل أن تتلافاه مستقبلًا فقد كانوا يعتذرون بكثرة شواغلهم، أو بكساد سوق الكتابة، أو المرض، أو ببعد الشقة بين المرحلة الأولى والأخيرة من الكتاب، أو بسبب التنقل في الأوطان، وضياع قسم من الأوراق، فأَبعد عن نفسك التباهي، واتخذ سببًا للاعتذار يسمُ مقامك، ويقدِّر جهدك.

٩- **الموضوعية**: -Objectivity والتي تسمى الحياد الفكري، أو النزاهة والبعد عن الهوى،وقد شرحناها سابقًا.

* * *

ثقافة الباحث

إن كلمة «باحث» تعني المنقب عن المعرفة والمعلومة،فهو مثقف أصلًا، أو يسير نحو تطوير نفسه ثقافيًا وإعدادها لعمل عملي أو أدبي أو لغوي، أو... وهو يعلم ماذا يحتاج إليه من معارف وثقافات.

ومنذ قرر الباحث أن يقوم بإعداد بحث مطلوب منه، أو مندفع إليه، تهيأ لدخوله ميدان الثقافة،ومن عزم خوض هذا الميدان، فلن يخرج منه بإذن الله إلا عالمًا،وإن أحسَّ بعدم استعداده، أو فضل عليه المال، فلينسحب إلى حرفة أخرى، ذلك أن البحث والمال لا يجتمعان،فمن أراد جني المال عفَّ عن البحث العلمي. ومن أحب خوض البحث والتأليف نسي قيمة المال وأثره المادي، ولم ينجذب إلى بريقه.

والثقافة التي يجب أن يتحلى بها الباحث تتكون قدراتها وتتطور على شكر دوائر؛ تأخذ بالاتساع كلما خاض في ميادين العلمية،فأصغر دائرة هي دائرة البحث الضيقة التي يخوضها،وكلما توسع بالبحث اتسعت دائرة ثقافته، واستحوذ على القنوات التي يجب أن يغذيها، والمعلومات التي عليه أن يغتذيها.

فإذا أزمع الباحث على معالجة موضوع «الأدب في عهد محمود زِنكي» كانت دائرة اختصاصه الضيقة معرفة حياة نور الدين وحكمه لحلب ودمشق.

ولكن البحث يتطلب كذلك معرفة مَن هم الزنكيون؟ فتتسع دائرة ثقافته تاريخيًا أكثر، ويحتاج بالتالي إلى توسع ثقافي أكبر،فعليه أن يقرأ كتب تاريخ هذه الحقبة.

وبعد ذلك سيضطر للتوسع في أدب بلاد الشام في تلك الحقبة وخصائصه

ومدى اتصاله بها قبله، ومعرفة أهم أعلامه،فتتوسع دائرة ثقافته بالكتب التي سيرجع إليها، وهي أدبية في مجملها.

وحين يدرس أدب هذه الحقبة سيقع على قصائد رائعة في الجهاد ضد الصليبيين،فيحتاج إلى توسيع دائرة ثقافته بالرجوع إلى الكتب المتخصصة بالغزو الصليبي على بلاد الشام،وسيغرق في فهم الأدب الجهادي ضد الغزاة وسيتطرق إلى الأبطال الممدوحين، ومن غيرُ صلاح الدين؟.. وهكذا.

أرأيت كم يحتاج الباحث إلى توسيع دائرة اختصاصه بالمصادر والمراجع والثقافات كي يؤديَ بحثه بأمانة علمية؟!

فالثقافة اللازمة للباحث نوعان:

١- ثقافة خاصة.

٢- ثقافة عامة.

فالثقافة الخاصة: ما يستلزمه البحث المحدد في حدوده الضيقة.

والثقافة العامة: ما يستوعبه محيط الموضوع،كل موضوع،والثقافة العامة أساسية يرتق بها اختصاصه الدقيق أولًا، وما يشعر بأنه مقصر فيه من تاريخ ونحو وبلاغة وعروض.

وهو كذلك بحاجة إلى مطالعة تاريخ الأدب، وتاريخ العلوم، وتاريخ العرب، وتاريخ الحضارة، وجغرافية العالم الإسلامي،وهذه الثقافات تنفعه في كل بحث يخوض فيه علميًّا كان أو أدبيًّا أو تاريخيًّا أو لغويًّا.

ومن أهم **الثقافات العامة التي لا غنى عنها هي التاريخ**، ولا نتصور باحثًا

في أي مجال ينجح إذا لم يكن يعرف التاريخ العربي والإسلامي بشكل عام.

فهو إذا أراد دراسة «الري عند شعوب ما بين النهرين» وجبَ عليه أن يدرس جغرافية المنطقة، وأنهارها ولا سيما دجلة والفرات،ولابد له من التاريخ الحضاري، وحضارة البابليين تحديدًا،أو أراد إنشاء بحث عن أحد العلماء العرب مثل ابن الهيثم، فعليه أن يدرس حياته، وعصره ومؤلفاته، وابتكاراته، ودوره في نظرية الضوء وتأثيره في الغرب،والتمهيد لذلك كله بدراسة تاريخ العراق، وتاريخ مصر، ونهر النيل في عهد الحاكم بأمر الله.

ذلك أن العلاقات التاريخية وشيجه جدًّا بالآداب والعلوم،وهي الأرضية الرحبة التي تخدم الموضوع وتمهد له.

وعليه أن يطلع على تاريخ الأمم السامية، وأن يكون تحت يده دومًا كتاب «تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة»(١).

والأرضية الجغرافية تأتي أهميتها بعد التاريخ، وهي ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها،ففي دراسة «أدب المهجر» مثلًا يحتاج الباحث إلى دراسة جغرافية بلاد الشام وأسباب الهجرة، ودراسة البلاد التي يهاجرون إليها، وكانوا يهاجرون إلى القارة الأمريكية، شمالاً الولايات المتحدة، وجنوبًا البرازيل والمكسيك.. وأثر البيئة الجديدة في الاتجاهات الشعرية لهم.

وإن كان موضوع الباحث عن الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في جانب من جوانبه اللغوية، وجب أن يدرس تاريخ بلاد ما وراء النهر وبلاد خوارزم،

---

(١) ألفه ستانلي لين بول وطبعه عام ١٨٩٣م، ثم أضاف عليه التركي خليل أدهم إِلْدَم (ت ١٩٣٨م)، ثم طبع في مصر باسم الدكتور أحمد السعيد سليمان عام ١٩٦٩م بجزءين.

ويبحث عن قرية «زمخشر» وقد لا يجد ذكرًا لها إلا بذكر هذا العالم؛ فقد سأل الزمخشريَّ أحد الأمراء: من أين أنت؟ فأجابه: أنا من قرية صغيرة لا تكاد تذكر، لكنها ذُكرت به.

ومن **الثقافات العامة اللغةُ**، فهي الوسيلة التي سيكتب بها الباحث بحثه،ولا يمكن لباحث مَن كان أن يتناول بحثًا إذا لم يكن عنده الوسيلة الأساسية وهي اللغة،وحتى وإن كان الباحث علميًّا بحتًا، فإنه محتاج إلى اللغة بمفردات علمية منتقاة،واللغة العربية حافلة بالمفردات والمصطلحات العلمية.

ويدعي بعض العلميين ممن درسوا في أوروبة، ولا سيما الدول الاشتراكية -أن اللغة العربية عاجزة عن المفردات العلمية التي يحتاجون إليها،والصواب أن يقولوا: إن مخزوننا من المفردات العربية العلمية قاصر بل ضعيف جدًّا، لا يؤهلنا لخدمة البحث العلمي.

فاللغة العربية بحر فيها من الكنوز اللفظية ما يفوق كنوز اللغات التي درسوها، وهم بحاجة إلى أن يغذوا أسلوبهم بالمفردات القديمة والجديدة،وما عليهم سوى أن يغوصوا في خضمها ليلتقطوا ما يشاؤون من المفردات في: التربة، والزراعة، والحيوان، والبيطرة، والفلك، والهندسة، والجبر.. إضافة إلى المفردات الأدبية والتاريخية الضرورية.

فالباحث في موضوع فلكي، إذا لم يحسن الدراسة والمعالجة، فمردُّه إلى نقص ما عونِه من الألفاظ الفلكية،علمًا أن العربية هي التي غذت لغات العالم بمعظم المصطلحات الفلكية،ويكفي أن يقرأ أي معجم غربي ليرى أن المفردات الفلكية عربية،وإذا كانت عاجزة فعلًا فكيف فهم الغرب كتب ابن سينا والبيروني والفارابي والخوارزمي وابن الهيثم؟

والباحث في أدب العصر العباسي؛ شعره ونثره محتاج للاطلاع على بعض **الاتجاهات النفسية**؛ فأدباؤنا الأقدمون راعوا النواحي النفسية عند القراء، فأدخلوا الاستطراد، والملح، والنوادر، وحتى الجنس في كتاباتهم للتخفيف عن القارئ الذي قد يسأم،حتى الشاعر الذي يمدح ويهجو ويتغزل كانت العواطف عنده ماثلة،فدراسة بعض نظريات علم النفس ثقافة عامة ضرورية.

إلى جانب ثقافات عديدة أخرى، تدفع الباحث إلى الأخذ من كل فن طرفًا،فلابد له – في الدراسات الأدبية- من أن يعرف العطور والأطيار، والورود والأزهار، واللآلئ والأحجار،وإلا فكيف يعالج الصورة الوصفية عند البحتري، والصورة الثرية عند ابن المعتز، ووصف القصر عند ابن حمديس الصقلي؟

وإذا كان الشاعر يعرف هذا فمن البديهي أن يعرف الباحث الناقد أكثر منه، ليرى إن صدق الشاعر أو انحراف عن وصفه.

والمذاهب ضرورية للباحث الذي يعالج قضايا فكرية في الأعصر العباسية. وعليه أن يُكوِّن ثقافة عامة حول أهم الفرق والمذاهب كي يفهم الفرق بين المرجئة والقدرية، وكيف ظهرت المعتزلة، والفرق بين الفرق الغالية والمعتدلة، ودورها في الحياة الفكرية والتاريخية والأدبية؟ وكيف انحرفت فرق عن سنة رسول الله R، واتخذت لها تشيعًا معينًا كان لها سبب سلبي على الإسلام.

يدرس ذلك كله بتجرد عن الهوى،وأنا لا أحبه ولا أدعو له، وأميل إلى الاعتدال في كل شيء لغيري، والحرية في الاعتقاد. لكنني يجب أن أدرس ابن هانئ، والشريف الرضي، وبشارًا، ومهيارًا الديلمي، كما أدرس أبا تمام والبحتري وأبا العلاء وابن الفارض.. أدرس ميلهم وأبسطه للقارئ، ولا أدعو لجناح؛ فهذا ليس من شيم العلماء الأصِحَّاء القلوب.

ويدرس المذاهب الفكرية والأدبية الحديثة إن كان من هواة البحث في الأدب الحديث،وعليه أن يجعل مذهب الرمز مثلاً دراسة ثقافية خاصة إن كان يريد دراسة شعر بدر شاكر السياب أو وصفي القَرَنفلي،لكن الثقافة المذهبية العامة ضرورية حتى يرى مدى ارتباط المذهب الرمزي بالمذهب الرومانسي والمذهب البرناسي، وبالتالي يلزمه الاطلاع على المذهب الكلاسيكي والواقعي.. وإلا كيف ينجح بحثه العلمي الفني؟

مكتبة الباحث:

وكما أن الباحث جمع من كل علم طرفًا في إرواء ثقافته الخاصة والعامة، فالواجب أن يكون تحت يديه من كلِّ علم مصادر،فمن غير المستحسن أن يسأل أستاذ النحو عن مسألة التغليب إن اعترضته في بحثه، وإن لم يكن عنده «المغني» فكيف يعرف بها ويوثقها؟

لذلك افترضوا أن يكون في حوزة الباحث نوىً وأمّات لا يجوز الاستغناء عنها، والتي تعد مكتبته الخاصة إذا حزبه أمر، ففي:

١- **المعجمات**: يجب أن يكون عنده معجم واحد قديم على الأقل، وأفضل هذه المعجمات «لسان العرب»،ومعجم حديث يواكب العصر بالمفردات الحديثة، وليكن «الوسيط»[1].

كما يجب أن يكون عنده معجم واحد للمعاني التي تحدد له الأصوات، والأعمار، والأشياء.. وخيرها «فقه اللغة» للثعالبي،كما يجب أن يكون تحت يده معجم إنكليزي عربي أو فرنسي عربي لتصويب مصطلح أجنبي يعترضه.

٢- **كتب الأدب**: وهي أربعة كتب أساسية مشهورة، هي: أدب الكاتب

---

(١) وقد ينفعه «المنجد» لضبط الكلمة، وضبط عين الثلاثي حصرًا.

والبيان والتبين، والأمالي، والكامل في اللغة والأدب،فهي أمّات كتب الأدب التي تفتح له أبواب المعرفة، ويعدُّها مصادره الأساسية في النصوص الموثقة والروايات.

٣- **كتب الأعلام**: ما من بحث إلا يذخر بالأعلام، وهذه تحتاج إلى تعريف. والعرب أكثر الأمم في العالم تضم كتبًا في التراجم،وهي وحدها مكتبة عامرة ونادرة.

وننصحه بـ «الأعلام» للزركلي، فهو الوسيلة للتوسع،وهو لا يعد مصدرًا مع أهميته وأمانة مؤلفه،ولكنه يقدم للباحث تعريفًا موجزًا للعلم، ويدل الباحث عن المراجع والمصادر التي فصلت الحديث عن هذا العلم،فهو دليل للباحثين،غير أنه يعد مصدرًا حين يعرف بأعلام معاصرين له، وقد ينفرد أحيانًا بالترجمة عنهم دون غيره.

٤- **كتب الأنساب**: تلزم الباحث إذا كان يعمل في المجال القديم الجاهلي والإسلامي، فيخدمه كتابان «الأنساب» للسمعاني، و«اللباب» لابن الأثير،وإن لم تكفه فالمكتبة العامة عامرة بكتب الأنساب.

٥- **كتب التاريخ**: تختلف كتب التاريخ بحسب العصور، وبحسب مناهج تأريخها،لكن كتاب «الكامل» لابن الأثير يغنيه حتى أوائل سنة ٦٠٠هـ، ويتلوه «المختصر» لأبي الفداء،ويعد كتاب «تاريخ سورية ولبنان وفلسطين» خير معين له في مرحلة العصر الحديث وما قبله.

٦- **كتب البلدان**: يحتاج الباحث إليها للتعريف بالمدن والقرى والمرتفعات، ويكفيه «معجم البلدان» لياقوت، وإن أراد التوسع أكثر فعليه بـ «معجم ما استعجم» للبكري.

٧- **كتب النحو**: قد يحتاج الباحث -غير المتخصص بالنحو- إلى بعض المراجع النحوية؛ فإن شاء الأدوات فعنده «مغني اللبيب» لابن هشام،أو شاء كتابًا مفيدًا في قواعد النحو والصرف، فأحدُ شروح الألفية، وخيرها له «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك»،وإن أراد كتابًا حديثًا فلا أفضل من «جامع الدروس العربية» لمصطفى الغلاييني.

المهم في مكتبة الباحث أن تكون حافلة بالأمات، والكتب الأساسية في كل علم،وإن شاء أن يضيف إليها غير ما ذكرنا في البلاغة، والعروض والنقد والمعرَّبات فعليه أن يعتاد اختيار الكتب الرصينة الموثوق بها،وله أن يسأل أهل الذكر فهم يعلمون.

أسلوب الباحث:

هو الوسيلة التي يعبر الباحث بها عن الموضوع الذي اختاره للمعالجة. ونفترض أن الباحث في مراحله الأولى بالكتابة،فنرى أن يتمثل أسلوب أحد الأدباء الذين تأثر بهم وأحبهم، ومال إلى أسلوبهم،وهذا جيد ومقبول في المراحل الأولى في الكتابة؛ في كتابة بحث أو بحثين على الأكثر تمامًا كالمغنِّي الهاوي الذي يقلد بعض الأصوات لأساطين أهل الفن، ثم ينفرد بشخصيته الغنائية.

ولكننا نريد للباحث أن يكون له أسلوب يميزه، فما كان أولئك العظام إلا تلامذة مريدين لفحول درسوا مؤلفاتهم في مراحلهم الأدبية الأولى، ثم انطلقوا وخرجوا عن الطور التقليدي، وصار لهم أسلوبهم الخاص المميز، كالجاحظ، والحريري، والنُّويري، وطه حسين، والرافعي.

فالتقليد إن ظل أعمى، لم يحز الباحث به قصب التفوق،فعليه أن يكون له شخصية أسلوبية متميزة، شريطة أن يهتم باللغة، ويدَّخر مفردات مهمة جديدة

عليه، ولا نعني أن يحفظ «لسان العرب»،ولا أن يدرس «الأسلوبية» إنما يجب أن يقرأ للعظام من شتى العصور، ويراقب استخدام المفردات، وتركيب الجمل، وكيفية استخدام اللغة للمعالجة، ويرجع إلى المعجم في كل لفظة يشك بها معنىً وضبطاً.

وعليه –حين يكتب- أن يعتني بكتابته، وبسلامتها، ويُقبل على أسلوب الجاحظ السهل المطواع، ويبتعد عن أسلوب الحريري العسير المعقد المصنوع. وليحاول تنقية أسلوبه من الشوائب العامية، والعثرات اللغوية، ويهتم بعلامات الترقيم في كل ما يكتب مسوَّدة أو مبيضة.

وليدرب قلمه على الكتابة بشكل دائم،يكتب كل شيء، وعن كل شيء ويرميه، إلى أن يستقيم قلمه، ويتثقف اعوجاجه،ويجب أن يبتعد عن أسلوب الحداثة المرفوض لغويًا، وعن انتقاء المفردات البدوية الحوشية، وعن الكتابة الإنشائية التي لا جدوى منها.

عليه أن يتخذ شعاره: الأسلوب الرصين، السهل الفصيح المفهوم؛ كي يتمكن من المعالجة، وفرض البرهان، وأن يشبع الفكرة شرحًا حتى يطمئن إلى وضوحها. وعليه أن يبتعد عن الجمل الطويلة ما أمكن.

وليتحاشَ العثرات، فليس صحيحًا قولهم: «خطأ مشهور خير من صحيح مهجور» فهو سجع مرفوض أصلًا.

ولا مانع من أن يدفع بحثه قبل طبعه إلى خبير باللغة؛ مدرس لغة عربية قديم في الثانويات، أمضى أكثر من عشر سنوات في التدريس، حتى وإن كان البحث في الدراسات العليا الأدبية،فالخبرة العملية تفوق كثيرًا الشهادات النظرية.

ولكن يجب أن يتمكن من زمام لغته بعد حين، حتى وإن كان الباحث علميًّا، ومهما كان البحث قيمًا وجيدًا فإن العثرات فيه تُنقص من قيمته، وقد يُرفض البحث دراسة أو نشرًا بسبب قلة العناية الأسلوبية به.

* * *

الفصل الثالث

إعداد البحث وكتابته

منهج القدماء في التأليف:

كان المؤلفون القدماء يسهرون على كتبهم كثيرًا، ويحرصون على الدقة المتناهية في تأليفهم، حتى إن بعضهم كان يُثني على الآخر بحسن تأليفه؛ فنرى المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) يثني على أبي بكر الصولي (ت ٣٣٠هـ) بمنهجه في التأليف، فيقول[١]: «شيخنا، كان واسع الرواية حسن الحفظ للآداب والافتتان فيها، حاذقًا بتصنيف الكتب، ووضع الأشياء منها مواضعها».

ويثنون على المؤلف استيعابه لمادة كتابه وموضوعاته؛ فقد أفاض ياقوت[٢] كثيرًا بالثناء على أبي الفرج الأصفهاني، فقال: «إنَّ هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذكر، جمُّ الفوائد، عظيم العلم، جامع بين الجد البَحْت والهزل النحت»[٣].

كما كانوا يمدحون من أحسن اختيار نصوصه، وأجاد مناقشته للأحكام، وانتقى ألفاظه، ورتب موادَّ كتابه، كما أنهم ينتقدون من أساء التصرف في تأليفه، وإن مدحوه في موطن آخر، فبعد أن أثنى ياقوت الحموي على أبي الفرج، عاد فانتقده بعد قليل فقال: «فوجدته يعدُ بشيء ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في أخبار أبي العتاهية وقد طالت أخباره ها هنا، وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر، ولم يفعل»[٤].

---

(١) معجم الشعراء: ٤٣١.

(٢) معجم الأدباء: ١٣/ ٩٨.

(٣) البحت والنحت: الخالص.

(٤) معجم الأدباء، بتحقيق الدكتور إحسان عباس/ دار الغرب الإسلامي ٤/ ١٧٠٨.

ونرى أن حديث القدماء عن طريقة التأليف إنما تعني المنتهج الذي نتحدث عنه اليوم، و«نحسب أن نصَّ المؤلفين على وجود هذه الطريقة الخاصة للتأليف من أقوى الدلائل على وجود منهج للبحث عندهم»[(١)].

فللعرب منهج متعارف عليه في تأليف الكتب، أشار إليه السيوطي في رسالته التي ذكرت آنفًا «التعريف بآداب التأليف».

والابتكار عندهم ممدوح مقصود، لكن مَن يدَّعيه مذموم،فالقفطي حين يعرف بعبد اللطيف بن يونس البغدادي (ت ٦٢٩هـ) يتهمه بأنه يدعي الابتكار في كتبه، في حين أنه يسرق من سبقوه فقال[(٢)]: «وكان يدعي تصنيف كتب فيها مبتكر، وإنما يقف على تصانيف غيره..».

وكانوا يجنحون إلى التخصُّص منذ مطلع القرن الثالث،وهذا غاية في منهجية البحث،من ذلك «المطر» لأبي زيد الأنصاري،و«الإبل»، «وأسماء الوحوش» للأصمعي، و«الأضداد» لقطرب.

وعُرف ابن المقفع في الحكمة، والجاحظ في الأدب مع الدقة في التخصص عنده مثل «البخلاء»، و«الحيوان»، و«العوران والعرجان و..». و«من نسب إلى أمه من الشعراء» لابن حبيب (٢٤٥هـ)، فكانوا واضعي مبدأ التخصص في التأليف والبحث للباحثين في العصر الحديث.

وقد كان التخصص عندهم مبوبًا بدقة وموزعًا على قنوات، فبعد أن ساد موضوع التخصص، اتجهوا نحو تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول،ولا سيما حين كثرت عندهم كتب الثقافة المعرفية، وكبرت أحجامها، وتعددت أجزاؤها مثل «عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«الكامل في اللغة والنقد» لابن الأثير،

(١) منهج البحث الأدبي: ٣٥.
(٢) إنباه الرواة: ٢/ ١٩٣.

و«الإمتاع والمؤانسة» لجابر بن حيان.

وتوسعت مؤلفاتهم التخصصية، فكتبوا كتبًا خاصة بالنقد، مثل «طبقات فحول الشعراء» لابن سلّام (ت ٢٣١هـ)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، و«طبقات الشعراء» لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ).

وأدركوا أهمية الأعلام، بدءًا من أصحاب القراءات ورواة الحديث، ورواة اللغة والشعر والأخبار،وفكروا باتباع منهجية دقيقة في ترتيب الأعلام؛ فبعضهم رتب أعلامه على الألف باء، مثل «المؤتلف والمختلف» للآمدي (ت ٣٧٠هـ) أو بحسب العصور والأمصار، مثل «يتيمة الدهر» للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وذيوله، أو ترجمة الأعيان والوزراء والأدباء والملوك، فكان «وَفيات الأعيان» لابن خَلكان (ت ٦٨١هـ) باكورة سلسلة مكملة.

واتجهوا في تخصصهم الدقيق نحو المصطلحات؛ فقد وجدوا التأليف فيها نافعًا جدًّا للباحثين والمؤلفين،وكان النديم (ت بعد٤٠٠هـ) أول من ألف فيها كتابه «الفهرست»، وتبعه السكاكي (ت ٦٢٦هـ) في «مفتاح العلوم»، والشريف الجرجاني في «التعريفات»، وغيرهم.

جمع المعلومات عند القدماء:

وهو ما نسميه اليوم «التقميش»، والذي سنتحدث عنه لاحقًا،لكننا نريد أن نعرف كيف كان الأقدمون يجمعون المعلومات كي يستخدموها في أبحاثهم وكتاباتهم، وينزلوها في مواضعها المناسبة.

وقد كانوا يسمون جمع المعلومات «التحصيل» أيضًا، بحيث ينسلون المعلومات من مصادرهم الأساسية، مما له علاقة بالموضوع المحدد، ويستبعدون ما يرونه حشوًا،وقد ينقلون ما يريدون شفاهًا عن الرواة والعلماء بما يخص

الموضوع، ويذكرون المصدر أو اسم الراوي للأمانة العلمية والتوثيق،وكانوا يدونون ما يجمعون أو يسمعون بقراطيس، أو دروج، أو ألواح، أي بالبطاقات،ثم يعيدون النظر ثانية في ما حَصَّلوه ودوَّنوه، فيستبعدون ما هو غير مناسب، أو ما هو غير مقنع.

وقد كان الخليل بن أحمد يخرج إلى البوادي، فيسجل ما يسمع من البداة في قراطيسه؛ كلُّ موضوع في قرطاس (بطاقة)، وذكر القلقشندي الدروج في كتابه «صبح الأعشى»،ثم تطوروا في قراطيسهم، فاستعملوا الجُزازات الصغيرة، والرقع، والبطاقات، والصكوك.

غير أن بعض مؤلفيهم كان ضيق الصدر، فيضم ما حصَّلَ من أفكار وشواهد، ويسردُها في كتابه بشكل اعتباطي، فيأتي تأليفه مختلًّا.

وحين تتم عملية التحصيل وجمع المعلومات يشرعون بنقد ما جمعوا، ثم يوزعونها على أبواب وفصول،وينتقدون النصوص، وينقلون ما جاء خطأً إلى مكانه المناسب، ويتأكدون من صحة النسب (التوثيق)، ويذكرون ما يضيفونه على النصوص الموثقة، ويعلقون عليها؛ ينتقدون أو يقرِّظون،وهذا كله غير بعيد عن باحثينا المنهجيين المحدثين.

* * *

تقميش المعلومات

هو مصطلح علمي حديث، اخترعه بعض الأدباء في القرن الماضي بمعنى نسل المعلومات التي يطلبها الباحث من المصادر والمراجع؛ لتكون له المادةُ الكتابية والنقدية جاهزة حين يصل إلى مرحلة التأليف،ويعدُّ أسد رُستم من أوائل من استعمله في نسل المعلومات وجمعها معًا، وتبعته ثريا ملحس منذ أكثر من ستين سنة [1]: فهو رديف لقولنا: «نسل المعلومات» ولقول القدماء «جمع المعلومات» أو «التحصيل» الذي سبق ذكره قبل قليل،وهو نفسه الذي يسمى «الاقتباس»، وإن خصه بعضهم بموضوع آخر.

وهو نقل النصوص والأقوال من المظان الأساسية أو الثانوية؛ لتكون برهانًا على ما يذهب الباحث إليه تأييدًا، أو ليردَّ على صاحبها إذا كان قوله يعارضه.

والاقتباس من أهم الأمور التي يستند إليها البحث العلمي،ولا يتم بحث من غير مصادر تُغني المؤلف وتساعده في دراسته ونقده،باستثناء الأعمال الكتابية الإبداعية كالقصيدة، والرواية، والقصة؛ لأنها إلهام ذاتي، نابع من نفس المؤلف في ساعة خاصة.

وكلما كانت النصوص المقمَّشة متوافرة زادت من قيمة البحث العلمي.

وقد يتطلب البحث عشرات المصادر والمراجع، بعضها يُقرأ من أوله إلى آخره، وبعضها يقرأ منه فصل أو بعض فصل، وكتب أخرى تُهمل أو يؤخذ منها فكرة أو قول.

---

(١) مصطلح التاريخ: ٣.

والبحث عن المعلومات وتقميشها أو نسلها من المظان يحتاج إلى خبرة عميقة في تاريخ الأدب والفكر، وفي كتب الأدب واللغة والدراسات والتراجم، ماذا يأخذ وماذا لا يأخذ؟ وكيف يأخذ؟ وماذا يفعل بما ينسله؟

كما يحتاج إلى دقة متناهية في إنزال هذه المعلومات في القنوات المناسبة لها بعد كتابتها على بطاقات خاصة بها.

فالباحث يحتاج كثيرًا -وأقلُّ منه المحقق- إلى تدوين منقولاته وملاحظاته؛ لأنها اللبنات الأساسية التي سيعتمدها في بناء بحثه أو دراسته،وكلما قمش أكثر وزاد من مقولاته كانت المادة أفضل لعمله التأليفي أو نقده،وهو كذلك يحتاج إلى التعريف بالأعلام وبالكتب التي يمرُّ بها ولها ذكر في مرحلة التأليف.

والبحث الخالي من النصوص الموثقة، أو القليل منها، تقلُّ فيه أهمية البحث العلمي،والباحث المتعمق، إذا طالع بحثًا أو كتابًا، نظر أولًا إلى الحواشي والتوثيقات، ثم نظر ثانيًا إلى قائمة المصادر والمراجع، عندها يحدد قيمة البحث من هذين الأمرين، وغير مستبعد أن يعزف عن قراءته إذا لم يجد الاقتباسات كافية أو غير مرضية.

ولتقميش المعلومات، أو اقتباسها، شروط يجب مراعاتها في البحث:

١- اختيار أفضل المصادر وأقربها إلى دائرة البحث الصغرى.

٢- النقل الدقيق من المصدر من غير تشويه، أو تحريف أو تسرع،ووضع ما ينقل بين هلالين صغيرين «...»، وتسجيل المصدر فورًا في البطاقة.

٣- حسن الربط بين معالجة الباحث والنص المقتبس، بحيث يتماشى وتسلسل مفردات البحث.

٤- حرص الباحث على ظهور شخصيته بين المعالجة والاقتباس.

٥- عدم توالي الاقتباسات، بحيث يصير البحث مجرد رقع منقولة متعددة الألوان والمشارب، من غير أن يكون للباحث رأي أو حسنُ ربط.

٦- يحسُنُ التقديم للنص المقتبس، كي يشعر القارئ أن الباحث مدرك لما ينقل.

وقد يميل بعضهم إلى التعليق على النص بعد عرضه،وإذا طال النص المقمش، ولم يُرد الباحث أن يضعه بين هلالين، فعليه أن يضع رقم الحاشية عند نهاية الاقتباس،وقد يفضل بعضهم تسجيل النص الطويل بمقطع كامل، وبحبر آخر.

٧- إذا كان الكتاب المصدر مطبوعًا عدة طبعات يفضل الاقتباس من آخر طبعة؛ فقد يغير المؤلف رأيه بين طبعة وأخرى، كما فعل طه حسين في كتابه «في الأدب الجاهلي»؛ فقد صُوْدِرَتِ الطبعة الأولى، ثم أعيد طبع الكتاب عام ١٩٢٧م، ثم طبع عام ١٩٥٢م،والضجة الكبرى التي أحدثها الكتاب جرَّت المؤلف إلى تغيير بعض رأيه فيه في طبعته الأخيرة.

٨- للباحث أن يُسقط بعض كلام النص الموثق، فيضع مكان السقط نقاطًا، أو يتصرف بالنقل فيضع كلمة «بتصرف» بين هلالين ... ، أو يضطر إلى إضافة كلمة أو جملة توضيحية فيضعها بين [...] لتعرف.

٩- يحتاج الباحث إلى بطاقات يذكر فيها ما قمشه،ويجب أن تكون البطاقات جاهزة إلى جانبه وهو ينسل المعلومات،ويدون فيها ما ينقل أو ما يعرف به من أعلام، وهي وسيلة الباحث والمحقق معًا.

طريقة ملء البطاقة:

حين يلمس الباحث -وهو يقرأ مصدرًا- أن هذه الفكرة تخدمه في عمله يتناول بطاقة نظيفة ويضع عليها عنوان الفكرة، وتحته ينقل قول صاحب المصدر بين «...» للتوثيق، ثم يسجل اسم المرجع ورقم صفحته من غير تفصيل؛ لأن لتفصيله مكانًا آخر،وقد يتوجب عليه ذكر اسم المؤلف إذا مرَّ به مرجعان باسم واحد، عندئذ يضطر إلى ذكر المؤلف تمييزاً له من الآخر.

ولا يجوز للباحث نقل أكثر من فكرة على بطاقة واحدة،لأن لكل فكرة قناتها في التأليف والنقد،ولكن له أن ينتقد الفكرة أو يعلق عليها بما يريد فورًا، خوفًا من نسيان ما يطرأ على ذاكرته الآن،ولكن لا يجوز أن يكتب على الطرف الآخر من البطاقة، فالكرم الورقي هنا واجب؛ لأن الباحث قد ينسى ما كتب على الطرف الآخر،وفي حال امتلاء البطاقة يكمل نقده على بطاقة أخرى ويرقمها ويُتبعها بالأولى.

وعمليه نقل المعلومات والشواهد والروايات عملية طويلة، قد تأخذ ثلث الوقت المخصص للدراسة والبحث،فلا يقلقنَّ الباحث؛ لأن نسل المعلومات بعلمية ودقة يسهِّل عملية التأليف والدراسة كثيرًا.

وبعد مطالعته الدائبة والمستمرة سيرى أن ركامًا هائلًا من البطاقات تجمع لديه، قد يقدر بالمئات، وهذا طبيعي.

ترتيب البطاقات:

حين ينتهي الباحث من عملية نقل المنقولات -وننصحه بأن يبدأ قبل الانتهاء- يأتي دور ترتيب البطاقات بحسب قنوات الموضوعات،فيفرز البطاقات على منضدة واسعة، ويوزعها بحسب موضوعاتها وأفكارها، تمامًا

كما يوزع أوراق اللعب.

ويجري توزيع البطاقات بتؤدة ويقظة، خوف أن تنسلَّ بطاقة إلى غير مكانها فتضيع،وكذلك يراقب المكرر منها فيزيحه وغير اللازم منها فيرميه،ولا يترك إلا المهم والأساسي،ثم يأتي بمجموعة بيضاء من البطاقات، فيلصق عليها ألسنة من الورق المقوى حجم اللصيقة مقدرا أنملة ويكون اللصق من أقصى اليمين، والثانية تلصق مكان الأنملة الثانية وهكذا،حتى إذا بلغ باللصيقات أقصى اليسار عاد يلصق ثانية من أقصى البيت.. وهكذا.

ويكتب على كل لسان اسم الموضوع باختزال، مثل: عقيدته، نقاده، شيوخه، ويُنزل كل مجموعة في صندوق صغير يستوعب حجم البطاقات ولا مانع بادئ ذي بدء من أن ينزل القنوات اعتباطيًّا كي يجمع ما لديه في بوتقة واحدة.

وكلما نقل معلومة أنزلها في مكانها من الصندوق، ويظل على هذا المنوال حتى ينتهي من عملية رصد المراجع والمصادر،ثم يخرج مخطط بحثه، فيعيد ترتيب القنوات على حسب التسلسل النقدي والفني الذي رسمه في المخطط.. ولا تأخذ هذه العملية أكثر من نصف ساعة والهدف من ذلك تسهيل عملية التأليف للباحث والمحقق؛ لأنه عندئذ سيبدأ عمله باطمئنان على حسب مخططه.

ولا ينسَ الباحث أن يضع لسانًا للمقدمة التي سيكتبها فيما بعد،فيسجل في البطاقات الخواطر التي يريد.. ولها حديث مفصل،وأن يضع لسانًا للخاتمة، وآخر للحواشي التي ستأخذ مكانها حين عملية التبييض،ولسانًا لمصادره ومراجعه، ولسانًا لمن سيشكره في صفحة الشكر.

وقد يستمع الباحث إلى محاضرة عامة فيأخذ الفكرة وينزلها في البطاقات كغيرها من البطاقات على أن يذكر مرجعه: المحاضر، واسم المحاضرة، والمكان الذي جرت فيه، وتاريخها،ولا ننصحه بأن يعزوَ إلى نفسه ما سمعه فهذه خيانة للأمانة، واستلاب للأفكار،وخير له أن يذكر مرجعه على أن ينسب ما سمع إلى نفسه، ومثل هذا التهور يقع به طلاب الدراسات العليا،وإن أعطاه أستاذه المشرف فكرة وأعجبته، أنزلها في بحثه باسم مشرفه، وهذا شرف كبير له، ودلالة على اهتمام مشرفه به.

ويتحاشى الباحث نقل ما يسمعه من وسائل الإعلام ويعزوه إلى نفسه أو أن يطلَّ على نافذة الحاسوب ويسرق الأفكار.. كل هذا إن أراد أن يستفيد منه أن ينزله في بطاقات، ويعزوه إلى أصحابه،فإذا نسب أفكار غيره إليه سُمي منتحلًا ومدلِّسًا، وسميت عمليته انتحالًا – Plagiarisrr،والانتحال مطعن كبير للبحث.

وأختم حديثي عن البطاقات بهذا الخبر: فقد زارني أحد الباحثين الناشئين يومًا حاملاً معه بعض الدفاتر المحشوَّة بالكتابة في علم معين يكتب فيه بحثه،ورأيته مضطربًا متعبًا، فاستفسرت منه الأمر فقال:

- جئتك يا أستاذي راجيًا فأغثني.. لم أترك كتابًا إلا رجعتُ إليه، ونقلت منه ما يلزم لموضوعي،وسجلت في هذه الدفاتر كل النقول مع مصادرها،وحين اكتملت مراجعتي للمظان وأردتُ البدء بالكتابة عرفت أنني غارق في خضمّ أسود، وأنني جاهل، لا أعرف كيف أكتب وكيف أستقي من هذه الدفاتر. فتصفحت دفاتره ثم قلت له:

- إن مَثلك مثل من اشترى كل مستلزمات الطبيخ، لكنه تبين له ـ وهو واقف في المطبخ أنه ـ لا يحسن الطهو، وسيظل جائعًا، عليك أن تعيد عملك من

جديد بأن تنقل معلوماتك المجمعة في الدفاتر على البطاقات بشكل علمي وفني مع ذكر اسم كل مصدر نقلتَ منه.

وأحسستُ بأنه اضطرب أكثر، فهدَّأت روعه، وجلستُ أعلمه كيف ينقل كل هذا الركام إلى البطاقات، بحسب قنوات المعلومات،وصنعتُ له بعض البطاقات من دفتره ليهتديَ بها،وطلبت منه أن يعود إلى منزله بها حمل، ويتحمل الصبر والجَلَدَ حتى ينقل كل ما جمعه في البطاقات، ثم يعود إليَّ.

وما مضى شهران إلا وقد جاءني باسماً مهللًا يحمل تحت إبطه صندوقة كبيرة، وأراني ما فعل،وبعد أن اطلعت عليها وساعدته على ترتيبها دفعته إلى الكتابة. فدعا لي بالخير،ثم بلغني أنه طبع بحثه، لكنه لم يذكر اسمي في مقدمة كتابه شاكرًا، ولا زارني حاملًا نسخة من الكتاب.. وهذه عادة كثير من الباحثين وطلاب الدراسات العليا مع الأسف!

استنباط الأفكار:

هو نوع آخر من التقميش،غير أن الباحث هنا لا يكتفي بالنقل، بل يستنبط من الخبر ما يفيد بحثه.. فقد يرجع إلى بعض المراجع عن حياة أحد الأعلام فلا يجد في الخبر ما يفيد نقله،أو يرجع إلى الكتاب عن مسألة فلا يجد جدوى ولا مادة. فكيف ينسل المعلومات وما أمامه لا ينفع في ظنه؟

فيعمد إلى كتب الأخبار والنوادر والروايات والحكايات بما له علاقة بالبحث، وليمعن النظر وليكرر القراءة؛ فكثير من القراءات الأولى لكثير من هذه الأخبار لا تُظهر للقارئ العادي شيئًا،لكن الباحث ذو قدرة وخبرة على استقرائها وسبر أغوارها، واستنباط أمور من ورائها،فيكتب ما يستنبطه ويصقله كي يلمع بين سطوره كنز مخبوء... هو الذي يريده.

ويجهز الباحث البطاقات، ويُعمل نظره النقدي الثاقب، فيرى أن الحكاية حافلة، وأن الخبر مفعم. من ذلك:

«يروى أن عليًّا استعمل رجلًا من بني أسد يقال له ضُبيعة بن زهير،فلما جاء قال: يا أمير المؤمنين، إنه أهديَ لي في عملي أشياءُ، وقد أتيتك بها،فقال: فقبضها علي وقال: لو حبسْتَه كان غَلولًا»(١).

يمكن للباحث دراسة النص فيستنتج أن الخلفاء كانوا يعينون على الصدقات أشخاصًا غير معروفين، وأن الهدية كانت معروفة للأمراء منذ ذلك الوقت، وأن هذا الرجل كان أمينًا صادقًا، لا يقبل الرشوة، وأن الخلفاء كانوا يعدون هذه الهدايا ملكًا لبيت المال...

كل هذه الملاحظات تُنزل في البطاقة الخاصة بالرشوة،وهذا مثال بسيط يدلك على مدى أهمية استنباط الحكايات.

ومن ذلك ما رواه ابن قتيبة الدِّينَوَري(٢) قال: قال النمر بن تولب:

أعِذْني ربِّ من حَصَرٍ وعـــــيٍّ ... ومن نفس أعالجها عِلاجــا

ومن حاجاتِ نفسي فاعْصِمَنيِّ ... فإنَّ لِمُضْمَراتِ النفس حاجا

يستشَفُّ من هذين البيتين والنمر مات سنة ١٤هـ أن الشاعر مسلم مؤمن، عازف عن ملذات الحياة، ضيق النفس، لاجئ إلى الله يرجو الفصاحة والطلاقة، وكأنه أحسَّ وهو في أخريات عمره بارتباط بعض لسانه من أمور نفسية، كما يرجو ربه أن يعصمه من نفسه التي تتطلب حاجات دنيوية فانية...

---

(١) أدب القاضي والقضاة: ٢٣.

(٢) عيون الأخبار: ٢/ ١٦٩.

ومثال آخر عن خالد بن يزيد، ذكر أبو الفرج الأصفهاني[١] : «خالد بن يزيد بن معاوية.. وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضة وفصاحة،وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء، فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه».

نستطيع أن نستنبط من الأسطر القليلة أمورًا كثيرة عن حياته، وبإمكان الباحث أن يستفيد منها كثيرًا، إذا كان بحثه عن هذا العالم الكبير، ومن ذلك:

١- أنه ابن ثاني خليفة أموي.

٢- لم يتسلم الخلافة، فانتقلت إلى مروان بن الحكم.

٣- اعتزل السياسة، وشغل نفسه بالعلوم.

٤- ورد اسم الكيمياء لأول مرة في تاريخ العلوم مرتبطًا باسمه،ولفظة أبي الفرج «شغل نفسه بطلب الكيمياء» دلالة على أنه حُرم من الخلافة، فأراد أن يسلي نفسه بهذا العلم،ونحسب أنه لو تسلم الخلافة لما اشتغل بالكيمياء ولو أنه تسلم الخلافة لتغير حكم بني أمية؛ لأنه عاش حتى سنة ٩٠هـ ومن نسل معاوية.

٥- يبدو أنه لم ينجح في هذا العلم لذلك قال: «فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه».

٦- عدَّ من أعلام قريش في زمانه.

٧- اشتهر بالكرم والفصاحة، وهما صفتان كريمتان عند العرب.

فالاستقراء هو أن نقرأ الخبر أو الحكاية، فنستنبط منه ما لا يراه القارئ العادي ولا يدركه، وكلما تعمق الباحث في استنباطه دل على قدرة عنده وخبرة،

---

(١) الأغاني: ١٧/ ٣٤١.

وقدَّم لبحثه مادة جديدة، لم تكن موجودة بوضوح،وهو أشبه بحبه الليمون التي تُعصر، فكلما اعتصرها المرء أعطته أكثر،ويظل عليها حتى لا يبقى منها سوى القشر والثُّفالة.

وقد يقرأ الخبر الواحد أكثرُ من باحث، فيستشفُّ كل واحد شيئًا قد لا يتنبه له الآخر، ومن هنا تختلف المعلومات، وتزيد أو تنقص بين الباحثين.

فالاستنباط نسغ مهم للبحث لا يجوز إغفاله ولا إهماله،ومن هنا تأتي بكرية الموضوعات الجزئية،ولا تُنزل هذه المستنبطات في مكان واحد من البحث، بل تأخذ كل جزئية حيزها المناسب للموضوع؛ فبطاقة خاصة باسم خالد بن يزيد، وأخرى لنسبه ومقامه، وثالثة لاشتغاله بالكيمياء.. وهكذا.

ولهذا يفترض بالباحث أن يتقصَّى كل خبر، وكل سطر عن الموضوع أو عن العَلَم، فيستنبط منه ويستنتج، ثم يحلل ويعلل، وبالتالي يوثق الخبر من مظانه ليؤكد صحة نقله وصحة ما توصل إليه.

ولا يكون الاستنباط من الأخبار وحدها، بل في قراءة ديوان الشاعر كله.

ولو أننا قرأنا ديوان أبي تمام كله، أو ديوان المتنبي كله لخرجنا بآراء قد لا يكون قد تنبه إليها النقاد،وكذا الأمر في مؤلفات الكاتب ومقدماته.

ومن الموضوعات التي تستحق أن يكتب فيها بعد استنباط نصوصها: «الشعر الشعبي أو الشعر الذاتي عند شعراء البلاط»، أو «شخصية عمرو بن كلثوم من شعره»، أو «الترجمة في عهد المنصور»، أو «السد العالي في مصر»...

كتابة الأرقام في البحث[1]:

يحار الباحث في استعمال أرقام السنوات، ويتساءل: أيسجلها أرقامًا أم حروفًا؟ يفضل أن تسجل الأرقام داخل البحث كتابة بالحروف، ويشترط أن يكون الباحث دارسًا قاعدة العدد والمعدود، فيقول: توفيت أسماء بنت أبي بكر سنة ثلاث وسبعين من الهجرة إلا إذا وضعت بين قوسين ت ٧٣هـ.

أما إذا كانت الأرقام طويلة أكثر من ثلاث كلمات، أو كان في العدد كسر، فقد أجازوا ذكرها بالأرقام،كما أجازوا الأرقام لتاريخ اليوم، وتاريخ الطبع، والنسب المئوية، ورقم أجزاء الكتاب وصفحاته، وأرقام الجداول والأشكال، أو سنة الوفاة الهجرية مع ما يعادلها بالميلادي.

على أن القدماء كانوا يحرصون على تسجيل الأرقام كتابةً على إحدى طريقتين؛

الأولى: توفي فلان سنة أربع مئة وتسع وأربعين.

الثانية: توفي فلان سنة تسع وأربعين وأربع مئة.

وللباحث الخيار في إحدى الطريقتين شريطة ألا يبدل الطريقة في بحثه كله.

أما تعريف العدد بأل: فالعدد المركب يعرف الصدر وحسب، مثل: الستّ عشرة،والعدد المضاف: يعرف المعدود: خمسة الرجال،والعدد المعطوف: يعرفان جميعًا: الأربعة والأربعون رجلًا.

* * *

---

(١) انظر تفصيلاً آخر للعدد والمعدود في قسم المخطوطات من الكتاب

كتابة البحث

قبل البدء بالكتابة:

لا يجوز للباحث أن يبدأ بالكتابة مطلقًا إلا بعد أن يتم قراءة مصادره ومراجعه كلها، وبعد أن ينتهيَ من نسل معلوماته وإنزالها في البطاقات،عندئذ يجلس أمام بطاقاته يعيد فيها النظر، ويرتبها بشكل دقيق، فيقدم ويؤخر، ويدرِّج المجموعات بدءًا من التمهيد حتى الخاتمة على حسب المخطط المرسوم سابقًا،وله أن يغير قليلًا، فيقدم ما يرى أن حقه التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير، وينقل بعض البطاقات إلى مكان مناسب لها.

وقد يحذف المكرر، أو يستغني عما لا ضرورة له،وقد يكتشف نقصًا في فكرة، أو تقصيرًا في نقطة، أو شاهدًا لمسألة،فيرمِّم النقص من المصادر،ويظل على تتبعه حتى يطمئن تمامًا إلى أنه أحاط ببطاقاته من كل جانب،وما عليه إلا أن يعقد العزم ويتوكل على الله.

أما طالب الدراسات العليا، فلا يجوز له أن يباشر إلا بعد أن يعرض على أستاذه المشرف ما غيره، وما قدمه وآخره،فإن وافق عليه استأذنه بأن يبدأ بكتابة المسودة، فإن اذنَ له باشر.

مُسوَّدة البحث:

يستخدم الباحث ورقًا من المقاس الكبير الذي تطبع عليه الأمليات، حتى يتسع للكتابة والفراغات والحواشي،ويكتب في أعلى الورقة عنوان الموضوع: التمهيد، أو الفصل الأول وتحته عنوانه،ولا يكتب على الطرف الآخر من الورقة مهما كانت الأسباب، فبين الكرم والبخل صفحات معدودات في البحث كله.

ولا يقلْ: هي مسوَّدة؛ فقد ينسى ما يكتب، أو يضطر إلى التقديم والتأخير، فيضيع عليه جزء مهم من البحث،وله أن يكتب بما يشاء من الأقلام، شريطة أن يكون القلم مريحًا، سريع الكتابة من غير ضغط أو عناء.

ولكن يجب أن يكتب على المسودة وكأنه يكتب على المبيضة بما في ذلك علامات الترقيم، حتى يصبح الترتيب والاعتناء عادة في الكتابة،ويراعي المسافات بدقة بحيث يضع العنوان في وسط الصفحة بدءًا من السطر الثالث، ويترك مسافة إصبع من الطرف الأيسر من الورقة، وثلاثة أصابع من اليمين للإضافات الطارئة ويترك سطرًا فارغًا بين كل سطرين، لما قد يضيفه من كلمة أو سطر.

وعند كلِّ أول مقطع يترك مقدار إصبع، حتى يعرف بدء الكلام، ويعتاد الطريقة في المبيضة،وإذا كان في الفصل جدول أو شكل أو تعداد يضعه في مكانه من المسوَّدة.

ولا يُخرج من صندوقة البطاقات سوى المجموعة التي سيباشر بكتابتها حتى لا تختلط الأوراق،فيرتبها أمامه بتسلسل، ويتناول البطاقة الأولى، فينقلها وهو يشرح ويعالج،فإن كانت نصًّا موثقًا أو شاهدًا سجله، ونقل في الحاشية اسم المصدر (من غير تفصيل) ورقم الصفحة فورًا حتى لا ينسى.

وإذا كان في إحدى البطاقات شاهد طويل.. بضع آيات، أو عددًا من الأبيات، أو نصًّا من بضعة أسطر فلا ينقله، بل يربطه بدبوس في مكانه من الصفحة كسبًا للوقت، وتلافيًا من الوقوع في الخطأ ينقل النص من المصدر إلى البطاقة، ومنها إلى المسودة، ثم إلى المبيضة،حتى إذا وصل إلى مرحلة التبييض نقل ما في البطاقة مباشرة وسجَّل الإحالة.

وحين ينتهي من المجموعة الأولى من البطاقات، فلا يتخلص منها، بل يضعها خلف البطاقات؛ فقد يحتاج إليها ثانية إذا شك بخطأ أو باسم مصدر أو رقم صفحته.

ثم يخرج المجموعة الثانية، فيرتبها أمامه، ويضع العنوان المناسب، ويباشر بالكتابة،ويجب أن يرقم الصفحات حتى لا يتداخل بعضها في بعض،ويستمر على عمله من غير توان ولا انشغال بموسيقى أو تلفاز أو هاتف،ولا يتوقف إلا عند عنوان جديد،عندها له أن يأخذ قسطًا من الراحة، أو يقضي أمرًا.

وحين ينتهي من عملية تسويد فصل كامل، يعود إليه ثانية، فيقرؤه، ويضيف ما يشاء، ويصوب الخطأ، ويحذف الإطناب، ويُنقي الأوشاب، ويراعي الترابط، ويتثبت من المعالجة، وهي أهم ما في البحث، هل يرى أن ما كتبه مقنع؟ وهل الشواهد كافية؟ وهل وفَّى الفصل حقه؟

عندئذ ينتقل إلى الفصل الثاني، ويتبع المنهج الذي اتبعه في الفصل الأول،ومن الضروري أن يكون مخطط البحث بين يديه، أو معلقًا أمامه على الجدار؛ ليتأكد بين الحين والآخر إلى أنه يسير صحيحًا ولا يُنقص.

وعلى الباحث أن يربط نهاية الفصل الأول ببداية الفصل الثاني، بما يُشعر القارئ بأن الكلام متسلسل لا انقطاع فيه،وكذا الأمر في الفصل الذي يلي.

وكنا ذكرنا في التحقيق أن المستحق يشرع بتبييض المخطوطة مباشرة، ومن الخطأ تسويدها، ويؤذي صحة النص،لكن التسويد في غير المخطوطة ضروري، وكذا الأمر في البحث،ومهما كان الباحث كفئًا ومقتدرًا فإنه يحتاج إلى تسويد البحث.. فقد يعنُّ له أن يضيف شيئًا، أو يقدم ويؤخر، أو يحذف جملة، أو يربطها برابط حتى لا يكون في كلامه تفكك، أو يتذكر شاهدًا يجب إنزاله في مكانه.

وليكبِّر الباحث من مساحة الحاشية حتى لا يُضيق على نفسه أو يضطر إلى اختصار كلامه،ولا بأس من بقاء قسم من الحاشية أبيض، وسيتلافاه في المبيضة.

ويستمر على كتابته بيقظة ودأب حتى ينتهي تسويد البحث كاملاً،وقد يكون عدد صفحات البحث أربعين صفحة، وهو الحجم المناسب للبحث الرصين والمحكم،أما حجم الرسالة الجامعية العليا، فلا تزيد على مئتي صفحة في الماجستير، وبين ثلاث مئة صفحة للدكتوراه،لكن بعض الكليات العلمية تقبل نصف هذا الحجم.. وسيأتي تفصيله.

ويترك الباحث بحثه يومًا أو يومين يرتاح ويريح القلم،ثم يعود إلى البحث فيقرؤه، ويتابع تسلسل أفكاره وترابطها وانسجامها،ويتأكد من أنه ختم كل فصل أو مرحلة بما يشعر بإنجاز الفصل وانتقاله إلى الآخر.

ثم يكتب خاتمة البحث، يعالج فيها الموضوع والنتائج باختصار، لا يزيد على الصفحة، من غير مراجع أو حواش،ويذكر أهمية البحث ووجوب كتابته،وبعد ذلك يستعد لعملية التبييض.

تبييض الكتاب قديمًا:

حرص المؤلف قديماً على أن يطمئن إلى سلامة مسوَّدة كتابه، وإلى أنها ضمت كل شيء قبل أن يبدأ بعملية التبييض، والتي هي المرحلة الأخيرة للكتاب عندهم. **وكانوا يركزون في التبييض على أمور أهمها:**

١- **اللغة**: يهمهم أن تكون اللغة مفهومة وواضحة، لا يعتريها غريب ولا حُوشي، ولا تكرار للمفردات إلا ما كان ضرورة.

٢- **الضبط والإعجام**: اهتموا بإعجام الحروف خوف التصحيف والضبط

مغبَّة اللحن، على أن يذكر الضروري من الضبط، ومن غير إكثار،**والضبط عندهم نوعان:**

أ- نوع هو أربعة: الحركات الثلاث، والوقفة التي هي السكون.

ب- ونوع هو أربعة: لتحديد الفروق بين الحروف، بـ: الشدة، والتنوين، والمدَّة، وعلامة الوصل وقد استخدموها بعد ظهورها واشتهارها.

٣- كتابة الكلمة الأولى من الصفحة التالية في أقصى أدنى الصفحة السابقة بخط مائل، وكأنها رقم الصفحة عندهم.

تبييض البحث:

لتبييض البحث استعداد آخر وهمة أعلى وأكثر يقظة،فقد يكون الباحث قد كتب مسوَّدته بعاطفة مندفعة،فعليه أن يخفف من موجة العاطفة، ويميل بها إلى الهدوء، والوعي الأكيد، وإحكام للعقل، وإنزال للكلمات في أمكنتها المناسبة، والتأكد من علامات الترقيم، ووضع الأقواس والأهلة بدءًا وخاتمةً.

كلّ هذا يستعدّ له ويراقبه وهو يكتب،وعليه أن يسير على المراحل الآتية:

١- يعدُّ قلم حبر سَيَّال يملؤه حبرًا، ولا يكتب بقلم ناشف لضمان ظهور الحروف وسلامة الكتابة،وليكن الحبر أسودَ غامقًا لوضوحه في القراءة والتصوير.

٢- يأتي بورق صقيل مسطر سميك؛ لأن الرقيق ينحني طرفاه، ولا يتجاوب معه في الكتابة، ويضايقه في الحواشي.

٣- يحدد أبعاد المسافات التي سيستعملها في الكتابة، ونعني بالمسافات الأبعاد الأربعة من الورقة، ولا يحشر كلامه، ولا يُضيق على نفسه، ويحدد عدد

الأسطر التي سيملأ بها الصفحة، ولا يجوز أن يقع تفاوت بين عدد الأسطر في الصفحات.

٤- يكتب العنوان الرئيسي والفصل بعد السطر الثالث من وسط الصفحة بخط أكبر من المعتاد.

٥- يترك سطرًا فارغًا يضع فيه العنوان الجانبي الذي يكتب من أول السطر، وتحته خط، أو يكتب بحرف غامق، ويبدأ بالكتابة في السطر بعده، بعد أن يدخل مقدار إصبع، دلالة على أول المقطع،وكذا يفعل عند البدء بكل مقطع؛ ليعرف كم عدد المقاطع في الصفحة.

٦- يترك هامشًا على اليمين أبيض بمقدار ٢سم أو بعرض إصبعين، وهذا هو الطبيعي، كما يترك فراغًا مقدار ١ سم في أقصى السطر يسارًا لضمان بروز الحروف الأخيرة إذا صُور البحث.

٧- يترك مقدارًا معينًا وأكثر من الحاجة في أسفل الورقة للحواشي، ويتأكد من وضع الأرقام صحيحة في المتن والحاشية،وكنا ذكرنا في باب التحقيق أن الأفضل للمحقق أن يكتب حواشيه على ورقة ملحقة تنظر ؛ لأن حواشي التحقيق أكثر مادة من حواشي البحث،وله أن يتبع أسلوب حواشي التحقيق إذا كانت حواشيه كثيرة.

وهو عندما يبيض يضع أرقام الحواشي للشواهد أو النصوص الموثقة، ويراقب ببصيرته عدد الأسطر التي سيحتاج إليها في الحاشية،وإذا قدَّر الباحث أن الصفحة ستذيل بثلاثة أسطر، فليترك فراغًا لخمسة أسطر أو ستة.

إن الكرم هنا واجب حرصًا على عدم إتعاب الباحث في بحثه العميق؛ لئلا

تمتد الحواشي إلى سطر زائد، ولأنه سيضع فاصلًا مقداره سطر بين المتن والحاشية، كما يحتاج إلى سطر آخر ليضع عليه رقم الصفحة،ولا يبخلنَّ مطلقًا؛ فبين الكرم والبخل صفحتان أو ثلاث في البحث كله.

وللباحث أن يكتب الحواشي بقلم أدقَّ إن شاء، لا لتوفير سطر، بل لإحداث التباين بين المتن والحاشية،وفي هذه الحال يُسقط السطر الفاصل بين طرفي الورقة، أو أنه يكتبه بحبر مغاير، ولكن لا يكن الحبر أخضر؛ لأن هذا اللون لا يظهر بالتصوير.

٨- ولا يكتب على الطرف الآخر من الورقة، وقد أشرنا إليه سابقًا ومرارًا.

٩- **ويبدأ بعملية التبييض** بعد أن يكون استوعب ما سبق ذكره، وأدرك أهميته.. يكتب بحرف معتدل الحجم، واضح ومقروء، مع وجود مسافات معتدلة بين الكلمات، ومسافة بيِّنة لعلامات الترقيم يمينًا ويسارًا.

١٠- والصفحة الأولى ترقم بالرقم ١ على اعتبار أن ما قبلها من المقدمة وغيرها سيرقم بالأحرف الأبجدية الحسابية،ويفضل أن يرقم البحث بالقلم الرصاص، فقد يطرأ تعديل على الترتيب منه أو من أستاذه.

١١- وعند كل أول فصل يكتب رقم الفصل وعنوانه على صفحة منفردة، ولا يجوز أن يكتب أو يطبع خلفها شيئًا،ويجب أن تقع هذه الصفحة على يسار الكتاب، ويبدأ بكتابة الفصل على اليسار أيضًا.

١٢- يبيض الباحث الشعر؛ كل بيت على سطر وحده، مع مسافات مراعاة بين الشطرين وقبلهما وبعدهما، وتحته تمامًا البيت الثاني وهكذا إلى آخر القصيدة. وإذا كان للبيت رقم حاشية، يفضل وضعه قبل الكلمة الأخيرة لجمالية تسلسل الروي في الأبيات.

١٣- ويستمر الباحث في تبييضه حتى نهاية البحث بما فيه الخاتمة،ثم يرتاح قليلاً يومًا أو يومين؛ ليعود إلى قراءة المبيضة قراءة ناقد متفحص، يراقب فيها: أخطاؤه، وعلامات الترقيم، والأهلة، والأقواس، والحواشي، وتطابق أرقامها مع أرقام المتن.

١٤- يفضل ضبط الكلمات الضرورية التي يقع الإشكال في إعرابها،أما القرآن والحديث والشعر فالضبط فيها شبه كامل.

١٥- مراعاة تقسيم البحث إلى أبواب، وفصول، وعناوين فرعية، وأجزاء، وأرقام؛ لتركيز المضمون للقارئ، وحتى لا يكون الكلام طويلًا سردًا.

١٦- إذا اضطر الباحث إلى تكرار فكرة ما في البحث -وهذا طبيعي- فلا مانع شريطة أن يفصل بالفكرة أولًا، ثم يوجز بها ثانيًا، مع ذكر الباحث كما سبق أن ذكرنا(١)، أو كما سبق ذكره، أو كما ذكرنا آنفًا .

١٧- يحدد الباحث منذ مطلع تبييض البحث الضمير الذي يستعمله، غائبًا أو مخاطبًا، مفردًا أو جمعًا في البحث كله.

١٨- الأسماء الأجنبية التي يتطلب ذكرها في البحث يجب أن تكتب بالأحرف اللاتينية، مسبوقة بكتابتها بالعربية، إن أمكن.

١٩- لا عبرة لعدد صفحات كل فصل.. فقد يطول الفصل كما قد يقصر، وأساسه المادة المعروضة المشبعة عرضًا ودراسة وشواهد.

٢٠- يعمد بعض السادة الباحثين إلى ذكر ألقاب بعض الأسماء، مثل الأستاذ الدكتور.. لا ننصح بهذا، وإلا كيف يقول للجاحظ والفارابي وطه حسين؟ وقد يُغفر ذلك لطالب الدراسات العليا عندما يذكر اسم أستاذه المشرف

---

(١) ولا يقال: كما سبق وذكرنا.

وقد شهدنا في جامعة دمشق مناقشة دكتوراه، يعاتبه أحد الأساتذة بأنه كلما ذكر اسم أستاذه قال: «قال أستاذي الكبير الدكتور..» حتى إذا وصل إلى ذكر محمد رسول الله r قال: «محمد» هكذا!

المقدمات:

لا يكون بحث من غير مقدمة، وهو يعدُّ لها مسبقًا، لكنها تكتب آخرًا، وحتى بعد خاتمة البحث، يسجل فيها سبب ميله إلى البحث، والدوافع التي قادته إليه، والعقبات التي اعترضته، والمنهج الذي اتبعه، وموجز الموضوع، والمثبطات التي اعترضته.

ويسبق المقدمة صفحة عليها عنوان البحث، واسم الباحث، وتقع بعد صفحة الغلاف، والجهة المموِّلة أو المشرفة، وسنة صدور البحث،ويليها صفحة الإهداء لمن أراد أن يهدي بحثه لأحد، وخلف صفحة الإهداء بياض، وبعده صفحة الشكر، يذكر فيها من كان له فضل في الإسهام، أو يد في عون الباحث، (وانظر صفحة الشكر في باب التحقيق) وبعد الشكر مقدمة المؤلف المؤرخة عادة، وفي ذيلها اسم الباحث من غير لقب ولا حتى الدال.

الجداول والأشكال:

قد يحتاج الباحث العلمي والاقتصادي والجغرافي، وحتى الأدبي أحيانًا إلى صناعة جداول وأشكال، يغذي بها بحثه،وهذه الجداول والأشكال ضرورية جدًّا في حال وجوب ذكر نسب وتطورات وميزانيات،وقد يكون عدم ذكرها نقصًا في البحث.

ويتبع رسمها وترتيبها بالبيان التالي:

١- يرسم الجدول على عرض الصفحة، بعد ترك سطر فراغًا من الأعلى وسطر

آخر من الأسفل ويكتب في أعلى الجدول رقمه، وتحته تعريفًا بما يتضمنه، ومن العيب أن يكتب نصف الجدول على صفحة ونصفه الباقي على الصفحة التالية.

٢- يرسم بشكل واضح، ومرتب، وتكون الكلمات فيه على توازن مع ما تحتها، حيث يسهل على المطالع الاستفادة منه.

٣- يرسم بشكل مستطيل أو مربع بخطوط طولانية وخطوط عرضانية،وترتب الكلمات فيه على سطر واحد مستقيم.

٤- يقدَّم للجدول بكلام مفصل يوضح الهدف المقصود منه، وهو شرح لما يكتب تحت الجدول،وإذا اضطر الباحث إلى إحالة القارئ في دراسته يقول: انظر الجدول رقم.... .

٥- وإذا كانت الجداول والأشكال كثيرة في البحث، يمكن للباحث إدراجها في ملحق بآخر البحث، مع ترقيمها، وإحالة القارئ إليها بالأرقام.

هذا البحث القيم الذي تعب به الباحث حرص به على خدمة العلم وبذل فيه مجهوده الكامل كي يظهره بالقالب العلمي الذي يخدم المطالعين وهدفه خدمة الآخر.

وقد قال رجل للمهلب بن أبي صُفرة: بمَ أدركتَ ما أدركتَ؟ فأجاب المهلب:

إنما أدركتُ ذلك بالعلم والعلم وحده،فقال الرجل: ولكنني أرى غيركَ، وقد تعلم أكثر مما تعلمتَ، ولم يدركَ مثلَ شَأوك وجليل شأنك! فقال المهلب: ذلك لأنني استعملتُ علمي ولم أحمله، وغيري حمل علمه ولم يستعمله،فكان مثلُه كمثل الحمار يحمل أسفارًا».

فهرسة المحتوى:

قد لا يحتاج البحث إلى فهارس عامة متنوعة كما يحتاج إليها التحقيق،وإن أراد أن يصنع فهرسًا أو أكثر فليرجع إلى «الفهارس العامة» في باب التحقيق.

غير أن البحث يتطلب فهرسة للمحتوى أو ثبتًا،فعليه أن يصنع الفهرست مرتبًا بعنواناته الرئيسية والفرعية مع أرقام الصفحات بكل دقة، ويختم به البحث مطبوعًا على جهاز الحاسوب أو في المطبعة، ويرقم صفحات الفهرست بالتسلسل بعد خاتمة البحث،وهو آخر شيء يكتبه أو يطبعه،ولا يذكر عنوان فهرسة المحتوى في ختامه.

بينما يميل بعضهم -وهذا منهج المستشرقين- إلى كتابته وطباعته في مطلع البحث، ويكون موقعه قبل المقدمة مباشرة،على أن لا يكتب المحتوى إلا بعد إنجاز ترقيم البحث، وعندئذ يدخل ترقيم صفحاته ضمن الترقيم الأبجدي الحسابي. وكلاهما خير.

لكن بعضهم يفضل ترقيم البحث بدءًا من صفحة الغلاف، بما في ذلك فهرسة المحتوى،وفي هذه الحال تحسب صفحة الغلاف ذات رقم (٣) وخلفها بياض، وصفحة الإهداء (٥) وخلفها بياض، وصفحة الشكر (٧) وخلفها بياض، ثم صفحة المقدمة (٩)، ثم يتابع الترقيم الإفرادي، وإن أنزل فهرسة المحتوى في مطلع الكتاب كان رقم الصفحة الأولى (٩)، ثم يتابع إلى آخر الكتاب.

* * *

الفَصْلُ الرَّابعُ

أبحاثُ الدِّراسَاتِ العُليَا

لا تختلف أبحاثُ الدراسات العليا كثيرًا عن البحث العلمي، وجلُّ ما ينطبق على هذا ينطبق على ذاك بالضرورة، كاختيار البحث، والعناية الفائقة في العمل، والاطلاع على رسائل سَبق أن نوقشت بنجاح، واختيار العنوان.

على أننا نريد في هذا الفصل أن نحيط بكل ما يحتاج إليه طالب الدراسات العليا، ولا سيما طالب الدكتوراه؛ لأنها محط قلق الطالب، والفوز فيها يحدد مصيرًا ومستقبلاً،وسنتابع في هذا الفصل تعريفًا بأبحاث الدراسات العليا، واختيار البحث والعنوان، والبحث في المصادر والمراجع، ووضع المخطط، ومراحل الكتابة وما قبل الكتابة، والتسويد والتبييض، وطبع الرسالة، وأسلوبها، والمشرف ودوره، والمناقشين، وجلسة المناقشة... وكل ما يتبع العمل من ألفه إلى يائه، ونكفيه بذلك مؤونة قراءة الكتاب، إلا إن أحب أن يستزيد.

يخضع الطالب بعد مرحلة الإجازة الجامعية إلى صراع نفسي.. بين أن يقدم على الدراسات العليا وأن يعزف عنها،هذا إذا كانت درجاته تؤهله لخوض ميدان الدراسات العليا التي تتطلب منه تمضية أكثر من خمس سنوات في الغوص بين أرفف المكتبات، والتخفف من أعباء الحياة العملية.

فإذا صمم أخيرًا على نيل هذه المرحلة العسيرة فعليه أن يتخطى ثلاث شهادات، يكتب فيها ثلاثة أبحاث،ولكل بحث مشرف من بعض أساتذته في القسم، وهذا هو الفرق بين الباحث الحرِّ والطالب المقيد بالمشرفين، والمكبل بالقرارات والقوانين.

١- **مرحلة الدبلوم** - Diploma of Higher Studies: ومدتها عام أو عامان، يحضر خلالها المحاضراتِ الدسمة.

ويكتب خلال دراسته بحثًا مكثفًا موجزًا، لا يتعدى الأربعين صفحة أو الخمسين كحدّ أقصى،ويتوقف نجاحه في الدبلوم على نجاحه في كتابة البحث الذي يشرف عليه أحد مدرسيه،ويعالج فيه موضوعًا محدَّدًا أدبيًّا أو لغويًّا أو تاريخيًّا.. أو غيره، بحسب ما يدرسه في القسم والدبلوم.

ويتعلم الطالب من صناعة هذا البحث مبادئ الكتابة العلمية، والدراسة المنهجية، والمعالجة الرصينة،ويتدرب من خلاله على استخدام المصادر والمراجع، وأسلوب المعالجة البحثية، وصياغة البحث العلمي، كما يتعلم فن العمل العلمي الذي سيفتح له آفاقًا للماجستير والدكتوراه،وقد يكون بحثه الموجز هذا نواة لعمل موسع في المستقبل، من غير أن يكون ماجستير أو دكتوراه.

وشروط كتابة هذا البحث، ومعالجة موضوعه، وطريقة كتابته، شبيهة بموضوع الدكتوراه بكل خيوطه، ولكن بشكل مكثف وموجز،ويتسامح فيه المشرف عن تقصيره الجزئي، لكنه لا يتسامح معه مطلقًا في توجيهه وتسديد خطواته،فإذا نجح في موافقة المشرف نجح في مرحلة الدبلوم.

٢- **مرحلة الماجستير**:- **Master's Programme**: وهي شهادة أعلى من الدبلوم، ودون مرحلة الدكتوراه،يتعلم فيها الطالب الدأب، والصبر، والاستقلال الفكري، وحرية البحث والتنقيب،ولا يشترط أن يكون بحث الماجستير مبتكرًا، ولا جديدًا،ولكنه يعالج قضية ما من صلب اختصاصه، ويتوسع فيها بإشراف مدرس أو أستاذ مساعد يختاره الطالب وتوافق عليه المجالس المختصة.

فإذا صدر قرار الموافقة على البحث والمشرف تفرَّغ الطالب لكتابة بحثه بحدود ١٥٠-٢٠٠ صفحة، أو بحسب ما تشترطه الجامعة التي ينتمي إليها،وهذا البحث أقل مستوى وأصغر حجماً من بحث الدكتوراه الذي ينتظره الطالب حتماً. وسيكتشف الطالب في هذه المرحلة المكتبة التخصصية، ومبادئ البحث، والاعتناء بالأسلوب وسلامته،وهي مرحلة بدء العطاء، ومفتاح التفكير الحر، واتساع الآفاق المعرفية.

ويُمضي الطالب فترة طويلة نسبيًّا في البحث عن موضوع غير مطروق، أو مطروق على قلة أو بشكل جانبي، ويحتاج إلى توسع وإشباع، وعلى الطالب أن يرأب صدعه ويسد نقصه،وكلما توصل الطالب إلى موضوع مقنع خلال مطالعاته عرضه على أستاذه المشرف، فإن رفضه راح يبحث عن آخر،وحين يوافق المشرف على واحد من هذه الموضوعات المعروضة عليه، يناقشه به ثم يمنحه فرصة شهر أو أكثر كي يغوص بين أرفف المكتبات، وينبش المصادر والمراجع التي تفتح له مصاريع البحث كي يضع مخططًا تمهيديًّا لفصلين أو ثلاثة، يسبقها تمهيد.

وخلال هذه الفترة يظل الطالب يتردد على مشرفه حتى تستقيم الفصول، وتتحدَّد فروع الفصول، ويأخذ المخطط شكله المقبول،ثم يختم المخطط بعدد من أسماء المصادر والمراجع والمجلات والدوريات التي تخدمه في دراسة هذا البحث، ويدفعه إلى أستاذه المشرف،فيعيد المشرف النظر ويصوِّب، ويستجيب الطالب -بصبر واحترام- إلى توجيهاته، ويثبت الآراء التي ارتآها والتي هي لصالح الطالب، عاد فبيَّضه ثانية ودفعه إلى المشرف.

يوقع المشرف على مخطط البحث بالموافقة ويحمله إلى مجلس القسم،فإذا

صادق المجلس عليه رُفع إلى مجلس الكلية، فمجلس الجامعة،وإذا أدخل أحدُ أعضاء المجالس ملاحظات، استجاب لها المشرف وتدارسها وصوَّبها مع تلميذه،فإذا صدر قرار مجلس الجامعة بالموافقة صار البحث ملكًا للطالب وباشر العمل في البحث بشكل جدي.

والشروط التي يتبعها الطالب بعد ذلك مطابقة للشروط التي سنذكرها في بحث الدكتوراه، باستثناء أن رسالة الماجستير تكون أصغر، والمناقشين هما اثنان ومن داخل الكلية.

٣- مرحلة الدكتوراه- PhD Programme: هي المرحلة الثالثة والأخيرة، وهي مرحلة الوصول إلى الاكتمال، واتساع الأفق العلمي في البحث، والاستقلال الذاتي فكرًا، وشخصية، وتعمقًا، وإبداعًا، وتفرُّدًا، وبدء العطاء الواسع بعد نجاحه في كتابة بحثه طبعًا.

ولعل خير تعريف لرسالة الدكتوراه ما ذكر المفكر Arther cole بأنها «تقرير وافٍ يقدمه باحث عن عمل تعهده أو أتقنه،على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة، منذ كانت فكرة، حتى صارت نتائج مدوَّنة، مرتبة، مؤيدة بالحجج والأسانيد»[١].

ورسالة الدكتوراه مرتبطة حكمًا ببحث مبتكر، ذي أهمية علمية، تفتقر إليه المكتبة العربية، ويسد ثغرة في أحد السبل العلمية، والوطنية، والإنسانية،يستطيع الباحث فيه أن يبرز شخصيته وتفرُّده، ويستطيع أن يثبت فيه آراءه وأحكامه.

ولا تختلف رسالة الدكتوراه كثيرًا عن البحث العلمي،وما ينطبق على هذا ينطبق بالضرورة على تلك، مع اختلاف طفيف في الغايات، والمُدد الزمنية؛

---

(١) كيف نكتب بحثًا أو رسالة: ٥.

فهو يتحرَّى حتى يصل إلى بحث مبتكر، ويدرس مدى جدواه، ويستعرض من سبقه في هذا المضمار إلى غير ذلك مما سنستعرض له في هذا الفصل، وتعرضنا له في حقل البحث العلمي.

وبحث الدكتوراه يعدُّ بغيةَ الحصول به على أعلى درجة علمية في الجامعة. **ويشترط في هذا البحث أن يكون أصيلًا، مبتكرًا، من دائرة اختصاص الطالب التي سبق أن درسها** ونال عليها: الإجازة، فالدبلوم، فالماجستير،إذ لا يجوز أن يخالف التخصص السابق،فإذا بدأ بالتاريخ ينتهي في التاريخ، ولا يجوز له أن يحصل على دكتوراه في الحقوق، أو الاقتصاد مثلًا.. وكذا الأمر في الاختصاصات الأخرى.

على أنهم تساهلوا -في تخصص اللغة العربية- بأن يكون البحث لغويًّا أو أدبيًّا؛ لأن الواحد منهما يكمل الآخر، لكن الدبلوم هو الذي يحدد الاختصاص، فإذا نال الطالب شهادة دبلوم لغويات تابع الدكتوراه عليه، أو نال دبلوم أدبيات تابع الدكتوراه عليه.

شروط بحث الدكتوراه:

لكتابة رسالة الدكتوراه شروط أساسية وثابتة، لا يجوز تخطيها،لكن بعض البنود الجانبية تتغير من كلية إلى كلية، أو بحسب ما تتواضع عليه بعض الجامعات،كما أن هذه الشروط كثيرًا ما تخضع لعملية التطوير العلمي، والتركيز على نقاط لم تكن موجودة في مرحلة سابقة،وتبقى أساسيات البحث ثابتة ولا يجوز تخطيها،لذلك ننصح الطالب وقبل أن ينخرط في عمله أن يراجع قسم الدراسات العليا في جامعته ليطلع على شروط الانتساب إلى مرحلة الدكتوراه، وشروط كتابة الرسالة.

أما الشروط الأساسية التي لا تتغير حتمًا، فهو أن يكون حاصلاً على شهادتي الدبلوم في الدراسات العليا ودرجة الماجستير التي تؤهله للمتابعة،ويستعاض أحيانًا عن الماجستير بدبلوم آخر كما في بعض الجامعات البريطانية.

والشروط الثابتة الأخرى التي لا يطرأ عليها التعديل، فتتمثل في:

١- كتابة بحث مبتكر يشرف عليه أستاذ مشرف في دائرة الاختصاص، وهو المسؤول الأول والأخير على الطالب وعلى بحثه معًا.

٢- خضوع البحث إلى لجنة مناقشة متخصصة.

٣- حجم الرسالة: تحدد الجامعة أحيانًا حجم رسالة الدكتوراه بما لا يقلُّ عن مئتي صفحة، لكنهم لا يذكرون «بما لا يزيد على»،وقد ناقشنا رسالة دكتوراه لطالبة وكان حجمها تسع مئة صفحة، ورأينا رسالة دكتوراه لأستاذ لنا بلغت صفحاتها ثلاثة آلاف وخمس مئة صفحة.

علمًا أن الدرجة التي تُمنح للطالب على بحثه على أساس: أصالة البحث، وجدته، وحسن معالجته، ونوعية مصادره ومراجعه، وسلامة لغته، لا على الحجم،فهناك موضوعات تستوعب كثيرًا من الصفحات ولا سيما الأبحاث الأدبية والتاريخية والقانونية، إلى جانب أبحاث تكتفي بالحد الأدنى من عدد الصفحات كالفيزيائية والرياضية والاقتصادية.

اختيار البحث:

من الضروري جدًّا في مرحلة اختيار البحث أن يستعين بأصحاب الخبرة: كالعلماء وأساتذة القسم، ومن سبقوه في هذا المضمار، فقد يفتحون له منافذ، أو يدلونه على قنوات اتصال،وعليه أن يوجِدَ علاقة ودية ولطيفة مع بعض الجهات ذات العلاقة ببحثه كموظفي مكتبة الجامعة، والمكتبة الوطنية، وبعض

موظفي الوزارة.

ولعل مرحلة اختيار البحث أصعب المراحل وأهمها، وفوزه بها يعني أنه دخل ميدان الدكتوراه، وبقي عليه وقت كي ينال الدرجة العلمية،وهي مرحلة طويلة وشاقة، وتحيج الطالب إلى التحلي بالصبر والثبات والمتابعة،فهو يريد أن يظفر ببحث مبتكر، وذي أهمية علمية، يسد فجوة في حقل العلم الذي يعمل من أجله، ويخدم به الوطن، وذات سوق رائجة حين يريد طبعه،على أن يكون قادرًا على معالجته، ويبرز به شخصيته العلمية، وتتوفر له المصادر والمراجع والدوريات.

فإذا توقف الطالب عند الحديث عن المظانِّ فعليه أن يدقق التمحيص؛ لأن المصادر المبذولة تحقق له النجاح، وتهديه إلى نقاط أجاد المؤلفون قبله، ونقاط قصَّروا فيها،وعليه الاستفادة من الإيجابيات والسلبيات؛ فالإيجابيات تغذيه والسلبيات تلهمه إلى المناقشة ووضع البراهين لدحضها.

وعليه أن يتنبه إلى البحث إذا كان له جانب عملي، ويتطلب إحصاءات، ونسبًا، واستثمارات، ويفكر جديًّا بإمكانيته قبل إقناع نفسه بالموضوع الذي وقع عليه الاختيار،**ولاختيار البحث طريقان:**

١ - طريق يختاره الباحث لنفسه، ويمتاز بطول مدة البحث والمعاناة التي سيكابدُها،وقد يمتد البحث عن البحث العلمي المناسب بضعة شهور، يتنقل خلالها من مكتبة إلى مكتبة، ومن رفّ إلى رف، بصبر وأناة وهمّة، تنوء بها الجبال. وكلما عثر على بحث سأل المظانَّ عنه وعن بكريته وجودته،فإذا تكشَّف له بصيص نور توجه نحو أستاذه وهو يدعو ربه بقلبه أن يلهم المشرفَ بالرضا،فإذا وافق أشرف عليه، دفعه إلى مرحلة الإعداد والاستعداد لوضع المخطط اللازم.

وإن لم يره المشرف مناسبًا، أو مسبوقًا، أو أن تلميذه لا يقدر على الصمود فيه اعزفَه عنه، وطالبه بإعادة الكَرَّة في البحث،ويعود الطالب إلى صبره ونبشه، إلى أن يظفر بموضوع يناسب هواه، ويقدر على تذليل صعابه، ويرضى مشرفه -بالتالي- عليه.

والطريقة لطالب الدكتوراه لاختيار الموضوع، هي أن يختار له مشرفه الموضوع،فقد يرأف المشرف بطالبه فيحدد له الموضوع من ثقافته الواسعة وهذا يريح الطالب كثيرًا، ويُكسبه وقتًا ثمينًا، ويجعله أقرب إلى أستاذه.

وقد نجد أستاذًا مشرفًا يركز على عدد من الموضوعات يكمل بعضها بعضًا؛ فيعطي واحدًا المدح عند أبي تمام، وآخر الوصف الحربي، وثالثًا الغزل، ورابعًا الصورة الفنية، وخامسًا تقييم الفكرة.. وبذلك تتم دراسة أبي تمام بإشرافه،والمشرف هنا يحرص على إنجاز عمل كبير بتوزيعه على تلامذته المقربين.

المهم أن طالب الدكتوراه له حق اختيار الموضوع، لكن ليس له حق المباشرة في العمل به ما لم يجد المشرفَ الذي يوافق على إشرافه وعلى بحثه، بناء على المجالس الجامعية المتخصصة،وهذا هو الفارق الكبير بين الباحث الحر وطالب الدكتوراه.

مخطط البحث:

عندما يوفق إلى البحث، ويحظى بموافقة أستاذه المشرف، تبدأ مرحلة جديدة من القراءة والتمحيص، ومراجعة الكتب التي تهديه وتنير له الطريق لكتابة المخطط، وتسجيل أسماء المصادر والمراجع والمجلات والدوريات التي سيستمدُّ منها نقاط المخطط.

حتى إذا أنجز المخطط التمهيدي، ويتضمن الخطة الأساسية للعمل، وأسماء المظانّ التي جمعها لخدمة موضوعه، قدمه لأستاذه المشرف كي يبدي رأيه، وينتظر حينًا،ويحق للطالب في هذه الأثناء أن يقرأ، وأن ينسل المعلومات، ولكن لا يحقّ له المباشرة بالكتابة إلا بعد أخذ موافقة المشرف على المخطط، وكثيرًا ما يعدِّل المشرف المخطط أكثر من مرة، كي يطمئن إلى سلامة العمل؛ لأنه سينتهي باسمه.

وبعد ذلك يُرفع المخطط إلى مجلس القسم المختص ليصدر قراره النهائي بالموافقة،وهذه ظاهرة صحية وصحيحة؛ فقد يضيف بعض الأساتذة فكرة، أو يقترح تغيير فصل أو تقديم فصل على آخر،وكل ذلك لخير البحث،ثم يرفع إلى مجلس الكلية فمجلس الجامعة.

ويبدأ الطالب بعمله الجاد تحت عين المشرف،وقد يكتشف الطالب وهو يقرأ نقاطًا أغفلها، ويجب أن تضاف إلى البحث،فيعرضها على مشرفه، فإن رأى المشرف صواب رأي تلميذه سمح له بإضافتها،وهذا يعني أن بنود المخطط التمهيدي ليست قانونًا لا يمكن اختراقه،وفي العادة يتم هذا التغيير بعد مرور شهور من العمل، ذلك أن المخطط الأول كتب في مرحلة شبه نظرية، والآن صار بإمكان الطالب أن يتحرَّك علميًّا أكثر.

علمًا أن الطالب لن يغير في البحث تغييرًا جذريًّا، بل سيضيف أشياء، أو يقدم أمورًا على أمور، على حسب ما تقتضيه المصلحة العلمية، بعد استشارة أستاذه المشرف طبعًا،ولهذا كان لقاء الطالب بأستاذه بشكل دوري مفيد جدًّا، ومن الخطأ الكبير التقصير فيه،كما أن هذه اللقاءات المتابعة تريح المشرف، وتقلل من عنائه فيما بعد.. في مرحلة قراءة الفصول.

مرحلة ما قبل الكتابة:

١- هي مرحلة طويلة ينسل الطالب فيها النصوص والشواهد الموثقة على البطاقات، وإنزالها في قنواتها الخاصة بحسب الأبواب والفصول، واستخدام البطاقات الخاصة بأسماء المصادر والمراجع التي تمت الاستفادة منها،ويظل الطالب يجمع البطاقات وينزلها في مواضعها من المخطط حتى تكتمل هذه المطالعة.

فيعود ثانية إلى تقليب البطاقات، والتأكد من مواضعها،فقد يجد بطاقة تسللت إلى مكان غير مكانها، أو قد يجد بطاقة مكررة، فعليه أن يسقطها من الحسبان، كي يخفف قلقه واضطرابه،وأذكر أن طالبة جاءتني وهي في غاية الارتباك تشكو إليَّ كثرة البطاقات بين يديها،فنصحتها بأن تعيد قراءة البطاقات، وتُسقط المكرر، وغير اللازم منها،فكان أن ارتاحت حين أسقطت ما يقارب ثلث البطاقات.

هذه المرحلة مهمة جدًّا تشبه المرحلة التي تصادف الطبيب الجرّاح الذي يريد إجراء العملية،فعليه أن يشرف بنفسه، أو يشرف مساعده على تجهيز كل شيء في غرفة العمليات.

فليس من الضروري أن يحشو رسالته بكل ما جمع من باقات، ويحشُرَ ما ليس له ضرورة،يكتفي من بطاقاته ما يجعل البحثَ متكاملاً،وله أن يحيل القارئ في الحاشية إلى مصادر أخرى يذكرها في الحاشية، ويقول: «لمزيد من المعلومات انظر الكتاب..» أو «انظر الديوان..».

إن إنزال النصوص الموثقة ضرورة ملحة لإثبات برهان أو دحض رأي، لكن الإكثار منها يخلُّ بجمالية البحث وعلميته، وما يُسقطه مما ليس له ضرورة

يجعله يتلافى النقد الذي يلاحقه في جلسة المناقشة،فالحسناء التي تجلس إلى المرأة تحتاج إلى لمسات طفيفة هي تعرفها لتُبرز جمالها،لكن الإكثار من الألوان والمساحيق يشوِّه جمالها ويُفقد نضارتها.

ولكن عندما يقرِّر إسقاط البطاقات، لابد له من الإبقاء على ما نقل من المصادر أولًا، وما يؤيده في ما يذهب إليه ثانيًا، وهو الشاهد الأساسي،ومع ذلك فلا يرمِ البطاقات المكررة ولا الثانوية، فقد تلزمه في موضوع آخر.

٢- وعلى الطالب أيضًا في هذه المرحلة أن يعدَّ الورق اللازم لتسويد البحث،والورق لتبييضه،كما عليه أن يجهز أقلام المسَوَّدة، وأقلام المبيضة وأقلامًا رفيعة سَيَّالة لضبط الشواهد.

٣- وبإمكان الطالب أن يجهز على بطاقاتٍ محادثاتهِ الشفهية مع من قابلهم من العلماء والأساتذة والمتخصصين، ويسجل ما كان استمع إليه في محاضرات أساتذة القسم في مرحلتي الإجازة العامة والدبلوم،ولكن عليه أن يستأذنهم جميعًا، فمن لا يوافق لا يجوز له أن يذكر قوله،وإلا أنكر قوله، فجعله يدلِّس عليه.

٤- أن يتأكد من نفسه أنه ثقَّفَ نفسه تثقيفًا كاملًا؛ ثقافة خاصة بكل ما يلزم البحث الذي يريد أن يكتبه، وثقافة عامة تشمل تاريخ المرحلة، والمجتمع الذي عاصره البحث، وجغرافية الوطن وبيئته،فهو قبل أن يعالج موضوعًا للمتنبي يجب أن يقرأ ديوانه وما كُتِبَ عليه في عصره وبُعيده، وهذا ثقافة خاصة،ثم يدرس وضع مجتمع الشام، والأمراء الموجودين في زمان المتنبي، وحلب والإسكندرونة، وبني حمدان، ومذهبهم، وكافورًا وبني إخشيد ومصر، ثم بني بُويه وعضد الدولة، والخلافة العباسية، وهذا ثقافة عامة ولكنها أساسية.

٥- وعلى الطالب أن يرجع إلى الموظف المسؤول لأخذ التعليمات في أمر كتابة الرسالة، ويسأل زملاءه الذين سبقوه عن شروط الكتاب، وعدد الصفحات والفصول كي يأخذ بحسبانه كل شيء حتى لا يطيل في مواضع ويختصر في أخرى؛ لأنَّ الزيادة تؤخذ عليه، وتزيد من الأخطاء، وتكون مبعثًا لطعن اللجنة.

وعليه أن يسيطر على قمله، ويكبح زمامه، كي يعدل في الكتابة والمعالجة.

مرحلة الكتابة:

يفترض بطالب الدكتوراه بعد تلك الرحلة الطويلة بين الكتب أن يكون أسلوبه قد استقام، وأن قلمه قد لانَ وغدا مطواعًا،فهو إن أحسَّ بأنه مازال يخطئ - وكلنا نخطئ- فليقوِّمه بدراسة بعض الكتب النحوية الأساسية مثل جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني، وأن يبحث عن كتب العثرات، وكتب الإملاء ليجعل أسلوبه سليما لغويًا.

ومهما كان اتجاه الرسالة: أدبية، رياضية، اقتصادية، طبية.. فلابد أن يكون الأسلوب سليم التراكيب خاليًا من العثرات الإملائية واللغوية والأخطاء الشائعة،أما إذا كانت الرسالة أدبية أو لغوية فيجب أن يكون الأسلوب جميلًا، جزلًا، رصينًا، فالثوب يجب أن يلائم من تزور.

كما لا يجوز له في البحث العلمي ولا في رسالة الدكتوراه أن يوجز كلامًا كثيرًا حتى يصبح غامضًا، ولا أن يعمد إلى الإسهاب، حتى لا يملَّ القارئ.

كما أن الاستطراد مرفوض قطعًا؛ فهذا يضعف من تماسك البحث، ومن تلاحم أجزاء الموضوع، ويُحدث فجوةً وقلقًا في كتابة الطالب، هو في غنى عنها.

فالرصانة، والجدية، والوسط سلاح طالب الدكتوراه،وهي التي تدفع

القارئ إلى أن يتابع القراءة، وينسجم مع ما يقرأ.

وتبدأ مرحلة الكتابة مع الطالب في البدء عسيرة، لكنها سرعان ما تسهُلُ، وتصبح منقادة إلى أفكاره،فالفصل الأول قد يطول بين يديه ثلاثة أشهر أحيانًا، لكن الفصل الثاني قد يكتب بأقلَّ من ذلك، ويقلُّ أكثر من الفصول بعدهما؛ لأن القلم تدرَّب، والجرأة قد انجلت، والمفردات اللازمة تلاحقت،ويَزداد الطالب انفتاحًا أسلوبيًّا حين يبشره المشرف بموافقته الأولى على ما يقدمه أول مرة.

وحين يسمح له أستاذه بالكتابة يجلس أمام بطاقاته التي كان قد راجعها ورتبها موضوعًا موضوعًا، وفكرة فكرة،وقدَّم ما حقُّه التقديم، وأخَّر ما يجب تأخيره. يمد بطاقاته الأولى، فينشرُها على طاولة واسعة أولًا بأول، ثم يبدأ مستعينًا بالله على فتح بصيرته، ومنحه السهولة في كتابته،فإذا بالعسر يصبح يُسرًا، وبالعُتوِّ والصلابة تغدوان ليونة وطواعية.

ولكن من أين يبدأ؟ وكيف يبدأ؟ وقد يمزق الورقاتِ الأولى غير مرة،وعليه أن يصبر إلى أن يفتح الله عليه، ويسهِّل السبل، ويُغدق الخواطر، فإذا بالقلم يتراقص بين أنامله، ويأتيه الفتح والنصر.

وعليه وهو يكتب ويعالج أن يُنزل الآراء التي نسلها، والشواهد المؤيدة التي أعدَّها في مكانها من كتابته،وعليه أن يستعدَّ نفسيًّا، ويتفرَّغ للكتابة كليًّا حتى لا يعتريه الشتات،فالأفكار جاهزة في دماغه، والنصوص الموثقة ثابتة في مخيلته، والبطاقات مُشرعة أمام ناظريه،فينسى كلَّ ما حوله من هواتف، وموسيقى، وتلفاز.. نهائيًّا.

إنه في حضرة الحبيب الذي عاشره نظريًّا شهورًا، وها هو ذا بين يديه مقبلًا عليه، فليقبل هو الآخر،ولا يجوز له أن يرفع رأسه عن محيا الورقات الناصحة

ليكحلها بسواد بحثه وعلمه،ولا يتوقف عن متابعة الكتابة إلا عندما ينتهي من مسألة معينة، أو ينتهي من فصل،وإلا فإنه سينسى إلى أين انتهى؟ وسيتعثر عليه البدء من جديد،فالجواد حين ينطلق تحت فارسه يستجيب لإشاراته ولمس أنشوطته،وإذا أراده الفارس أن يتوقف فعند الهدف وبهدوء.

وإذا توقف الطالب عند نهاية مرحلة كتابية لا ينسى إلى أين وصل ولا يضلُّ عن الفكرة الجديدة،وله عند التوقف أن يأخذ لنفسه راحة كاملة، يفعل فيها ما يشاء، فيتجدد نشاطه ليعود بكليته إلى متابعة الكتابة من جديد.

ويستمر الطالب على حاله هذه حتى ينهي الفصل كاملًا على المسوَّدة،فيتركه يومًا أو يومين، وينشغل بأعمال أخرى؛ ليعود إلى بحثه مشتاقًا،فيقرأ ما قد كتب ليطمئن إلى سلامة الفصل، وكي يربط هذا الفصل بالفصل بعده، وهذا ضروري ومهم،وسيرى الطالب أن هذه الطريقة النفسية، خير الطرق لكمال الفصل ولارتباطه بالذي يليه.

معالجة البحث ومناقشته:

تعتمد الرسالة الجامعية على طرح الأفكار ومعالجتها ومناقشتها،وهذا هو الأساس في البحث وبهما تبدو الرسالة متماسكة، وعلمية، ومقبولة والمناقشة صلب الموضوع، وهي أشبه بعقدة الرواية، التي تطرح الأفكار والآراء، ثم تعقِّدها وتشبكها فيما بينها، لتبدأ المرحلة الثالثة بحل العقدة وفكِّ تشابكها، بالخاتمة.

والمناقشة هي المحلّ الذي يقدح زنادَ الطالب لإبراز شخصيته وعرض مقدرته على معالجة نظريته الفكرية، والتي يساندها بالنصوص الموثقة والشواهد المؤيدة. وهي المكان الذي يصب الطالب فيه معلوماته، ويستقرئ ثقافته التي

يستلهمها في مكانها المناسب ليظهر براعته في الاستفادة من مصادره ومراجعه.

وإذا أراد الطالب أن يدعم رأيه بالأدلة -وهذا مطلوب حتمًا- يفضَّل أن يبدأ بأسهل الأدلة، ثم يُتبعه بالدليل الأقوى.. فالدليل الأول يهزُّ ثقة القارئ بما كان يعتقد. حتى إذا استعرض الدليل الأكبر مال إلى رأي الطالب، وغيَّر تصوُّره، وأيده في رأيه،ولكن لا يكثر من البراهين حتى لا يملَّ القارئ.

وهذه الفصول التي يدجِّجها هي حلبة الصراع الفكري لعرض الآراء وتفنيدها، وتصويبها وتأكيدها، أو ردِّها ورفضها بحُنْكة وحَصافة،وإنَّ مدار هذا النقاش هو الذي سينقله إلى النتائج التي يتوخَّاها، وما عقد بحثه إلا من أجلها، وهي اللبنات الثابتات في بناء رسالته الناجحة بإذن الله.

حواشي الرسالة:

لابدَّ للبحث العلمي من شواهد وتوثيقات وذكر لآراء منقولة من كتب أو مجلات،وهذا كله يحتاج إلى ذكرٍ للإحالات وإشارة إليه في الحواشي،والحاشية هي ما يكتب أسفل الصفحة من تعريف بعلم، وشرح للفظ، وذكر لمصدر استقى الطالب منه نصًّا، أو نسلَ شاهدًا،وترقَّم الحواشي على حسب ورودها في المتن،وهي غير الهامش الذي يعني أطراف الورقة الأربعة،ويتوهم كثير من الناس فيظنون الحاشية هامشًا.

ويجب ترك فراغ كاف في أسفل الورقة على قدر حاجة مسافات الحواشي والرقم الذي يذكر في المتن هو الذي يذكر في الحاشية،وعلى الطالب أن يترك مساحة أكثر من اللازم حتى لا يضغط على أسطر الحاشية فيشوهها،ويجب أن يَترك سطرًا فارغًا بين المتن والحواشي، ويَرسم عليه خطًّا بقدر ٥-٧ سم.

ولا يقلقنَّ الطالب من تزاحم الحواشي حين ينقل البحث للطباعة،فالعامل

أو الكمبيوتر يعرف ماذا يفعل! ولكن لا مانع من إجراء مقارنة بين أرقام المتن وأرقام الحواشي.

والمعلومات التي تكتب في الحاشية تمتاز بالإيجاز، كاسم الكتاب وصفحته أو شرح اللفظة الغريبة بلفظ مرادف،وإذا احتاج البحث إلى التعريف بعَلم أو بمذهب فليكن مختصرًا، والحواشي سند مهم لبيان جهد الطالب الباحث، والمناقش عادة ينظر إلى الحواشي قبل المتن؛ ليتأكد أن الطالب وضع السند، وأشار إلى المعتمد.

مقدمات الفصول:

على الطالب أن يمهد لكل فصل يباشر بكتابته ببضعة أسطر يشير فيها إلى أهمية الفصل ومضمونه، كي يتهيأ القارئ نفسيًّا إلى ما سيطالع،وبعد ذلك يخوض في الفصل عرضًا ومعالجة ومناقشة؛ ففي الحديث مثلًا عن فصل المديح عند زهير، يشير إلى أهمية المديح عند الشاعر، ومدى كثرته عنده أو قلته، ويذكر اسم الممدوح المحظيِّ بأكثر من غيره في قصائده المدحية، أو إلى الركائز التي ستكون معتمده في هذا الفصل.

وفي ختام الفصل يحسُنُ أن يوجز ما سبق ذكره بسطرين أو ثلاثة، يُجمل فيها ما سبق أن استعرضه وناقشه مفصلًا،كما عليه أيضًا أن يعدَّ القارئ نفسيًّا إلى الفصل التالي والذي هو الغزل مثلاً، فيقول: وبعد أن بسطنا القول في أوصاف الممدوح نتجه نحو أوصاف المحبوب عند الشاعر.

تسويد البحث:

لكتابة البحث طريقان لابد من استعمالهما؛ فالأول هو مسوَّدة البحث، والثاني تبييضه،ولا يمكن لطالب الدكتوراه إلا أن يكتب مسوَّدة البحث أولًا

وقد يسوِّده أكثر من مرة،ثم يعود إلى تبييضه، وكذلك قد يضطر إلى تبييضه أكثر من مرة لملاحظات منه أو توجيهات من مشرفه.

وإن كتابة البحث على المسوَّدة مهمة جدًّا؛ فقد يقدم الطالب فكرة، أو يؤخر نصًّا، وقد يخطئ فيشطب،وله مطلق الحرية في تسويد البحث بنوع الورق، ونوع الأقلام،**وهو سينشر البطاقاتِ أمامه،وهي نوعان:** بطاقات نصوص موثقة وشواهد، وبطاقات تتضمن الآراء الشخصية،وهو في تسويده البحث سيضم نوعي البطاقات إلى بعضها بعضًا، ويشير إلى ما يضيفه في الحاشية فورًا من غير إرجاء؛ لئلا ينسى بعضها، كما سبق أن أشرنا.

ولا عيب في التسويد، بل العيب في الخطأ في التبييض،وعلماؤنا الأقدمون كانوا يسوِّدون مصنفاتهم حتى إذا استقامت لهم شرعوا بتبييضها،وقد يموت العالم ولا يبيض ما سوَّد، أو تضيع المبيضة وتبقى المسوَّدة،وكثيرًا ما نقع في المخطوطات على قول بعضهم: «قرأتُ له مسوَّدة كتابه»، أو: «وترك لنا مسوَّدَة كتب فيها..»،**وأهم الملاحظات على التسويد أن:**

١- يُستخدم ورق المسوَّدة مسطرًا، حتى لا يختلَّ مسار السطور.

٢- يكون الورق من النوع السميك، غراماجه ٨٠٪؛ لأن الورق الرقيق يتقعَّر عند الكتابة، ولا سيما إذا كان القلم من النوع الناشف الخشن.

٣- يوسَّع الهامش الأيمن إلى حوالي ٤- ٥سم من أجل الإضافات إذا سها الطالب عن ذكر فكرة ما.

٤- يترك سطرًا ويكتب سطرًا للإضافات الصغيرة، مع وضع سهم لمكانها.

٥- يكتب على وجه واحد، ويترك الوجه الآخر فارغًا،وهذا مُلزم للطالب وبين البخل والكرم صفحات،فقد ينسى وهو يبيض أن يقلب الصفحة،

فيضيع ما دوَّنه، ويصبح العمل مبتورًا،وبالمناسبة فإن الكتابة على وجه واحد سُنة يجب أن يتبعها في البطاقات، وورق التسويد والتبييض، وفي طباعة الرسالة، باستثناء الطباعة.

٦- يترك فراغًا زائدًا لكتابة الحواشي؛ فقد يضيف ما لم يكن في الحسبان، أو ما يراه ضروريًّا،وعند التبييض ستحدَّدُ معه مسافة الحواشي.

٧- إذا احتاج إلى إضافة على الصفحة يكتب ما يريد ويضع له نجمة أو رمزًا،وإذا كان المضاف أكثر من سطر أو سطرين، ولا مجال لتدوين المضاف على الورقة قصَّ الورقة حيث وجوبُ كتابة الإضافة، ولصقها بجزء أبيض، ثم يعود إلى الكتابة،ولا ضيرَ من تغيير الورقة كلها ليعود إلى كتابتها من جديد،فقد كنا نغير الورقة كلها إذا شطبنا كلمة؛ قبل زمان ظهور المصحِّح.

ويستمر الطالب على تسويد الفصل حتى النهاية،ثم يعود ليتأكد إذا أنقص شيئًا، أو سها قلمه عن كتابة فكرة كانت في ذاكرته أو في إحدى بطاقاته،وقبل أن ينتقل إلى مرحلة تبييض ما سوَّد، يقرأ ما أمامه قراءة ناقد فاحص،وله أن يشطب، ويضيف ما يريد،فما كتبه مسوَّدة قابلة للتعديل.

وننصح الطالب في عملية التسويد ما نتبعه في أبحاثنا كسبًا للوقت الثمين، وحرصًا على الدقة المطلوبة،فقد يصادف بطاقة حافلة فيها نص من كتاب، أو قطعة شعرية، أو بعض آيات قرآنية، ننصحه بأن يلصق البطاقات بدبوس أو لاصق في المكان المطلوب،حتى إذا وصل إليها في مرحلة التبييض نقلها من البطاقة مباشرة هي والحاشية الخاصة بها.

تبييض البحث:

على الطالب أن يعتني بخطه، ويضع نقاط الحروف في مواضعها

الصحيحة، ويستخدم علامات الترقيم بكل دقة،ويباشر بنقل ما سَوَّد على ورق صقيل مسطر، ويراعي أول المقطع بدخوله اسم، ويبدأ بالعنوان الرئيسي بالسطر الثالث من الورقة في وسط السطر، وبحرف أكبر من الأسطر العادية،وعليه أن يترك فراغًا ٣سم دائمًا في أطراف الصفحة الثلاثة، أما الطرف الأيمن فيجب أن يجعله ٤ سم لكي يتسنى للمشرف إضافة ما يراه مناسبًا.

ويباشر التبييض بتأنٍ يدل على احترامه للأستاذ المشرف،وليكن كريمًا بالفراغات بين الكلمات، ولا يحشر كلامه حشرًا، ويراعي مسافة كافية للحواشي، بأن يعدَّ الأسطر التي سيكتبها في الحاشية، ويزيد سطرًا أو سطرين.

ويجب أن يقرأ المبيَّضة أكثر من مرة،ثم يطلب من أحد زملائه الغيورين عليه أن يقرأ الفصل، ويضع ملاحظاته بالرصاص،فيصوِّب ما يراه صائبًا بالمصحح الأبيض (الكوريكتور)، أو بلص ورقة على سطر أو سطرين إذا احتاج الأمر إلى ذلك،وهذا الورق موجود في المكتبات أو في المطابع، وهو ذو لون أبيض ملصق على ورق أصفر،فيقص ما يحتاج إلى لصقه، وينزع الورق اللاصق عن الورق الأصفر ويضيف ما يشاء،وهذا اللصاق لا يظهر حين تصويره،وحين يطمئن الطالب إلى سلامة الفصل المبيض يقصد مشرفه ويقدمه له لبيان رأيه.

الأستاذ المشرف:

هو أحد أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة،وحتى يُسمح له بالإشراف يجب أن يكون برتبة أستاذ، وقد يقبل المختص إذا كان أستاذًا مساعدًا،وقد تعين الكلية لطالب الدكتوراه مشرفين، يكون الأول هو الرئيس وبدرجة أستاذ، والمشرف المساعد يكون أستاذًا مساعدًا،ويستشار المشرف الأول في بعض الأمور وأخذ الموافقة النهاية منه، بينما يكون اتصال الطالب بشكل دوري بالمرشد المساعد.

ويرتبط الطالب بأستاذه المشرف حتى قبل صدور قرار المجالس المختصة بتعيينه، أي يتصل به منذ مرحلة اختيار الموضوع والاطلاع على المصادر اللازمة. ويشترط بالأستاذ المشرف أن يكون اختصاصه مطابقًا لاختصاص بحث الطالب، أو قريبًا من اختصاصه،وفي بعض الجامعات المتقدمة يمكن للمشرف ألا يكون اختصاصه من اختصاص البحث، ولكنه بلغ مرحلة الأستاذية؛ لأنهم يفترضون أن «الأستاذ» بلغ مرحلة من التوسع العلمي بما يؤهله أن يشرف على أي موضوع من موضوعات دائرة القسم، ذلك أن الإشراف توجيه،وقد حصل أن أشرف أستاذ في الأدب بجامعة دمشق على موضوع في النحو، وكان البحث ناجحًا.

ومهمة المشرف أن يكون أولًا قدوة لتلميذه في الهمة، والصدق، والشخصية،وأن يوجه طالبه إلى أنواع المصادر والمعارف والثقافات التي تلزمه، والكتب التي يحسُن أن يراجعها ويطلع عليها قبل غيرها،وله أن يكلفه بحضور محاضرات بعض الأساتذة المشهور لهم بالمقدرة والكفاءة،وقد يسمح له بأن يلقي محاضرة أو أكثر على طلاب مرحلة الإجازة بقصد التدرّب، وكسر حاجز الرهبة العلمية عند الطالب.

وإذا كان بحث الطالب يحتاج للاطلاع على بعض المراجع الأجنبية عَيَّنها له وطالبه بالاستفادة منها،وكنا نجيز للطالب -في حال عدم إجادته للغة المطلوبة- بأن يستأجر من يترجم له الفصول المطلوبة،المهم أن يتعرف إلى رأي بعض علماء الغرب، ولا سيما في الموضوعات العلمية والطبية وعلم اللغة والفونوتيك.

ويعين الأستاذ مشرفًا رسميًّا إذا وفق على الإشراف ولديه الوقت الكافي الذي يمنحه لطالبه، على ألا يكثر عن عدد طلابه حتى يتسنى له خدمتهم

وتوجيههم علميًّا،لكن بعض الأساتذة عندهم هوس بالإكثار من عدد من يشرف عليهم، من باب التباهي والاعتزاز.

على أن بعض الجامعات حدَّدت عدد طلاب كل أستاذ بما لا يزيد على الستة،وعلى السابع أن ينتظر دوره بالاتفاق مع أستاذه إلى أن يناقش أحد الستة.

وحين يبدأ الطالب بمرحلة الكتابة -بعد موافقة المشرف على ذلك- يصبح اللقاء كلما أنجز فصلًا، أو تسلَّمَ الطالب فصلًا، ويجب أن يكون الأستاذ المشرف مخلصًا في مطالعة ما يدفع إليه طالبه من أعمال بالمطالعة، والتصويب والتوجيه؛ لأن جزءًا كبيرًا من نقد لجنة المناقشة يصبُّ على المشرف بشكل غير مباشر؛ لأنه سمح له بالكتابة والطبع، وفي العمل ثَغَرات.

ولا يجوز للأستاذ المشرف أن يضع بصماته الفكرية على رسالة الطالب، بل عليه أن يبرز شخصية الطالب وقدرته العلمية،كما لا يجوز أن تُطبع الرسالة بطابع المشرف، ولا أن تُظهر نَفَسَه العلمي، وتمحو شخصية الطالب وثقافته،بل يساعد طالبه ليُظهره بأنه الكاتب وأنه المؤلف، وأنه صاحب الآراء فيها،وما المشرف إلا حكَم اللعب، واللاعبون هم الذين يفوزون ويخسرون.

هذا، وإن دور المشرف في الرسالة عظيم الأهمية؛ لأنه يرافق طالبه ويتابعه منذ مرحلة اختيار البحث ووضع المخطط التمهيدي إلى مرحلة ما بعد المناقشة فعليه أن يقرأ كل ما يكتبه الطالب، بدءًا من صفحة العنوان، والشكر، والإهداء، والمقدمة، والتمهيد، والفصول، والخاتمة،بمعنى أنه لا يجوز أن يغفل سطرًا من المتن والحاشية، ويضع له الملاحظات الدقيقة والثانوية بشكل واضح وقلم مغاير حتى يراه الطالب.. وملاحظاته تقع على الشكل، والفكر، والأسلوب.

ثم يستدعي طالبه ويشرح له ما ينبغي له أن يفعل ويعدِّل، ويطالبه بالتصحيح، ثم يعاود قراءة الفصل ويتأكد من تصويبه وتعديله ليطمئن إلى سلامة عمل الطالب،ولا يُستبعد أن يشاركه التفكير في بعض مشكلاته الخاصة ليريحه ويبعد ذهنه عن أمور تؤثر سلبًا في عمله العلمي.

حتى إذا انتهى الطالب من كتابة الرسالة كلها، وراجع الأستاذ المشرف العمل كاملًا، يرفع كتابًا إلى رئيس مجلس القسم يخبره فيه أن طالبه أنجز بحثه بإشرافه وأن بحثه صالح للمناقشة، ويُشفعه بتقرير موجز لمضمون الرسالة،ويقترح أسماء المناقشين وعددهم أربعة، اثنان أو واحد من خارج الجامعة؛ من جامعة أخرى، أو من وزارة تُعنى بهذا الاختصاص، إضافة إلى المشرف،ويجب أن يكون العدد فردًا في الدكتوراه والماجستير لتحقيق التصويت العادل.

* * *

هيكل الرسالة

مع أن لكل رسالة جامعية خصائصها، فإن هناك أساسيات لا يجوز للطالب أن يتخطَّاها، أو يقصر فيها، أو يغير منها؛ لأن هذه الأساسيات تفرضها الجامعات على طلابها.

وسنتكلم فيما بعد على أساسيات هيكل الرسالة الرسمية، ونعرف من ورائها أمورًا تخدم طالب الجامعة وتوسِّع أفكاره، وتوصله إلى مرحلة الكمال بإذن الله:

١- **صفحة الغلاف:** تكون من الورق المقوّى الأبيض غالبًا يكتب عليها عنوان الرسالة الجامعية بخط كبير وواضح وسريع القراءة،ويُبتعد عن الخطوط الحديثة المتداخلة، وحتى الكوفي،وسيأتي حديثنا عن العنوان.

- وفي أقصى يمين الغلاف شارة الجامعة المانحة، واسمها واسم الكلية وتحتهما اسم القسم العلمي الذي أشرف على الرسالة.
- وتحته في وسط الصفحة اسم المشرف ولقبه العلمي، والقسم الذي يعمل فيه.
- وتحته اسم الشهادة التي قدم البحث لها لنيلها.
- وتحته اسم الطالب الذي أعدَّ الرسالة، من غير أي لقب علمي.
- وتحته في أسفل الغلاف السنة الهجرية وما يقابلها بالميلادي التي قدمت فيها الرسالة:

١- عنوان الرسالة:

إن التفكير بصياغة عنوان رسالة الدكتوراه قديم قدم تصميم الطالب على العصر أو الموضوع الذي يريد أن يشتغل به،فمنذ استقر الطالب على موضوع معين ووافق عليه مشرفه، توجَّبَ عليه أن يختار عنوانًا جذابًا، قصيرًا لا يتعدى ثلاث كلمات أو أربعًا، شاملًا الموضوع المراد كتابته، مبتعدًا فيه عن الكلمات الرنانة، والمعاني الصارخة؛ لأن الطالب يقدم بحثًا أكاديميًّا، يشرف عليه ويناقشه أساتذة أكاديميون ولكنه في الوقت نفسه يجذب المناقش والقارئ،ويغري الشاري حين يطبع الرسالة بكتاب.

ومن جملة العنوانات الجذابة لبعض الرسائل: «الإنسان في القرآن»، «شخصية الفارس في شعر أبي تمام»، «الألوان عند الشعراء العميان»، «الخطابة في شعر الصحابة»، «شعر الجهاد في الحروب الصليبية».

ولا شك أن صناعة العنوان مهمة ذكية صعبة، تحيج طالب الدكتوراه إلى التأنيِّ، والتفكير، والتخير،ولا بأس من استشارة الآخرين،شريطة ألا يخرج العنوان عن مضمون الرسالة، ويوافق عليه المشرف حتمًا.

ويفضل عدم إطالة العنوان وذكر جزئيات عليه، بحيث يصير سطرين،كما يرفض العنوان -والبحث معه- إذا أدخل الطالب عليه كلمات مثل: الوجيز، دراسات، حول.. لأن البحث العلمي يحتاج إلى عنوان رصين جامع، بعيد عن فكرة الشتات واللمحات.

الصفحة بعد الغلاف:

هي الصفحة الأولى التي تلي الغلاف وتسمى Title Page،ويكتب فيها ما سبق ذكره على الغلاف: (اسم الجامعة والكلية التي ستتم المناقشة في رحابها

وفي أحد مدرَّجاتها والجامعة التي تمنح اللقب، والكلية هي التي تجري جلسة المناقشة).

ثم يذكر اسم المشرف ولقبه، وتحته اسم الدرجة العلمية التي يُتوقع نيلها بعد المناقشة (ماجستير أو دكتوراه).

ثم اسم الطالب الذي أعدَّ هذه الرسالة على أمل نيله الشهادة.

ثم السنة الهجرية وما يقابلها في العام الميلادي.

مع ضرورة مراعاة المسافات بين السطور حسبما تشترطه الجامعة،وللطالب أن يسأل الموظف المختص، أو يقيس الأبعاد لرسالة سبق أن نوقشت، وحاز الطالب بها درجته العلمية،ولا ترقم هذه الصفحة ولا صفحة الغلاف، ولكن يحسب حسابها في العدد.

٣- صفحة الإهداء:

هي الصفحة الثانية،في العادة يهدي الطالب الرسالة لوالديه، والمتزوج لزوجته، والمتزوجة لزوجها؛ اعترافًا بالجميل والفضل، والدعاء، ومشاركته على الصبر،وقد يهديها الطالب لأحد أساتذته وأصحاب الفضل عليه،وأذكر أن أحدهم أهداها لنفسه؛ لأنها الوحيدة التي تعبت معه خلال هذه السنوات.

٤- صفحة الشكر:

هي الصفحة الثالثة، وللطالب أن يقدم هذه الصفحة على صفحة الإهداء ويجب أن تكون هذه الصفحة موجزة الكلمات مثل صفحة الإهداء،يذكر فيها اعترافه بجميل كل من أسهم في إنجاح الرسالة، أو كان عونًا في مسيرة العمل.

ويمكن للطالب أن يذكر عدة أشخاص فيها، لكن الاسم الأول يجب

أن يكون للأستاذ المشرف، والذي لولاه لما كان لهذه الرسالة وجود، ولما كانت نجحت هذا النجاح،ويلي ذلك لجنة المناقشة التي كابدت في قراءة الرسالة، وعانت من دراستها واستخراج النصائح والإرشادات له، ولن ينسى فضلهم، وسيضع ملاحظاتهم تاجًا علميًّا على رأسه.

وله بعد ذلك أن يشكر الأصدقاء والمحبين والزملاء وموظفي المكتبات والمؤسسات التي ساندته في بحثه العلمي.

٥- صفحة فهرسة الرسالة:

أو الفهرست، أو مسرد المحتوى، أو.. وكلها مقبولة وصحيحة،وقد اصطلح علميًّا في رسائل الماجستير والدكتوراه وضع مسرد المحتوى في مطلع الرسالة، ليطلع عليه المطالع، ويعرف المخطط الذي يضم الرسالة،وهذا يعني أن مسرد المحتوى يطبع بعد طباعة الرسالة كاملة، بدءًا من الصفحة ١ وحتى النهاية،ويضم مسرد المحتوى بضعَ صفحات، ولا بد قيدَ يحدد عددها.

يسجل الطالب كلَّ ما بعده، ولا يسجل ما قبله (كصفحتي الإهداء والشكر)، ويعرض مجمل محتويات الرسالة: المقدمة، الأبواب، الفصول التي تضم كل باب، وتفرّعات كل فصل، والعنوانات الجانبية، والثانوية مع وضع رقم كل عنوان في أقصى يسار السطر، بشكل دقيق.

ويرتب العنوانات الفرعية بدخول (١) سم عند أول السطر،وإذا كان لهذه العنوانات الفرعية أرقام فرعية يدخل بعد (١)سم السابق فراغًا آخر ليعرف أن هذه تابعة لما قبله، ويرقمها بـ (١-٢-٣)، أو بالأحرف الأبجدية (أ-ب-ج-د..). وكل رقم يجب أن يكون تحت الرقم السابق تمامًا.

وحين ينتقل الطالب في عرض محتوى رسالته إلى فصل جديد يذكره من أول

السطر مع ذكر رقم الصفحة،ثم يضع بعد نقطتين (:) ليشرح مضمونه،ثم ينتقل إلى الفصل الذي بعده ويبدأ به من أول السطر أيضًا وبعده (:) .. وهكذا في كل فصل.

أما: الملخص، والخاتمة، وثبت المصادر، لكل واحد يكتب على سطر وحده مع رقم الصفحة في أقصى اليسار.

ففي الرسالة إذًا نوعان من الترقيم:

أ- **ترقيم أبجدي للصفحات الأولى**، وكل ما سبق سرد المحتوى، يرقم بالأحرف الأبجدية؛ ليتميز من أرقام صفحات الرسالة،وبعضهم لا يرقم هذه الصفحات، ويجعلها غُفلًا.

ب- **ترقيم بالأرقام**: بدءًا من المقدمة والذي هو رقم ١ بالأرقام، والسائد هو استخدام الأرقام المشرقية (١، ٢،)٣... وبعضهم يفضل الأرقام المغربية -لا الغربية- (١، ٢، ٣)... وكلاهما صحيح، وكلاهما هندي.

وبعد المقدمة (وسيأتي تفصيله) يضع ورقة بيضاء يكتب عليها الباب الأول وتحته عنوان الباب، أو الفصل الأول وتحته عنوانه،وقد لا يضع بعضهم رقم الصفحة ولكن يحسب حسابها، وهو صحيح.

٦- مقدمة الرسالة:

تقع مقدمة الرسالة أول شيء بعد الفهرسة مباشرة، وصفحتها الأولى ذات رقم (١)، وهي في العادة تكتب آخر شيء، ولكنها توضع أول شيء، ويكون الطالب قد خصص بعض البطاقات المقدمة، ويكتب كل فكرة تخطر بباله على بطاقة،وحين يزمع كتابة المقدمة، يرتب البطاقات أولًا بأول،وإضافة إلى المقدمة يذكر مختصر الرسالة.

ويعرف الطالب فيها أولًا بموضوع بحثه، ومدى أهميته، وأصالته، ويستعرض مجمل البحث بعدة صفحات، يشرح فيها مضمون التمهيد والفصول واحد تلو الآخر،ويجب أن يكون الكلام فيها رسميًّا، وجادًّا، وبعيدًا عن الأمور العادية التي تكتب أحيانًا في مقدمات الكتب،وتكون بحدود خمس مئة كلمة وحتى الست مئة.

يبدأ الطالب بالحديث عمن سبقه من الباحثين، ويعدد بعضًا من الكتب المطبوعة، ويشير إلى أهم إيجابيات هذه الأبحاث، وإلى أهم النقاط التي أغفلوها، مما اضطر الباحث إلى التصدي والاستعداد لسدِّ الثُّلم التي يراها ناقصة بهدف الوصول إلى كمال البحث.

وينوِّه بالجديد الذي جعله نُصب عينيه بعد اطلاعه على أعمال من سبقه،ويفضل أن يذكر آخرَ ما صدر من أبحاث مع سنة النشر؛ ليطمئن مُطالع الرسالة إلى أن الباحث يتتبع خطوات البحث بكل دقة وأمانة،لكن نقده لهذه الكتب والأبحاث يجب أن يتصف بالأمانة، والمصداقية، وبأدب وتقدير لكل من أدلى بدلوه في خدمة هذا الموضوع،وإنه سيقوم برأب الصدع، وإتمام المسيرة، والظروف التي تهيأت له في إيجاد هذه الإضافة.

ويسجل الباحث هدفه من هذا البحث، والفائدة المرجوَّة منه، والمعوقات التي جابهته، وصبره على تذليلها أو تذليل معظمها، مع تحليل وشرح لكل ما يشير إليه مع ذكر الأسماء الضرورية.

ويشير إلى الحصيلة العلمية التي توفرت من المصادر والمراجع الجديدة، والمقابلات والإحصائيات التي أجراها، والتي كان لها دور حميد في تغذية البحث.

ثم ينتقل إلى استعراض الأبواب والفصول واحدًا تلو الآخر، ويعرف بمضمون الفصول بحدود ثلاثة أسطر أو أربعة بشكل موجز ومفهوم،ثم ينتقل إلى النتيجة التي كان يرتقبها، وأهمية هذه النتيجة التي توصل إليها.

ولا مانع -بل يفضل- من أن يعرف ببعض المصطلحات العلمية التي أوجدها البحث ضرورة، حتى يدرك المطالع مسبقًا معاني هذه المصطلحات،كما عليه أن يذكر مجمل الإحصائيات، ويشير إلى الاستمارات التي استخدمها، وجدواها، والتقنيات التي استخدمها.. إن وُجد مثل هذا في بحثه.

على الطالب أن يتحدث بثقة واعتزاز ولكن من غير كبرياء وفخار، ولا يعمد إلى الخنوع والتواضع،وعليه أن يتمثل الأسلوب الوسط في كل شيء.

وخيرُ ما يبدأ به الطالب في مقدمته البسملة والحمدلة والشكر للباري الوهاب الذي منحه الصبر والثبات، والشرف العظيم الذي هيأ له السبيل،ولا مانع من أن يختم مقدمته بالشكر لله والصلاة على نبيه المصطفى.

٧- خلاصة الرسالة- Con clusien:

من الضرورة بمكان، وعدم ذكرها يعد ناقصًا، ذكر خلاصة الرسالة بعد ختام الرسالة تمامًا،يذكر الطالب موجز ما سبق ذكره، وعصارة الأفكار، وسلامة النتائج، والأساسيات التي خرج بها من هذا العمل المضني.

وقد يذكر فيها المغاليق التي لم تنفرج له على سعيه ودأبه، والمقترحات التي يقترحها بما يخدم الموضوع بشكل عام.

وعلى الطالب أن يرتب في الخلاصة معلوماته بحسب ورودها في الرسالة، وذلك بإيجاز مفهوم، ولا يجوز له أن يضع لها حواشيَ، ولا مصادر ولا جداول. وكلها بحدود صفحة أو أقل.

٨- خلاصة الرسالة بلغة أجنبية، وتقبل الإنكليزية أو الفرنسية، وتشمل ما ذكره في الخلاصة العربية،ولا ما نع من أن توجز أيضًا.

٩- الملاحق:

قد يحيج البحث في رسالة الدكتوراه إلى إضافة ملاحق توضيحية كالجداول، والمصورات، والوثائق، والصور، والمصطلحات العلمية، والنسب المئوية، ويفضل إضافة ما لزم منها في آخر الرسالة، قبل قائمة المصادر والمراجع،ولا نرى أن تضاف في متن الرسالة؛ لئلا يفقد وجودها الترابط الفكري في البحث،وهي أصلًا أقل ضرورة من عرض معالجة الموضوع ومناقشته،على أن يشير في أثناء بحثه إليها بعد ترقيمها كقولك مثلًا: انظر الرقم ٧ في الملحقات .

١٠- قائمة المصادر والمراجع:

أو فهرستها، أو ثَبْتها، وتقسمها إلى:

أ- المصادر، ويدخل فيها المخطوطات.

ب- المراجع.

ج- الدوريات.

د- المجلات.

هـ- المراجع الأجنبية.

ولينظر الطالب إلى شرحنا المفصل حول المصادر والمراجع وترتيبها في قسم البحث العلمي، حتى لا نكرر الكلام، فيملَّ المطالع.

* * *

طباعة الرسالة

أشرنا سابقًا إلى ضرورة متابعة سلامة اللغة في الرسالة الجامعية، في أي اختصاص كان، بما في ذلك الرياضيات والطب والاقتصاد وسائر العلوم،فيدفع الطالب رسالته إلى مدقق لغوي أو مدرس للغة العربية، بأجر، كي يقرأ ويصوِّب له الأخطاء،إذ من العيب بمكان أن يقع في الرسالة أخطاء لغوية.

ونضيف الآن الأخطاء المطبعية، التي يحاول الطالب أن يتنصل منها،فهو المسؤول الوحيد عن رسالته، وهي التي تحمل اسمه، وهي التي ستجعله دكتورًا، وبين المثابرة والسهر، والتكاسل والتخاذل شيء من الهمة،أوَ يرضى أن تعاب رسالته التي سهر عليها الليالي؟ سيكثر عليه النقد، وسيستدلون على عدم مبالاته بهذه الأخطاء الطفيفة،إن حَلَّة اللبن تُرفض ولا تؤكل إن وقع فيها قذًى،وعمله العظيم أعظم كثيرًا من حَلَّة اللبن طبعًا،وتزداد قيمة الرفض بزيادة مقام العرض.

والأسوأ من هذا التقصير أن يطبع الطالب ملحقًا بالأخطاء اللغوية والمطبعية. وأذكر – منذ سنوات- أن دُفعت إليَّ رسالة لمناقشتها وطيَّها قائمة من التصويبات بثلاث صفحات،والمؤلم جدًّا، أنني عثرتُ على أخطاء في هذه القائمة، وعلى أخطاء طي الرسالة غير ما ذكره الطالب،ولن أقول النتيجة حتى لا أصيب القارئ بالإحباط.

فاقرأ رسالتك غير مرة قبل دفعها للطباعة، واقرأها كذلك غير مرة بعد أن تطبع،ولا تعتمد على مشرفك الذي قرأها لك، فقراءته قراءة فكرية لا أسلوبية. ولا تعتمد كذلك على الأصحاب، فاسمك على الغلاف لا اسمهم،ولا تعتذر بضيق الوقت؛ فالوقت أنت أضعتَه لا غيرك،ولا تُحمل الآخرين وِزرَك،وسلامة

رسالتك تحسب لك لا عليك.

وعليك منذ أن سمح لك المشرف بالطبع، أن تقصد الموظف المسؤول ليطلعك على شكل الطباعة وشروحها، وأن تقصد الطابع وتتفاهم معه على العمل، والمدة التي يمكنه أن ينجز طبع الرسالة،وإن رأيت الوقت غير كاف فضع نصف الرسالة عنده، ونصفها عند آخر، فتكسب الوقت ضعفًا،أما الترقيم فيأتي بعد الانتهاء بسهولة كبيرة، وقد لا تستغرق ساعة.

ولعلك تُري الموظف المسؤول بضع صفحات مطبوعة قبل المباشرة بالطبع الكامل لتطمئن إلى أنك لم تخالف الشروط،ومع ذلك فهناك شروط أصيلة يجب مراعاتها، من ذلك:

١- استخدام الورق الأبيض الصقيل، مساحته ٢١/ ٢٩سم،ولا تُطبع على ورق لمّاع؛ لأنه يؤذي العيون.

٢- مراعاة المسافات والفراغات الشكلية التي ذكرناها آنفًا من أجل التبييض.

٣- طبع الرسالة على وجه واحد، وتُرفض إذا طبعت على وجهين.

٤- لا يجوز أن يختلف الفراغ تحت الحواشي عن الصفحات الخالية من الحواشي. وفيها يوضع رقم الصفحة.

٥- يقدم الطالب عشر نسخ إلى العمادة للمناقشين والمكتبة،ونسخة للمشرف، وأخرى للعميد، ولكل مَن سانده من الأساتذة وله ذكر في صفحة الشكر ونسخة لكل كلية أو معهد أو مؤسسة لها حاجة إليها،ويحتفظ لنفسه ببعض النسخ للمستقبل.

* * *

جلسة المناقشة

هي المرحلة الأخيرة من معركة الدكتوراه، التي انتظرها الطالب بفارغ الصبر. فليستعد الطالب لهذه الساعة بالتحلي بالصبر، ورباطة الجأش، والاتزان، وعدم خروجه عن الطور الطبيعي،ولينَمْ ليلتها قرير العين فقاب قوس أو أدنى سيغدو دكتورًا، وهي أعلى ما يصبو إليه طالب الدراسات العليا،فليستعد لها بالراحة والهدوء والاطمئنان،ومازلنا نذكر ذلك الطالب الذي لم ينم ليلة المناقشة، فبينما كان مشرفه يعرف به سقط الطالب مغشيًّا عليه، ونقل إلى المستشفى.

والأستاذ المشرف هو الذي يعلن موعد المناقشة بالاتفاق مع المناقشين المحليين والمسافرين والعمادة،والكلية هي التي ستعين القاعة المناسبة والتي تتسع لجمهور الحضور، وتكلف الموظف المسؤول عن تنظيم القاعة، وتجهيز مكبرات الصوت في وقت مبكر من يوم المناقشة.

ويخصص الطالب طاولة صغيرة تقع على يمين طاولة المناقشين، يضع عليها رسالته وأوراقه ولوازمه ومكبر الصوت.

والطالب هو الذي يدعو أساتذة الكلية، ومن يشاء لحضور جلسة مناقشته. وعليه أن يطبع بطاقات الدعوة قبل مدة كافية،وهو الذي سيضع الإعلانات في رئاسة الجامعة وفي الكليات،وهو الذي يتصل بجريدة المدينة المحلية، وإدارة التلفزيون.. يقوم بذلك كله قبل مدة كافية من يوم المناقشة.

وليعلم الطالب أن مجرد موافقة المشرف على تحديد موعد المناقشة يعني حُكمًا -في بلادنا- أن رسالته مقبولة، وأن موعد تعيينه دكتورًا هو ذلك اليوم، ويبقى عليه أن يبذل مجهودًا في صياغة موجز الرسالة، ويحسن العرض، والإجابة عن الأسئلة التي تُطرح عليه، ويحسن المناقشة كي يكسب أعلى ما يمكنه من

درجات التقدير.

ويفتتح الأستاذ المشرف الجلسة فيعرف بالطالب، وبأخلاقياته الأدبية وبموضوعه، وأهميته بشكل موجز،ثم يطلب من الطالب أن يبدأ بعرض موجز بحثه ودفاعه.

يقول الطالب بأدب، وقبل أن يبدأ بعرض موضوعه الدفاعي يشكر الأستاذ المشرف والمناقشين والحاضرين،ثم يبدأ بالكلام بتؤدة، ورزانة، وثقة،وعليه أن يبذل مجهوده لينال إعجاب المناقشين، ويظفر بتصفيق الحضور.

والهدف من هذه الكلمة هو تقييم الطالب في إلقائه، وسلامة لغته، وقدرته على إيجاز الموضوع، وبداهته الكلامية، وقدرته على الجدل العلمي.

يتكلم الطالب وهو يوجه حديثه إلى أعضاء اللجنة،وهم جلوس على منبر القاعة؛ اثنان عن يمين المشرف، واثنان عن يساره،وأولهم كلامًا وأعلاهم مرتبة الأول عن اليمين.. وآخرهم كلامًا ومرتبة من يجلس في أقصى اليسار،وليعلم الطالب أنهم ليسوا أعداءً له، بل محبون مخلصون، يريدون له الخير طبعًا،ثم أستاذه رقيب عليهم لصالحه.

وقد يضاف عضو آخر من خارج الجامعة إذا كان الموضوع ذا اتجاه خاص نفسي أو فيه اتجاه علمي والموضوع غير علمي،كما أن بعض الجامعات البريطانية تكلف مناقشاً واحداً للطالب من غير حضور أحد مطلقًا حتى المشرف ولهذا المناقش الوحيد القول الفصل.

وبعد أن ينتهي الطالب من كلمته، والتي لا تزيد على ثلاثين دقيقة يشكر ثانية ويتوقف. فيتسلم دفة الحديث أستاذه المشرف، فيشكر الطالب على كلمته الموجزة الواضحة، ويطلب من أول المناقشين أن يتكلم، وهو أعلى المناقشين

مرتبة، ثم يليه مَن بعده، وهكذا،ويُعطى كل مناقش مقدار ساعة تقريبًا،وإثر كل مناقش للطالب الحق في الرد إذا كان عنده ما يردُّ عليه،وعليه أن يحافظ على رباطة جأشه، ولطف إجابته، وشكر المناقش على ملاحظاته القيمة.

فإذا انتهى نقد المناقشين جميعًا يتكلم المشرف شاكرًا الأساتذة على توجيهاتهم الغنية ونصائحهم القيمة، والتي سيستفيد الطالب منها حتمًا،وقد يردُّ على بعضهم أو يشرح بعض الالتباس، أو يصوِّب فكرة دفاعًا عن طالبه،ثم يدعو المشرف المناقشين إلى جلسة مغلقة؛ ليقرروا الدرجة التي يستحقها البحث بالتراضي والتوافق،وإذا حصل اختلاف يطلب المشرف وضع كل عضو درجة من مئة، فتجمع وتقسم على خمسة.

وقد يضطر الطالب إلى استخدام الفانوس السحري لعرض بعض الأشكال والجداول على الشاشة وهذا من ضمن المدة المحددة له.

ويتمثَّل معظم ما يركز عليه المناقشون: المنهج الذي اتبعه الطالب، وطريقة المعالجة، وحسن اختياره للشواهد، وسلامة اللغة، والمصادر ومدى استناد الطالب إليها.

وننصح طلاب الدراسات العليا بحضور عدد من المناقشات كي يستفيدوا من الملاحظات التي سيتلافونها مستقبلًا، إذا وقفوا هذا الموقف،وهو خير سبيل للتدرب على جلسة المناقشة، فكلامنا وحده لا يكفي.

وبعد جلسة المداولة تعود اللجنة إلى القاعة، ويقفون على المنصَّة، ليعلن المشرف رفض اللجنة للرسالة للأسباب التالية (ويقومون بتوضيحها وتبيينها لما سبق في المناقشة) أو قبولها على الدرجة التي أجمع عليها المناقشون،وقد يعلن المشرف بعض التوصيات كطبع الرسالة على حساب الجامعة.

فيهنأ الطالب ويصفق الجمهور،ثم تعود اللجنة لصياغة تقرير اللجنة لرفعه إلى العمادة ليُؤخذ به قرار في مجلس الكلية، فمجلس الجامعة،ويذكر التقرير كيفية إجراء المناقشة، وإيجابيات الرسالة وسلبياتها، والمنهجية التي اتُبعت فيها، ومدى استجابة الطالب لإرشادات المناقشين، وكيفية ردِّه على التساؤلات،ثم يوضع التقدير، ويوقع الجميع،وبها يكون الطالب دكتورًا، وينال درجة المؤهل العلمي.

هذا، وإن كل الجود التي يبذلها المشرف مع تلميذه من أجل أن يخفف عنه جدل المناقشين إلا أن الطالب أولًا وأخيرًا هو المسؤول عن رسالته.

وإن أي نقد أو تجريح أو توجيه يصدر من لجنة المناقشة يقع على عاتق الطالب نفسه.

وقد يقال: قصَّر الأستاذ المشرف مع طالبه، ولم يساعده بالقدر الكافي،لكن هذا لا يؤذي المشرفَ مطلقًا،فالطالب مشروع دكتور، يعني يعرف ما له وما عليه،وما المشرف إلا حكم موجَّه يقلل من نقده أو يُكثره.

* * *

الفصل الخامس

البحث العلمي والكمبيوتر

طبع البحث:

يعمد بعض الباحثين إلى كتابة البحث مباشرة على الكمبيوتر؛ ظنًّا منهم أنهم بذلك يكسبون وقتًا،غير أن هذا التصرف -بنظرنا- تهور يسيء إلى رصانة البحث كثيرًا،ذلك أن لغة البحث العلمي المكتوب باللغة العربية يجب أن تكون دقيقة الأداء، وذات ألفاظ منتقاة، سواء ذلك البحث الأدبي، واللغوي، والتاريخي، والعلمي،...

إن الباحث حين يجلس إلى جهاز الحاسوب تكون أفكاره منشغلة بالأزرار التي يريد أن يضغطها، مما يحول دون انتقاء المفردات، وصياغة الجمل، فيقفز -بلا شعور منه- عن كلمات، ويستحيل عليه تخيرها، وتخونه التعابير، وينسى علامات الترقيم، إلى غير ذلك من السلبيات.

ويمكن للأبحاث الأجنبية أن تُكتب مباشرة على جهاز الحاسوب لقلة التفاوت الأسلوبي في هذه اللغات، ولا سيما إذا كانت الحواشي ضئيلة.

أما الباحث باللغة العربية فيستحيل عليه التفكير بالتأليف والصياغة والطبع معًا، مهما أوتيَ من البراعة.. كيف يقلب البطاقات وينقل منها؟ وكيف يرتب أفكاره؟ وكيف يستخدم الأقواس، أو يضع الحواشي، ويُنزل أرقامها؟

إن الواجب أن يقدم بحثه مطبوعًا على جهاز الحاسوب حتمًا، ولا يُقبل أصلًا من دونه،ولكن من يستخدمه؟ ومن يعمل عليه؟

إنه بعد أن ينجز بحثه تمامًا بخط يده، وينال موافقة المشرف عليه، أو المؤسسة التي كلفته، يمكنه أن ينقل بحثه إلى الحاسوب، ويطبعه عليه، تمامًا كما كتبه،وإن لم يكن بمقدوره طباعته بنفسه لسبب ما كالجهل في التعامل معه، أو لمرض، أو عجز، أو انشغال، يدفعه إلى عامل طباعة مأجور،وعلى أي الحالين هو المسؤول عن تصويب الأخطاء المطبعية.

تقميش المعلومات من الانترنت:

وقد نجد باحثًا يغوص في رحاب شاشة الجهاز، ينهل من شبكة الإنترنت ما يتيسَّرُ له، ويملأ به بحثه بمعلومات مشتقة غير متماسكة ولا موثقة،علمًا أن البحث غير الموثق من مصادر أساسية معتمدة مرفوض حتمًا، بل لا يسمى بحثًا أصلًا.

وإذا استخدم الإنترنت مادة لبحثه، قطع الصلة التجارية بينه وبين الناشر،ذلك أن الناشر يعرف أن خلف الشاشة عشرات الأبحاث بل مئات، وعن طريقها يستغني عن المؤلف،لكن الناشر خبير أكثر منا؛ لأنه يعرف أن ما يطبع من الشبكة لا يلقى مشتريًا.

هل تريد بحثًا عن البيروني؟ عن البيزنطيين؟ عن قصور الكلية؟ عن هارون الرشيد؟ عن الأيوبيين؟ بكبسة زر يفتح لك الفانوس السحري بوابته السحرية، وتنتقي ما تريد.. وبأقل من ساعة يكون الموضوع جاهزًا.

إن ما سحبته لك الآلة الطابعة ليس بحثًا ولا علمًا موثوقًا به حتمًا، إنه مجرد جمع معلومات غير موثقة،أو قل: هو سطو على أملاك الغير، وسرقة علنية لا تُدخل صاحبها الزنزانة،ولكنها تضيع الوقت، وتهدر الورق، وتقلل من أهمية عمل الباحث، وتفقده شخصيته المتميزة، وتشعره بالخجل؛ لأنه أعرف الناس بجريمته.

ماذا نأخذ من الكمبيوتر؟

إن البحث العلمي جهد مضن وموثق، ويستند إلى مصادر ومراجع، وهي الكتب المطبوعة المحفوظة في المكتبات، وليس في المكتبة الإلكترونية؛ لأنها لا تستند إلى إثبات علمي،وإذا كان البحث يستند إلى ثلاثين أو أربعين مصدرًا ومرجعًا ومجلة محكمة، **فقد يُقبل أن يكون من بينها مرجعان أو ثلاثة من الإنترنت على التجاوز، ولكن بشروط، منها:**

١- أن تكون معلوماته مما لا يرد في الكتب المطبوعة عادة، كالمحاضرات، واللقاءات، والآراء العلمية الشخصية لعلماء مشهورين.

٢- أن يذكر الباحث اسم مصدره، وموقعه، واسم صاحبه.

٣- ألا تكون المعلومات المستقاة من الإنترنت أساسية في بحثه، بمعنى أن تكون مساندة تأييدًا أو معارضة.

وفي غير هذا يمكن للباحث أن يستفيد من الإنترنت بالمطالعة العامة والاطلاع على المتداول من الآراء والأفكار، كي يعود في النهاية إلى المصادر التي يوجبها البحث.

كيف يخدمنا الحاسوب:

لا شك أن جهاز الحاسوب عالم المعرفة الحديث، وسبيل المعرفة الخاطف. والباحث الذي يتعامل معه ومطلع على أهميته وأسراره، يدرك أن المعلومات التي يبثها الإنترنت كثيرة جدًّا، وعلى حسب مصطلحهم العلمي «انفجار معلوماتي». وكثيرًا ما يغرق في صفحاته كبار عشاقه، ويعوم في هذا الطوفان المتراكم أمامه.

والمشكلة الكبرى والأولى عنده «مشكلة البحث عن المعلومات»؛ لأنه يراها أمامه على أساس من الفوضى وعدم الترتيب،وهي إحدى معضلات الكمبيوتر.. إذ يحار الباحث ماذا يأخذ؟ وكيف يختار؟ سيرى أمامه مئات الآلاف من الصحف والمقالات، فلا يعرف كيف يبدأ، وكيف يُقَمش. ويحتاج هنا إلى خبرة واسعة، وصبر طويل.

حتى اللغة تقف أحيانًا دونه حائلًا في عملية البحث،وهو يعلم أن لكل مؤلف أسلوبًا، وأن المفردات العربية كثيرة المترادفات، وأن الكلمة الواحدة تأتي بعدة صيغ، وكلها ذات مؤدًى واحد.

ولذلك نرى أن الباحث أحيانًا ينقل ما هبَّ ودبَّ أمام عينيه، والعُجَز والبُجَر الذي يحتاج إلى نخل وتهذيب،في حين لو أنه كتب بيده، والمصدرُ أمام عينيه، لأحسن الانتقاء، ولأجاد اختيار مفرداته ومترادفاتها، وتعابيره التي تؤدي مطلوبه. ولهذا نرى عددًا من فحول المؤلفين والباحثين لا يرتضون النقل منه؛ لأنه لا يعبر عن شخصياتهم المتميزة.

كما أن طبيعة الموضوع تقف حائلًا دونه؛ لأن كل موضوع يختلف عن الآخر. وتأتي هنا خبرة الباحث المتعمقة في عملية الحصول على المعلومات من الإنترنت. وعليه أن يحدد الهدف مسبقًا، كي يبتعد عن المتاهات المحققة، ويدنو من المواقع التي تعبِّد له طريق الاستفادة،وإن تعذر عليه كشف ما يريد، فعليه بالبدائل والتقنيات المساعدة.

ولابد لمستخدم الانترنت من أن يكون في مخيلته تساؤلات يريد الإجابة عنها، كي يجمع أكبر قدر من المعلومات عن هذه التساؤلات كما يجب أن يكون محيطًا بموضوع البحث، ويعرف المترادفات التي تفتح له قنوات الطريق،فإن لم يجد مطلوبه في لفظ بحث عنه في مترادفه.

وإذا لم يجد بغيته من «الدليل» فعليه أن يطلبه من «محرِّك البحث» من خلال كلمات أساسية أو مفتاحية – Key words للمعلومة المراد البحث عنها في الموضع المناسب في الإنترنت.

ولا شك أن مواقع البحث في الإنترنت متعددة ومتنوعة، تفتح للباحث مجالات واسعة،غير أن أشهرها وأكثرها نفعًا للعرب هو «عربي Googl»،وهو موقع حديث تمَّ إنشاؤه عام ١٩٩٨م في «ستانفورد»،وقاعدة بياناته واسعة جدًّا، ونتائجه جيدة.

و«Googl» هذا يشتمل على ٦٠٠٠ كمبيوتر شخصي، تستغرق معظم عمليات البحث فيه أقل من نصف ثانية، ذلك أنه مصطلح مشتق من Google وتعني عشرة مرفوعة للقوة ١٠٠،وقد التزم مؤسسو Googl بتنظيم هذه الكميات الضخمة من المعلومات الموجودة على «الويب»، وقدرتها اليوم بليون صفحة.

المحركات العربية للبحث:

ويقصد بها تلك المحركات التي صممت خصيصًا لتعمل مع بيئة الإنترنت العريضة،وبعض هذه المحركات تأخذ بعين الاعتبار بعض المسائل اللغوية المهمة، وذات الأثر في عملية الاسترجاع،كما أن بعض محركات البحث مدفوع الثمن مثل محرك بحث الإدريسي، وهو أفضل محركات البحث على الإطلاق؛ لأنه صمم خصيصًا للتعامل مع اللغة العربية الغنية الاشتقاق والتصريف، وهو ثنائيُّ اللغة، عربي/ إنكليزي.

كما أن بعض محركات العالمية تقبل البحث باللغة العربية، ويحتاج الأمر فقط عند الباحث إلى تغيير لغة النظام من الإنكليزي إلى العربي.

تقنيات البحث في الإنترنت:

هناك أدوات وتقينات لا يمكن الاستغناء عنها في عملية البحث عن المعلومات في الإنترنت،وفقدان هذه التقنيات، أو عدم استخدامها، أو استخدامها بشكل خاطئ يجعل عملية البحث أمرًا شاقًّا، ومملًا ومكلفًا.

ولعل من أهم هذه التقنيات:

١- **الروابط المنطقية**: وهي عبارة عن بضعة حروف أو رموز تستخدم في الربط بين مفردات البحث، وهي:

أ- حروف العطف: و- أو.

ب- حروف الاستثناء: ما عدا.

ج- حروف النفي: ليس- إلا.

٢- **البحث النصي** «...» أي نفس الجملة - Exactphrase، مثل: مضاف ومضاف إليه، صفة وموصوف.. مثل: علم الاجتماع، جامعة الأزهر، التربية الفنية.. فإذا استخدمنا الرابطة و- AND حصلنا على مجموعة من المركبات المركبة، غير أنها تُعرض متفرقة.

وعندما نستخدم محركات البحث العالمية، وهي علامة التنصيص- Exact Phrase «...» فإن كلمات البحث تكون داخل علامة التنصيص أو ما يشبهها.

وهكذا وجدنا أن عالم الإنترنت عالم آخر، وهو جليل بذاته بعيد عن خدمة الباحث العربي ولا سيما في المجالات الأدبية والتاريخية، وفي الوقت نفسه يفيده في مجالات عديدة ذكرنا جانبًا منها.

* * *

خاتمة البحث

وبعد، فقد بذلنا مجهودنا في هذا الدليل خدمة للسادة المحققين والباحثين وطلاب الدراسات العليا،ووضعنا فيه خلاصة المنهج الدقيق في تحقيق النصوص القديمة، والسبل التي يُحسن بالمحقق والباحث اتباعها، والخطوات المنهجية لمعالجة نقد النصوص وتأليف البحوث.

ولا نظن أننا أهملنا جانبًا يسهل العمل أو ينير السبل إلا أشبعناها دراسة وتوضيحًا ونقدًا،وقد حاولنا وضع البداية، وتابعناها إلى النهاية، بما في ذلك طريقة الطبع والنشر.

وقسمنا الكتاب إلى بابين، كل باب إلى فصول أساسية وفرعية بشكل يسهل على المحقق والباحث تناول ما يريد،وربما يجد كبار العلماء والباحثين جانبًا مما ورد في كتابنا واضحًا بالنسبة إليهم، لكن المعلومات المكثفة التي ضمها الكتاب نتوقع أنها شديدة الأهمية للمحقق المبتدئ والباحث ذي التجارب الأولى، أو المتوسطة لكليهما،كما أن النواحي الفنية والإخراجية والإبرازية نرجح أنها مفيدة للجميع.

وعقدنا فصلًا موجزًا حول جهاز الحاسوب ومدى جدواه بالنسبة إلى البحث العلمي، وكيف يمكن الاستفادة منه.

وأيًّا كانت التصورات، فإن مضمون الكتاب جاء شاملًا ودليلًا لكل من يحتاج إلى خوض ساحة العمل المنهجي في التحقيق والأبحاث.

* * *

مصادر الكتاب ومراجعه

١. إخبار العلماء بأخبار الحكماء- القفطي. مكتبة المثنى بالقاهرة.

٢. أدب القاضي والقضاة- هيثم بن سليمان القيسي. ت فرحات الدشواري، تونس ١٩٧٠م.

٣. أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية- فاخر عاقل. ط٢، بيروت ١٩٨٢م.

٤. أسماء الكتب- رياضي زاده. ت محمد ألتونجي. ط٢، مصر ١٩٨٣م.

٥. أصول نقد النصوص ونشر الكتب- برجستراسر. مصر، دار الكتب ١٩٦٩م.

٦. الأعلام- خير الدين الزركلي. ط٣، بيروت ١٩٦٨م.

٧. الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني. ت علي محمد البجاوي. مصر ١٩٧٠م.

٨. الإملاء والترقيم في الكتابة العربية- عبد العليم إبراهيم. مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧٥.

٩. إنباه الرواة على أنباء النحاة- القفطي. ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣ مصر ١٩٧٣م.

١٠. إيضاح المكنون- إسماعيل باشا البغدادي. إستانبول ١٣٦٤هـ.

١١. البحث الأدبي- شوقي ضيف. ط٢، مصر ١٩٧٢م.

١٢. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العملية. رجاء دويدري. دمشق ٢٠٠٠م.

١٣. البيان والتبين- الجاحظ. ت عبد السلام محمد هارون. مصر ١٩٤٨م.

١٤. تاج العروس- الزَّبيدي. طبعة الكويت.

١٥. تاريخ الحضارة الإنسانية- محمد عريسات ورفيقاه. الأردن، عمان ١٩٩٩م.

١٦. تاريخ الأدب العربي- بروكلمان. ألمانية ١٨٩٨م وما بعدها.

١٧. تاريخ الأدب العربي- عمر فروخ. بيروت ١٩٨٠م.

١٨. تاريخ التراث العربي- فؤاد سيزكين. ت فهمي أبو الفضل. مصر ١٩٧١م.

١٩. تاريخ العلوم عند العرب- عمر فروخ. بيروت ١٩٦٢م.

٢٠. الترقيم وعلاماته في اللغة العربية- أحمد زكي. ط٢، حلب ١٩٨٧م.

٢١. تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة- أحمد شاكر. ط١، بيروت ١٤١٤هـ.

٢٢. التعريف بآداب التأليف- السيوطي بغداد ١٩٧٠م.

٢٣. التعريفات- الشريف الجرجاني. تونس ١٩٧١م.

٢٤. التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه- أبو عبيد الله البكري. ت إسماعيل يوسف دياب. ط٣، مصر ١٩٥٤م.

٢٥. التنبيهات على أغاليط الرواة- علي بن حمزة البصري. ت عبد العزيز الميمني. القاهرة ١٩٦٧م.

٢٦. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب- الثعالبي. مصر ١٣٢٦هـ.

٢٧. حضارة العرب- غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. مصر ١٩٤٨م.

٢٨. حوادث دمشق اليومية- أحمد البُديري الحلاق. ت محمد سعيد القاسمي. مصر ١٩٥٩م.

٢٩. خزائن الكتب العربية في الخافقين- فيليب دي طرازي. بيروت ١٩٤٧- ١٩٤٨م.

٣٠. الدرّ النضيد في أدب المفيد والمستفيد- بدر الدين الغَزِّي. ت مروان العطية. مصر.
٣١. الدليل في مقرر المشروع- حسن حلاوة وزملاؤه. وزارة التربية، دمشق ٢٠٠٧م.
٣٢. ديوان الأعشى - ت. م. محمد حسين. الإسكندرية ١٩٥٠م.
٣٣. ديوان ابن المعتز- بيروت ١٣٣١هـ.
٣٤. ديوان أبي نواس- ت. أحمد عبد المجيد الغزالي. مصر ١٩٥٣م.
٣٥. ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي. ت عزة حسن. دمشق ١٩٦٠م.
٣٦. ديوان ذي الإصبع العدواني. جمعه وحققه العدواني والدُّليمي. الموصل ١٩٧٣م.
٣٧. الرسالة الثانية- أبو دلف الخزرجي. ت بولفا كوف وخالدوف. موسكو ١٩٦٠م.
٣٨. رسالة الغفران- أبو العلاء المعري. ت بنت الشاطئ. مصر ١٩٥٠م.
٣٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة- آغا بزرك الطهراني. ط٣. بيروت ١٩٨٣م.
٤٠. السنة قبل التدوين - محمد عجاج الخطيب. ط٢، بيروت ١٣٩١م.
٤١. سير أعلام النبلاء- الذهبي. طبعة مصر.
٤٢. شرح ديوان الفرزدق- جمعه عبد الله إسماعيل الصاوي. مصر ١٩٣٦م.
٤٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشا- القلقشندي. مصر ١٣٣١ - ١٣٣٨هـ.
٤٤. الصناعتين- أبو هلال العسكري. ت البجاوي وأبو الفضل. مصر ١٩٥٢م.
٤٥. الطباعة ورسالتها القومية- محمد ألتونجي. حلب ١٩٦٠م.
٤٦. عجائب المخلوقات- القزويني. كتاب التحرير، مصر، بلا ت.

٤٧. عيون الأنباء في طبقات الأطباء- ابن أبي أصيبعة. ت نزار رضا. بيروت ١٩٩٥م.

٤٨. الفرق بين الضاد والظاء -الصاحب إسماعيل بن عباد. ت محمد حسن آل ياسين. بغداد ١٩٥٨م.

٤٩. فن الكتابة والقول- محمد ألتونجي. ط٢، بيروت ٢٠٠٢. في الأدب الجاهلي- طه حسين. مصر ١٩٥٢م.

٥٠. كتاب الأصنام- ابن السائب الكلبي. ت أحمد زكي. القاهرة ١٩٦٥م.

٥١. كشف الخفاء ومُزيل الأَلباس- إسماعيل بن محمد العجلوني. إشراف أحمد قلاش. ط٤، بيروت ١٩٨٥م.

٥٢. كشف الظنون- حاجي خليفة إستانبول ١٩٤١م.

٥٣. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي- الصاحب إسماعيل بن عباد. ت محمد حسن آل ياسين. مصر ١٩٦٥م.

٥٤. كيف تكتب بحثًا أو رسالة- أحمد شلبي. مصر ١٩٦٨م.

٥٥. الكيمياء عند العرب- روحي الخالدي. مصر ١٩٥٣م.

٥٦. اللسان- ابن منظور. طبعة لبنان.

٥٧. لمحات في المكتبة والبحث والمصادر- محمد عجاج الخطيب. ط٣ن دمشق ١٩٧١م.

٥٨. لمحات من تراثنا- مروان العطية. نشر المؤلف، ط٢، بلا ب، ٢٠١١م.

٥٩. المؤتلف والمختلف- الآمدي. مصر ١٣٥٤هـ.

٦٠. المتوكلي- السيوطي. ت عبد الكريم الزبيدي. سَبها ١٩٨٦م.

٦١. مجمع الأمثال- الميداني. ت محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢، القاهرة ١٩٥٩م.

٦٢. المحكم في نقط المصحف- عثمان بن سعيد الداني. ت عزة حسن. ط٢، دمشق ١٩٨٦م.

٦٣. مصادر البحث اللغوي- محمد حسن عبد العزيز. الكويت ١٩٩٧م.

٦٤. معجم الأدباء- ياقوت الحموي. طبعة مرجليوث. مصر ١٩٣٦م.

٦٥. مصطلح التاريخ- أسد رستم. بيروت ١٩٥٥م.

٦٦. معجم البلدان- ياقوت الحموي. بيروت ١٩٥٧م.

٦٧. المعجم الذهبي في الدخيل على العربي- محمد التونجي. بيروت ٢٠٠٩م.

٦٨. معجم الشعراء- المرزباني. ت. عبد الستار أحمد فراج. مصر ١٩٦٠م.

٦٩. معجم المؤلفين- عمر رضا كحالة. بيروت ١٩٥٧م.

٧٠. معجم المطبوعات العربية- يوسف بن إلياس. مصر ١٩٢٨م.

٧١. معجم النحو- عبد الغني الدقر. دمشق ١٩٧٥م.

٧٢. المعيد في أدب المفيد والمستفيد- عبد الباسط العلموي. تحقيق الدكتور مروان العطية، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٣م.

٧٣. مفاتيح العلوم- محمد بن يوسف الخوارزمي. مصر ١٣٤٢هـ.

٧٤. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان- ابن طولون. ت محمد مصطفى. القاهرة ١٩٦٤م.

٧٥. مفتاح السعادة ومصباح السيادة- طاش كبرى زاده. مصر ١٩٦٨م.

٧٦. مقدمة ابن خلدون ـ طبعة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠م.

٧٧. منابع التراث الأدبي ـ محمد ألتونجي. الكويت ١٩٩٦م.

٧٨. مناهج البحث العلمي ـ عبد الرحمن بدوي. ط٣، الكويت ١٩٧٧م.

٧٩. مناهج التأليف عند العلماء العرب ـ مصطفى الشكعة. بيروت ١٩٧٣م.

٨٠. المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات ـ محمد ألتونجي. ط٢، بيروت ١٩٩٥م.

٨١. المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات ـ حاتم صالح الضامن. دبي.

٨٢. منهج البحث الأدبي عند العرب ـ أحمد جاسم النجدي. بغداد ١٩٧٨م.

٨٣. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ـ عبود العسكري. ط٢، دمشق ٢٠٠٢م.

٨٤. المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ـ السيوطي. ت. محمد ألتونجي. بيروت ١٩٩٥م.

* * *

محتوى الكتاب

***